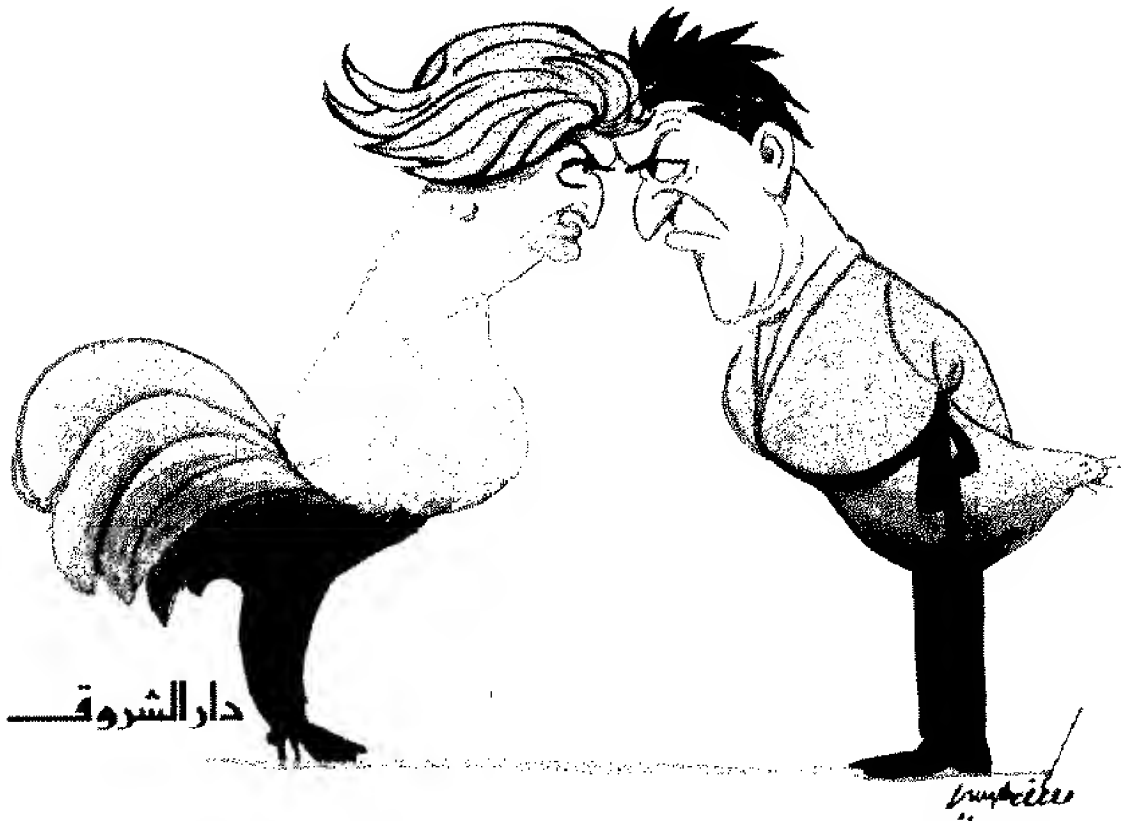


أو صراع الديكة



دار الشروق

ازواج وزوجات

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

الطبعة الثانية

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

الطبعة الثالثة

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

الطبعة الرابعة

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الخامسة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد العظم عام ١٩٦٨

القاهرة: ٨ شارع سيديويه المصري

رابعة العدوية - مدينة نصر - ص.ب: ٣٣ البانوراما

تليفون: ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

عبد الوهاب مطوع

ازواج وزوجات

دار الشريعة

من لم تعلمه الحياة . . علّمه الزواج !
« الزواج . . هو أقوى دافع يدفع الإنسان لأن
يتعلم ما لم يكن يعلمه . . في مدرسة الحياة »
(هافلوك أليس)
في كتاب مقالات صغيرة عن الحب والفضيلة

الكتاب المفتوح

أنا ياسيدى أستاذ جامعى فى الثانية والأربعين من عمري نشأت فى أسرة يعملها أب يعمل بالتجارة . . وبين أشقاء كثيرين . . ثم فقد الأب ثروته تدريجيا وأسفرت الحياة عن وجهها القاسى . . فعرفنا مبكرا إنه لاسند لنا فى الحياة سوى سواعدنا وتفوقنا . . وكافحت أُمى معنا كفاح الأبطال لتربيتنا وتعليمنا حتى تخرجنا جميعا فى الجامعات .

وتركت التجربة المريرة آثارها على شخصيتى فعلمتنى الاعتماد على النفس . . فتخرجت فى كليتى متفوقا . . وواصلت طريق الدراسة فحصلت على الماجستير . . ثم أوقدت فى بعثة للحصول على الدكتوراه . . من إحدى دول أوروبا . . وسافرت إلى هناك محملا بكل الآمال الطيبة . . وتحملت عناء الغربة حتى حققت لنفسى مائتيته لها وعدت لبلادى متفتحا للحياة وممارست عملى . . وكان أول ماسعيت إليه هو الحصول على شقة تمليك ملائمة بعد جهاد مرير وجلست يوما التقط انفاسى فاكتشفت انى أعيش فى كفاح متواصل منذ بدأت عامى الجامعى الأول . . وانى بلغت الخامسة والثلاثين من عمري فهما قلبى إلى ان أقيم بيتى الخاص . . وإن انعم فيه بالأمان والاستقرار مع شريكة الحياة . . وآثرت الزواج من فتاة

جامعية من مستوى الاجتماعى وخطبتها . . وعشت لحظات السعادة الصغيرة فى أيام الخطبة . . وقررت ان نتزوج وإن نذهب لقضاء الأيام الأولى من الزواج فى نفس المدينة الأوروبية التى تلقيت العلم فيها وشهدت صراعى مع الحياة . . . وتم الزواج وسافرت فى اجازة إلى هناك .

وفى اليوم الأول لوصولنا للمدينة . . توقف التاكسى أمام الفندق الصغير الذى سنقيم فيه وكانت معنا ثلاث حقائب . . وضعها سائق التاكسى على رصيف الفندق وحصل على أجره وانصرف . . فانحنيت على الأرض وحملت حقيبتين واشرت لزوجتى بتلقائية لكى تحمل الحقيبة الثالثة الأصغر لنخطو داخل الفندق فحملتها لوهلة . . ثم فجأة القت بها على الأرض صائحة انها ليست خادمة ! وتداركت الأمر سريعا فحملت الحقيبتين إلى الفندق وعدت سريعا إلى موقفها فحملت الحقيبة الثالثة واصطحبتها للداخل . . وتمسكت بأحلام السعادة فتجاوزت عن هذا الحادث الصغير وأصررت على ألا ادع شيئا يفسد على هنائى .

ومضت الاجازة وعدنا لمصر . . وبدأت اكتشف ان هذا الحادث الصغير ليس مجرد تصرف عابر لكنه يعكس شخصيتها وأسلوبها فى الحياة . . فهى ترفض ان تقوم بأى عمل تتصور ان فيه انتقاصا من كرامتها . . وتعلننى فى كل مناسبة أنها لم تكن تفعل شيئا ، أى شىء فى بيتها وإن أباهما وأمها كانا يخدمانها وفى أحد الأيام الأخيرة من شهر العسل سمعتها تحدث صديقة لها فى التليفون وتقول لها أنها ستعرف كيف تمل ارادتها على زوجها فى كل شىء ! فتعجبت لذلك ونشبت بيننا أول مشادة قبل ان يحجب الخبر الذى كتب به عقد قراننا ورغم ذلك فقد تمسكت بالآلا تفشل حياتى بعد ان

عانيت كل ما عانته من أجل احلام السعادة ، وانجينا طفلا حسم الأمر من جانبي . . ولم يعد أمامي خيار إلا إنجاح الحياة والحفاظ عليها من أجله . . ثم انجينا طفلا آخر لكن المتاعب لم تتوقف . . وأنا تزايدت . . وتحولت الحياة بيننا إلى صراع مستمر لفرض ارادتها عليّ في كل شيء متصورة ان المرأة ينبغي ان تكون الأقوى ! . . وفي كل أزمة تكون كلمتها الأولى هي : أريد الطلاق فأتساءل متعجبا وهذان الطفلان اللذان يحويان في الأرض . . ماذا يكون مصيرهما . . ثم تهذا العاصفة . . وتستمر الحياة إلى حين ثم جاءتني فرصة للإعارة إلى إحدى الدول العربية . . فأملت ان تكون حلا لبعض مشاكلنا خاصة بعد ان خسرت معظم مدخراتي في شركات الأموال ففوجئت بها ترفض ان تصحبني إليها بحجة ان الحياة فيها لاتناسبها ، واضطرت للسفر وحيدا وعانيت الغربة مرة ثانية . . وبدأت اتصل بها تليفونيا بانتظام لأطمئن على أسرتي الصغيرة وفي كل اتصال تروى لي عن « جهادها » في تربية الطفلين ومتاعبها كأنه ليس في الحياة أم أنجبت طفلين سواها واشركتني معها على البعد في كل المتاعب الكبيرة والصغيرة حتى بلغ بها الحال ان هددتني بان ترسلهما إليّ في غربتي لأنها لاتستطيع تحمل العبء وحدها بالرغم من قيامي بتوفير كل مستلزماتها هي والطفلين قبل سفرى وخلالها ، ووجدت نفسى أعايش القلق عليهما وأنا هناك يوما بعد يوم وبدأت أعانى الاكتئاب والضيق والأرق ولا أطيق الغربة التى تحملتها من قبل ٤ سنوات وضاق نفسى بالحياة فلم أستطع استكمال العام بعيدا وعدت بعد ٩ شهور فقط من سفرى في أجازة ولأحل مشاكلها ومتاعبها ثم أعود لاستكمال الاعارة . .

فجئشت بها بعد أيام من وصولي تغادر بيت الزوجية إلى بيت أهلها تاركة لى الطفلين . . . وتضعنى أمام اختيار صعب لاستكمال الإعارة . . . هو تسليمى لها بكل ماتريد وتلبية كل مطالبها ثمنا لعودتها لبيت الزوجية وتربية طفلها والا فلن تعود . . . ولن أستطيع أنا السفر تاركا الطفلين للمجهول ، أما شروطها ياسيدى فهى تأمين مستقبلها بتسجيل الشقة التمليك التى عانيت الكثير للحصول عليها باسمها ، ومبلغ شهرى كبير، هذا أو الطلاق وكان الطفلان اللذان تركتهما وراءها لم يبلغ أكبرهما الخامسة ولم يبلغ أصغرهما الثالثة من عمره وجلست أراجع شريط حياتى . . . وأسأل ماذا جنيت ياربى لكىلقى هذا العناء . . . وماذا جنى هذان الصغيران وفى لحظة اختيار صعبة قررت ألا أعود للدولة العربية التى أعرت إليها متنازلا بذلك عن مستحقات مالية كبيرة وعن كتنى وملابسى التى تركتها هناك وقررت البقاء مع الولدين لأقوم لها بدور الأم التى تخلت عنها . . . وقررت الا اخضع لمطالبها أكثر من ذلك ويكفيها انها قد تسببت فى حرمان ولديها وحرمانى وحرمانها أيضا من رزق الإعارة الذى أرسله الله لنا ليخفف من متاعبنا . . .

وبدأت فتسلمت عملى فى جامعتى الإقليمية التى أعمل بها . . . وتفرغت لرعاية الطفلين وطلبت زوجتى كل متعلقاتها وإثائها . . . وحلت من شقة الزوجية . . . وعوضت انا ذلك ببعض الاثاث العملى . . . وبالأجهزة العديدة التى اشتريتها من الخارج . . . وبدأت حياتى كأب وأم لطفلين صغيرين لأول مرة . . . فأصبحت اصحو كل يوم فى الخامسة صباحا . . . فأصنع الأفطار للطفلين وأقودهما للحمام ثم اساعدهما على

ارتداء ملابس الخروج . . واصطحبهما إلى مدرسة الحضانة فاتركهما فيها إلى وسط المدينة لالحق باتوبيس الجامعة الذى يحملنى خلال ثلاث ساعات إلى كليتى وفى الكلية القى محاضرتين أو ثلاثة على الأكثر . . وقد اعفانى زملائى الذين يقدرّون ظروفى الإنسانية ويتعاطفون معى من باقى جدولى ونهضوا به هم جزأهم الله خيرا عنى ثم أسرع إلى الأتوبيس واسافر إلى القاهرة لأصل إلى مدرسة الحضانة فى الثالثة بعد الظهر فأجد الطفلين يلهوان فى الفناء بعد ان انصرف كل التلاميذ الصغار مع أسرهم . . واصطحبهما إلى البيت وامضى المساء فى خدمتهما فاطهو لهما الطعام وأغسل لهما ملابسهما وإذاكر معهما دروسهما . . ثم أضعهما فى فراشهما وأرقيهما إلى ان يستسليا للنوم . . أما امهما ساعها الله فهى لاتراهما إلا مرة كل أسبوعين وأحيانا كل ثلاثة أسابيع . . ولمدة ٢٤ ساعة فقط لاتزيد ولا تقبل بقاءهما عندها أكثر منها . . وتعيدهما إلى سريعا لكى اتكبد متاعب خدمتهما لأضعف وأرضخ لمطالبها وكلما ارسلت إليها من يبلغها ان طفلها الصغير يحلم بها كثيرا ويكى من أجلها ويسألنى عنها . . جاءنى جوابها القاسى ، أن اترك البيت أولا كشرط لكى تعود وترعى طفلها . . واسأل نفسى هل يطمئن قلبى إلى رعاية مثل هذه الأم وحدها لطفلى الصغيرين . . وأجد الجواب بالنفى ثم اين اذهب أنا ولماذا . . فلا اجد جوابا وأواصل الطريق متحملا اقدارى . . ومضت ثمانية شهور طويلة فشلت خلالها كل محاولات التوفيق بيننا وأبدت هى رغبته فى الحصول على الطلاق مرة أخرى وأعلنت استعدادها للتنازل رسميا عن حضانة الطفلين وقبلت ذلك وتحدد يوم تمىء فيه لمقابلتى فى الشهر العقارى لتوثق لى تنازلا

عن حضانتها . . والتقينا . . ووجدتني أقول لها ربيأ بغير وعى منى . .
ألا تفكرين قليلا لعلك بذلك تسعدين ثلاثة قلوب تحتاج إليك . .
ويجئني جوابها كاللطفة . . لتتكلم فيها هو مفيد . . وهو التنازل والطلاق
. . واتمالك نفسى وندخل إلى الموظف المختص ونزوى له القصة وكان
موظفا شهيا . . فما ان يسمعها حتى يثور ثورة عارمة . . ويقول ان هذا
مخالف للقانون وليس من حق الأم ان تتنازل عن حضانة أولادها قبل
بلوغهم السن القانونية واسأله ما العمل وهى تطلب الطلاق وترفض رعاية
طفليها إلا إذا طلقته ولو طلقته الآن حصلت هى على الشقة التى
وضعت فيها كل ما املكه ويغلى الدم فى عروقه . . يتحى بى جانبا ثم
ينصحنى بألا اطلقها إلا إذا وفرت لها مسكنا آخر تضم إليها فيه
الطفلين . . واحتفظ أنا بشقتى التملك . . أو بالا اطلقها إلا بعد ان
يصل الولدان إلى السن القانونية فلا يصبح لها حق فى شقتى أو فى أى شقة
أخرى . . واشكره وانصرف . . ورجعت ابحت عن شقة أخرى وعرض
اخوتى ان يتنازلوا عن شقة الأسرة لاجعلها شقة الحضانة فعرضتها عليها
فرفضتها بحجة انها ليست من مستواها !

. . وأخيرا استطعت ان ادبر مبلغا من المال بدأت به فى بناء شقة لها
على قطعة أرض للبناء كنت ادخرها للأسرة وللطفلين لكى اقدمها لها
كماوى شرعى عند طلاقها .

ومضت الشهور . . وبدأت أضيق بظروفي ووجدتني . . ونصحنى
الأهل بان اتزوج أخرى . . وأنسى هذه التجربة المؤلمة . . لكن من
ياسيدى تقبل رجلا مطلقا فى رقبته طفلان أكبرهما فى السادسة . لقد مضى

على هجرها للبيت الآن ثلاثة عشر شهرا . . ويبدو أنها لم تكن تتصور انى سأصمد كل هذا الوقت فى رعاية الطفلين والقيام بواجبات الأم والأب معا . . لذلك فقد بدأت تتنازل عن مطلب نقل ملكية الشقة لها وقالت لوسيط انها تطلب فقط الآن ان اذهب إليها وان ارضها وان اقدم لها شبكة ذهبية من جديد تأمينا لمستقبلها لكى تعود . . لكنى حائر هل اثق فيها مرة أخرى . . وهل ستستقيم الحياة معها من جديد . . وأنا اعرف وأنت تعرف ان الطبع غلاب .

إن قلبى مع طفلى فى حاجتها لأمها . . لكن عقلى يقول لى أنه لافائدة وان مسلسل العذاب سيستمر معها إلى مالا نهاية . . وان الأفضل ان أتزوج أخرى . . فبماذا تنصحنى ان أفعل ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : إن الآباء والأمهات مسئولون مسئولية كاملة ليس فقط عن تربية الأبناء ولكن عن سعادتهم ايضا . لسبب منطقى بسيط هو ان هؤلاء الأبناء لم يستشاروا اصلا فيما إذا كانوا يرغبون فى المجئ إلى الحياة أم لا . وما دام الآباء هم الذين يتخذون هذا القرار منفردين فمن واجهم التضحية من أجل إسعاد ابنائهم . . ولو بالتضحية بسعادتهم الشخصية فى بعض الأحيان .

وأنت يا صديقى قد تحملت من أجل طفلك ماقد ينوء به غيرك . . فأين تضحية الأم وعطاؤها لها وهى من كانت الأجدر بذلك ؟ ان طفلها ليسا مسئولين عن حسن أو عن سوء اختيارها لشريك حياتها لكنها لاتعى هذه الحقيقة ولا تفهمها .

وفى تقديرى ان كليكما قد اخطأ بالاستمرار فى هذا الزواج إلى ان انجبتا

أول أطفالكما بعد ان قرئ كتاب زواجكما من عنوانه في الأيام الأولى منه . .
وابناكما بان كليكما لم يحسن اختيار رفيق دربه . . وانكما تتراسلان على
موجتين مختلفتين . . وان لهيب الشقاق كامن تحت الرماد «ويوشك ان
يكون له ضرام» كما يقول الشاعر .

ومع ذلك فان كثيرات من الزوجات يراودن أنفسهن على الرضا
باقدارهن . . والتوافق معها إذا انجبن وجئن إلى الحياة بمن لاذنب لهم في
اعتباراتهم الشخصية .

والمشكلة ياسيدى هي ان زوجتك لم تروّض نفسها من قبل على ان
تضحى بشيء مهما صغر شأنه من أجل أطفالها . . وكتابها المقترح معك
يؤكد كل ذلك فلقد ارهقتك نفسيا ومعنويا بأمر رعايتها للطفلين خلال
اغترابك كأنما قد أدّت عملا خرافيا يدرجها في مدارج الشهداء والقديسين
لمجرد أنها رعت طفلها تسعة شعور لاتزيد في غيابك .

يا إلهى . . ماذا تقول إذن الزوجات اللاتى يرعين أطفالهن ويواجهن
اعباء الحياة وحيدات بعد رحيل الآباء عن عالمنا ؟ . وماذا تقول الأمهات
اللاتى يرعين عصابة من الأطفال في غياب الأزواج المغتربين لسنوات
طويلة من أجل حياة أفضل لأسرهم ؟

ثم أى مستقبل هذا المشغولة بتأمينه ولأماكن لطفليها فيه ! وهل كان
من الاهتمام بأمر مستقبلها ان تضعك في الاختيار الصعب وتضطررك
للتضحية باعارتك مع ماتمثلة من تأمين مستقبل الأسرة كلها . . بل أى
مستقبل هذا الذى تضمنه وتؤمنه شقة تمليك أو شبكة ذهبية . .
والمستقبل غيب في علم الله وخير زاد تتسلح به له هو ان نرعى حدود من

بيده ماضيها وحاضريها ومستقبلها وقد تحصّن له من قبل غيرنا بخزائن من ذهب فلم تحمهم خزائهم من عوادي الدهر وغوائل الزمن ؟ ان اسوأ ما يفعله إنسان بنفسه هو أن يفسد حاضره لحساب مستقبل لا يعلم سوى الله ما سوف يكون من أمره كما تفعل الآن زوجتك ولحسابات انانية لا مكان فيها لعاطفة الأمومة . . ولا لأي عاطفة أخرى .

ومستقبل الأسرة ياسيدى . . همّ مشترك للجميع لا ينبغي ان يفكر فيه عضو من أعضائها لحسابه وحده . . وإنما ينبغي ان يذنب همّه به ويقدر محسوب لا يفسد عليه حاضره في همّه بمستقبل أسرته كلها . . وأولهم ابناؤه . وزوجتك لا ترى في حساباتها سوى نفسها . . وليست مشغولة إلا بها . . لكل ذلك . . فاني لا أرى لك ان تستجيب لأي مطلب في هذا الشأن كشرط لعودتها إلى بيتها وطفليها وأمومتها الغائبة فان كان ضميرها قد استيقظ حقاً وصدقاً . . فلتعد إلى طفليها بلا شروط ولتكفر عن جريمتها في حقها بصدق الندم وحسن الرعاية فرعاية كل أم لأطفالها هو واجبها الإنساني والديني وليس تنازلاً منها تستحق عليه مكافأة تشجيعية أو حوافز اضافية وجائزتها الكبرى عند ربها أولاً وقبل كل شيء ومكافأتها الحقيقية هي ان يشب ابناؤها اسوياء سعداء صالحين . . فيردوا إليها عطاءها اضعافاً مضاعفة . .

فلتعد بلا شروط إذا ارادت . . وإذا قبلت أنت أو فلتضم إليها طفليها اللذين أعجب كيف تحملت مشاعرها الصخرية ان يغيبا عنها عاما وبعض عام ، ولكن ذلك في بيت أسرتهما كما تفعل كثيرات غيرها إلى ان تعدلها مسكن الحضانه .

فإن لم تكن هذه ولا تلك فليفصل الله بينكما بالحق بعد ان بذلت كل
جهدك لانقاذ طفليك من هذا المصير وتسرع باعداد المسكن البديل لها
ولترضى بألم الجراحة الذى تعقبه راحة الشفاء بإذن الله بدلا من معاناة الآلام
المزمنة التى لايزمها ولاشفاء وليرع الله طفليك إلى ان يبلغا السن التى
تستحق فيها حضانتها . . ولتبدأ حياة جديدة مع أخرى تعوضك عما
لاقيت من سوء الحظ وافتقاد الأمان والحق اننا جميعا نحتاج كما يقول
الأديب الفرنسى العظيم فيكتور هوجو إلى الشجاعة لكى نتحمل احزان
الحياة الكبرى . . وإلى الصبر لكى نتحمل الامها الصغيرة . وأنت فى
حاجة إلى هذه الشجاعة الآن لتحمل اقدارك ومغالية احزانك . . اعانك
الله عليها وعوضك عنها بأوفى الجزاء .

الخطر!

أنا رجل في الأربعين من عمري أعمل محاسبا بإحدى الدول العربية . منذ ٩ سنوات صمم أهلى على أن أزوج فعدت في اجازة صيف وخطبت إحدى قريباتى خطبة تقليدية بدون عاطفة سابقة بيننا ، ثم عدت في الإجازة التالية وعقدت قرانى عليها واصططحبتها إلى مقر عملى وأثنا بيتنا بكل ما تتمناه زوجة شابة ووضعت راتبى تحت أمرها فكانت تنفقه كله رغم ضخامته على البيت ، وعللت ذلك بأنها حديثة التخرج والزواج ولم تتحمل مسئولية من قبل فى حياتها وأمّلت فى أنها مع مسئوليات الحياة الزوجية سوف تتعلم الكثير ، لكن الأيام مضت بلا أى تغيير وظهرت العشرة عصبيتها الشديدة وعدم اكتراثها بالحياة وعدم اهتمامها بعلاقاتى بالآخرين . . . فصوتها عالى بشكل مستمر ومزعج ومشاكلها كثيرة ودائمة مع الجيران ولا أعرف لماذا ، مع انى جاورتهم سنين طويلة قبل زواجى فلم تحدث بينى وبينهم مشكلة واحدة وكانوا يحترموننى واحترمهم ، أما الآن فانى اعود من العمل فأسمع صوتها العالى وهى تتشاجر مع زوجة الجيران . ثم تفاقت عصبيتها حين مضى عامان بغير ان نرزق بأطفال فبدأنا رحلة العلاج ولم أقصر فى علاجها ولم ابخل بهال أو جهد فى طلب العلاج ،

وتابعنا رحلة العلاج الطويلة وتكلفت الكثير ثم توقفتُ بعد ان صارحها الطبيب انه لم يعد هناك أى أمل فى انجائها لأن هرموناتها ضعيفة ، ولا أمل فى زيادتها ، والكارثة ان الطبيب قد أبلغها بذلك صراحة . . وليته لم يفعل فقد تضاعفت عصبيتها بعدها بطريقة لايمكن تخيلها وازداد التوتر والإهمال وتركت نفسها تتضخم حتى أصبحت جسانيا فوق التصور وازدادت لامباليتها فأصبحت تضعنى مع اصدقائى وزملائى فى مواقف شديدة الاحراج ، فكل الاتصالات التليفونية التى اتلقاها فى البيت مثلا ترد على أصحابها بأنى غير موجود ، ثم لا تبذلنى بها بعد عودتى للبيت ، حتى لم يعد لنا أصدقاء بالمرّة وأصبح الجميع يخشون دخول بيتنا لاحساسهم بأنها لا ترحب بهم ، وأصبحت مهمتى فى الحياة الآن هى استرضاء هذا والاعتذار لذاك ، كل ذلك ياسيدى والانفاق بغير وعى مستمر ، والاسراف بغير الاحتياط لغدر الزمن وعشرات الطريق على اشده ، وأنا أقول لنفسى اننى اخذتها من أهلها معزة مكرومة . . لذا فيجب الا اجرحها بكلمة وإذا حاولتُ ان انصحها أو اتفاهم معها يزداد النقاش حرارة ثم تعود إلى ماكانت عليه بلا تغيير .

إن الكارثة هى ان أهلها يتصورون أننا فى أسعد حال ونعيش أسعد أيامنا لاننى لم اتعود الشكوى منها وطوال سنوات زواجى لم انطق بكلمة واحدة لأهلها أو أهلى أو اصدقائى عن معاناتى معها ، وهكذا فان الجميع يتخيلون اننا سعداء مع انى أعيش فى الجحيم . . وقد فكرت فى الانفصال عنها ليس طلبا للانجاب ، واقسم لك على ذلك ، وإنما طلبا للراحة والحياة العادية بلا توتر ولا عصبية ولا مشاكل مستمرة مع الناس أجمعين ،

وأنا أعلم ان الانفصال يعنى الموت بالنسبة لها . . لكن ماذا أفعل وأنا أموت ايضاً معها كل يوم وقد بلغت الأربعين ولم يعد في العمر مثلما مضى منه . . فهل تنصحنى بالانفصال عنها . . ام تنصحنى وتنصحها بشيء آخر لعلها تهتدى ويصبح لحياتنا معنا معنى ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : بعض الزوجات لديهن اطمئنان عجيب إلى الغد وإلى انهن مهما فعلن مع أزواجهن فانهن لن يتعرضن لمحنة الطلاق والانفصال . . وهذا وهم خاطئ لأن الاناء إذا امتلأ بما فيه فاض عن جوانبه مالا تعرفه بعض هؤلاء الزوجات هو أن الرجل قادر على اتخاذ قرار الانفصال في أى مرحلة من العمر إذا سلّم باليأس والفشل في إمكان تغير زوجته وانصلاح أحوالها معه . . بل لعله أقدر على اتخاذ هذا القرار الصعب حين يتقدم به العمر عنه وهو شاب في مقتبل حياته الزوجية وموارده محدودة وأطفاله الصغار يشدونه إلى بيته ويصعب عاطفياً عليه فراقهم ويحس بحاجتهم إليه لرعايتهم والاشراف على تنشئتهم . وبسبب هذه الحقيقة التي لا يعرفها كثيرون نفاجأ أحياناً برجال في مراحل متقدمة نسبياً من العمر تصل في بعض الأحيان إلى ما بعد سن المعاش يتخذون فجأة هذا القرار . . ويتعجب البعض له . . أما هم فلا يعجبون له لأنه طلاق مؤجل منذ زمن طويل حالت الظروف دون الاقدام عليه إلا في حينه . تماماً كالقنبلة الزمنية التي تبدو مجرد قطعة من الحديد الصامت ثم تدوى بالانفجار فجأة . . والسبب دائماً هو غياب الحب والتفاهم والتراحم بين الزوجين منذ البداية ، لهذا فإن استمرار بعض الزوجيات ليس دليلاً على نجاحها وإنما قد يكون مؤشراً فقط إلى ان موعد الانفجار لم يحن

أوربنا إلى أن القنبلة قد أصابها العطل من أثر ضيق ذات اليد !
وفي رأى دائما أن الحب والتراحم وحسن المعاشرة والرعاية هي الضمان
الوحيد لاستمرار سفينة الزواج طافية فوق الأمواج وإن غياب العاطفة قد
يعوضه حسن المعاشرة أو الرغبة المشتركة في تجنب الأبناء مشاكل التمزق
بين الأبوين وهو دافع نبيل يكفى وحده ليبرر للإنسان تحمله لظروف
حياته الخاصة أما أن يغيب الحب والتفاهم وحسن المعاشرة والرعاية وفي
حياة زوجية لا أبناء فيها يخشى الزوجان عليهم من مغبة الانفصال . .
فأى شيء يمكن أن يبرر استمرار مثل هذه الحياة وتحمل جحيمها كل
يوم ؟

إن زوجتك يا صديقي فيما أتصور من هؤلاء الزوجات « المطمئنات إلى
غدهن » بغير أى مبرر لهذا الاطمئنان الغافل العجيب ، وهي في تقديرى
تعتمد إبعاد أصدقائك وزملائك عنك متوهمة بذلك أنها تستحوذ عليك
وتبعدك عن أسر أصدقائك وأطفالهم مخافة أن تحس بنقصهم في حياتك .
وهو سلاح ضار تلجأ إليه بعض الزوجات ممن يواجهن هذه المشكلة فيزدن
حياة أزواجهن تعقيدا بدلا من الرضاء بأقذارهن ومحاولة التعايش معها
وتوفير الحياة الطبيعية العادية لهم حتى لا يزدادوا احساسا بجفاف حياتهم
مع العزلة وافتقار الأصدقاء والحياة الاجتماعية المشتركة . ولست انصحك
يا صديقي باتخاذ قرار الطلاق كبداية لحل المشكلة . . لكنى انصحك فقط
بأن تنقل إلى زوجتك الاحساس بأنك تستطيع إذا يشئت من اصلاح
أحوالها أن تتخذ هذا القرار بسهولة خاصة انه لا يقيدك في اتخاذ قيد الأبناء ،
وأتصور ان مجرد اقتناعها بذلك قد يكفى لتغيير الكثير مما تشكو منه ،

فزوجتك - فيما يبدو - من هؤلاء الزوجات اللاتي يحتجن إلى الإيمان بكلمة الفيلسوف الألماني نيتشه : « عش في خطر » بحجة ان الاحساس بالخطر يستنفر طاقات الإنسان للدفاع والتمسك بالحياة مما يسهم في ترقيتها . وفي حالة زوجتك فإن فلسفة « عش في خطر » سوف تفيدها في اثارة حماسها لبذل بعض الجهد والمهارة للحفاظ على ما بين يديها بدلا من ان تفاجأ وهي غافلة بدوى الانفجارا .

الدعاء

هل قرأت قصة الزوجة الصالحة التي ماتت دفنوها زوجها في حديقة منزله حتى لا يبعد جثمانها عنه بعد ان فارقت روحها ؟ . وهل عرفت كيف أخفى نبأ موتها حتى لا يتزعجها أحد منه ثم علم أخوتها بالأمر وتدخلت الشرطة وتم إستخراج جثتها وتبين ان ميتتها طبيعية وانه لا شبهة جريمة فيها حدث وإنما هو وفاء نادر من زوج لزوجة أحسنت عشرته وأحبته بالرغم من انها كانت أكبر سنّاً منه فعزّ عليه فراقها بعد موتها . هل قرأت هذه القصة الجميلة ؟

لقد دفعتنى لأن أرى لك قصتى وأهديها للأزواج السعداء الذين انعم الله عليهم بالزوجة الصالحة حتى يحافظوا عليها ويعرفوا لها فضلها وقدرها ، فقد ماتت زوجتى منذ فترة غير مأسوف عليها بعد حياة زوجية شقية تعيسة ، فلم اصلّ على جثمانها لنذر نذرتة على نفسى ألا أفعل بل رحمت أردد هذا الدعاء منذ خروج روحها حتى تم دفنها وهو: اللهم ضيق عليها قبرها . . اللهم احشرها في زمرة امرأة أبى هب حمالة الخطب . . وكثيراً ما أزور قبرها وأناجيها بهذا الدعاء . فلقد حرمتنى - لاغفر الله لها - من ثلاث وأهدتنى ثلاثاً : حرمتنى من المودة والرحمة والسكن وأهدتنى

الكراهية والتفور والبرود . وقد ترتب على ذلك التالى :

●● حرمانى من حقوقى الشرعية كزوج منذ ليلة الزفاف حتى يوم وفاتها !

●● كانت عوناً للدهر على ولم تكن عوناً لى على الدهر !

●● لم أجد عندها الصدر الحنون بل كان صدرها شوكاً وقنفذاً !

●● انكرت خيرى ولم تعترف لى بجميل قط !

●● كانت تمطرني دائماً بوابل من قذائف لسانها وكان لسانها أحد من

السيف وأشد مرارة من الحنظل وكانت تستخدم أحياناً قبضة يدها كعامل مساعد لللسان !

فكنت معها الزوج العزب رغم انى كنت أعيش معها تحت سقف واحد ونتقاسم فراشاً واحداً لكن جسدها كان محرماً على وجسدى محرماً عليها فلا ملاحظة ولا كلمة طيبة ولم أر وجهها أبداً بل رأيت دائماً فى الفراش قفاها وحتى يوم الرحيل . فما رأى الدين فى ذلك ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة المفزعة أقول : أعوذ بالله . . ولماذا قبلت

استمرار الحياة معها كل تلك السنين ؟ ولماذا لم ترحبها بإحسان وتزوج بمن تجد لديها السكن والمودة والرحمة وتمنعك حقوقك المشروعة بدلاً من اختزان كل هذه الكراهية والحقد عليها سنوات طويلة ثم إفرازها أو «تقيؤها» بعد رحيلها فى شكل هذا الدعاء المنكر وهذا الحديث البغيض عمن أصبحت بين يدي خالقها ولا يجوز لأحد إلا أن يطلب لها الرحمة ؟

بل ولماذا قبلت يا سيدى هذا الهوان وتحملت قذائف اللسان الأحَد من السيف وقبضة اليد الثقيلة وأنت كما توحى رسالتك لم تنجب منها ولم

تسعد معها منذ البداية !

لقد كان الحل الكريم متاحا لك في كل وقت حتى لو كنت في أشد الحاجة مادياً إليها ، إذ ليست هي « الحرّة وحدها التي لا تأكل بثدييها » وإنما الحرّ أيضاً هو الذى يأبى لنفسه المهانة ولو كان في رفضها هلاكه . فأين كنت من هذا الحرّ كل هذه السنين ؟

أنك تسأل عن حكم الدين فيمن تهجر فراش زوجها وتسيء عشرته وحكم الدين فيها معروف إذ أن هجر فراش الزوج بلا مبرر مشروع معصية للمخالق توجب غضبه على من ترتكبها . . وهو من أهم أسباب الطلاق المشروعة كما أن سوء العشرة أيضاً من أسبابه المقبولة . . لكنك لم تسأل عن حكم الدين أيضاً فيمن يستمطر اللعنات على الراحلين وفيمن يدعو على شريكة حياته مهما كانت أسباب هذا الدعاء المنكر ؟ وليس بخاف عليك أننا قد أئمرنا بأن نذكر محاسن موتانا فإن لم تكن لهم محاسن كفيئناهم اذى اللسان والدعاء وتركنا حسابهم لخالقهم ! فإن كنت قد نشرت رسالتك رغم بشاعتها فإننا لأقول للبعض أنه كما أن الطيب من الأعمال لا يُنسى لصاحبه فإن سيئ الأفعال أيضاً لا يُنسى له عند البعض الآخر وإن طال الزمن أو فرق الموت بين الشركاء . . فليصنع كل إنسان لنفسه إذن « ذكرها » بعد ان تبين ان الموت لاينهى أحقاد البعض حتّى على الراحلين والسلام !

ابتسامة الغروب !

قرأت رسالة « الدعاء » المفزعة التى يتحدث فيها كاتبها عن زوجته الراحلة حديثا بشعا ويدعوه - غفر الله له - أن يضيئ عليها قبرها الخ وأريد ان أروى له ولك قصتى .

ففى مثل هذا الشهر منذ سبع سنوات تعرفت على فتاة شابة فى مناسبة هامة فى حياتها هى يوم حصولها على دبلوم المبيعات وبعد أسبوع بالضبط كنت قد خطبتها وعقدت قرانى عليها وعدت إلى الدولة العربية التى أعمل بها لاستكمال سنوات الاعارة . . . ومضى عام على القران تراسلنا خلاله وتبادلنا أجمل مشاعر الحب والوفاء ثم عدت فى الاجازة فى الشهر الذى تعرفت عليها فيه منذ عام وتم الزفاف ، وتحول الحلم السعيد الخاطف إلى حقيقة جميلة . . وفى اليوم التالى مباشرة جاء الأهل ليهتئونا . . وراحت حبيبتي تتحرك سعيدة ومزهوة بحبنا وسعادتنا فلإذا بها تسقط فجأة مغميا عليها بينهم فاضطرب البيت بمن فيه وأسرع أهلها فنقلوها إلى غرفتها . . وأفأقت من غيبوبتها بعد فترة قصيرة لكنها ظلت نائمة بعدها فى فراشها ولا تستطيع ان تستقبل أحدا . . وعرفت منها أنها تعاني من مرض يسبب لها هذه الغيبوبة على فترات متباعدة وأنها تشكو منه منذ

عامين . . فعاهدتها ألا يكون لهذا المرض أى تأثير على حياتنا الزوجية
وقلت لها عبارة ظلت ترددها فيما بعد عتّى . . وهى أن السليم قد يمرض
والمرضى قد يشفى بإذن الله . . كما كررت عليها أيضا نصيحة الأم العربية
لأبنتها المقبلة على الزواج وهى : كونى له أرضا يكن لك سباء . . وكونى له
أمة يكن لك عبدا وكونى له شمسا يكن لك قمرا . .

فكانت هى شمس حياتى منذ أول لحظة جمعتنا فيها الحياة معا وبدأنا
رحلة العلاج الشاقة . . وعرفت أن زوجتى الشابة الملائكية تعاني من بؤرة
صرعية فى الجهة اليمنى من المخ تفقدها وعيها من حين إلى آخر لمدة دقائق
لكنها تبقى بعد كل نوبة نائمة لفترة طويلة . وحملت زوجتى الجميلة بشمرة
حبنا وأراد الله سبحانه وتعالى أن يحفظ عليها جنينها فلم تأت النوبات
خلال فترة حملها إلا متباعدة ولم تصادفها لحكمة أرادها إلا وهى جالسة أو
نائمة فلم تسقط على الأرض مرة واحدة طوال فترة الحمل ثم وضعت
مولودها وبدأت النوبات تتوالى عليها بكثرة كأنها أذن الله لها ان تنطلق من
عقلها بعد أن حبسها عنها معظم فترات الحمل فجاءت شقيقتها لتقيم
معنا وترعى الطفل الوليد الذى حُرم من الرضاع من أمه حرصا عليه كما
أمرنا الأطباء . وظلت اختها مقيمة معنا حتى تم فطام الوليد ثم أصبحت
شقيقاتنا تتناوبن زيارتنا مرة كل أسبوع فتقوم احداهن بغسل الملابس
وطهى الطعام الذى يكفيننا خلاله وسعدتُ بذلك لأنى أخشى عليها من
الوقوف فى المطبخ حتى لا تنفاجئها النوبة فتسقط على البوتاجاز المشتعل أو
خلال قيامها بعمل من أعماله . وكنت أقوم أنا بشئون البيت والمطبخ بقدر
ما تسمح به معرفتى ووقتى فأصنع طعام الافطار لنا فى الصباح وأترك

طعاما للطفل حتى لا تضطر زوجتى للذهاب للمطبخ فى غيابى وانهمض فى الليل للقيام بما يحتاج له الطفل وتعجز امه عن القيام به . . ولا أدع لها عملا تؤديه الا تسخين الطعام للغداء والعشاء وأنا واقف بجوارها ثم نقوم معا بإعداد المائدة ونجلس لتناول الطعام سعيدين ضاحكين متعاطفين ، وفى أحيان كثيرة كنت أسهر على غسل الأواني عقب نومها وبعد أن أغلق النوافذ حتى لا يرانى أحد من الجيران كما كنت أقوم أحيانا بغسل الملابس فى الليل بيدي إذا تأخرت اختها حتى لا يسمع أحد صوت الغسالة ويعرف ما أفعل وكنت أقوم بكل ذلك راضيا وصابرا وقد تناسيتُ حقوقى الزوجية إلى أن يأذن الله بالشفاء ثم مضت بنا الأيام ونحن على هذا الحال راضيين بما ارادته لنا الأقدار . . وفى كل يوم جمعة نقرأ بريدك لتتخفف به ونتعزى بما فيه من هموم الآخرين ونقول فى كل أسبوع وربما فى صوت واحد أن الحمد لله أن حياتنا لا نعرف هذه المشاكل . إلى أن جاء العام الماضى وزادت النوبات الصَّرعِيَّة وحار الأطباء فى أمرها واجروا أشعة بالكمبيوتر فإذا بها تكشف عن ورم فى المخ ولا بد من اجراء جراحة سريعة وخطيرة ومكلفة ماديا . وبفضل الله ومساعدة الأهل والأصدقاء تم ادخالها معهد ناصر واجراء الجراحة لها على يد استاذ عظيم ورافقتُها فى المستشفى قبل وبعد الجراحة أرعاها وأخدمها وأسهر على راحتها وأحلم معها باليوم الذى نعود فيه إلى عشنا الصغير ونستأنف حياتنا الوادعة الهادئة معا وبعد شهر عدت بها إلى بيتى كأنها هى عروس تُزف إلى زوجها لأول مرة . . لكن رحلة العلاج استمرت واضيفت لها جلسات كهربائية يومية على المخ . . وجاءت شقيقتها مرة أخرى لتقيم معنا وتذهب معنا إلى المعهد حين أعود

أنا من العمل لأجلس مع الطفل . . وانتهت الجلسات وتنفسنا الصعداء . . لكنه لم تمر سوى ستة شهور فقط الا وعاد الورم اللعين مرة ثانية إلى المخ وفي نفس المكان . . وعدنا إلى نفس الجراح الكبير وقام بإجراء الجراحة للمرة الثانية ونجحت مرة أخرى والحمد لله وعادت الفرحة إلى قلبي وكانت أمها هي التي ترافقها هذه المرة في المستشفى وأذهب لزيارتها كل يوم . . فلا تأكل حتى آتيها وأطعمها بنفسى ولا تتناول شرابا إلا من يدي وقد ازدادت رقة وملائكية وجمالا . . وبعد أيام فاجأتها غيبوبة تامة طويلة فتم نقلها إلى العناية المركزة ولم تعد تشعر بشيء أو يوقظها شيء إلا حين اقترُب منها وتحس بلفح أنفاسى على وجهها فتفتح عينها وتنظر إلى نظرة طويلة تحمل ظل ابتسامة خجولة كأنها تقول لى بها أحبك واشفق عليك مما عانيته معى لكن لا ذنب لى فيما حدث . . ثم تغمض عينها مرة أخرى وتغرق فى الصمت الذى يحيط بها . . وكنت اناجيها . . وأهمس لها وأؤكد لها أنى أحبها ولست نادما على يوم واحد عشته معها وأدعو لها ربيها ولا أغادر موقفى بجانبها إلا بالحاح من الأطباء وفى اليوم الرابع من غيبوبتها الطويلة جئت إليها وانحنيت عليها واحسّنت هى بلفح انفاسى ففتحت عينها ولكن لنظرة قصيرة تحمل ظل ابتسامة متعجلة ثم أغمضتها على الفور وكان الوقت عند الغروب فتشاءمت وأحسست بقرب الفراق . . ولم تمض فترة قصيرة إلا وكانت نفسها الوادعة المطمئنة قد عادت إلى بارئها فى صمت . . وهدوء وبدأت المراسم الحزينة ووقفت على اعدادها للرحيل كما أوصتنى بذلك وتأملتُها وهى تنام هادئة مطمئنة فإذا بوجهها أكثر جمالا مما رأيته يوم القران وليلة الزفاف وكل أيامى معها . . وقد اكتسى بجلال ملائكى أعجز عن وصفه وأحاطت به هالة من نور شفيف فجلسنت إلى جوارها أقرأ لها سورتى يس وتبارك . ثم تجمع الأهل والأصحاب لوداعها فشاركت فى حملها إلى رحلتها الأخيرة على كتفى وأنا

أردد لا إله إلا الله . . لأبقى إلا وجهك اللهم فأرحمها وأعف عنها وأغفر لها وأفسح لها في قبرها واجعله روضة من رياض الجنة . . وجاف الأرض عن جنبيها اللهم أجمع بيني وبينها وصل ما انقطع بيننا في رحابك يوم يكون اللقاء . . اللهم تقبل منها وعوضها عن كل مالم ينهلها العمر للاستمتاع به في جنتك يا أرحم الراحمين .

وظللت أردد لها هذا الدعاء حتى ووريت الثرى . . وعدت إلى بيتي الخالي . . ومازلت أردده لها كل يوم . . وقد مضت أيام على رحيلها وانطوت صفحاتها القصيرة قبل أن تبلغ الثلاثين من عمرها وقد لاحظت في غمرة اشجائي أنها قد رحلت عن الحياة وعنى في نفس اليوم الذي عقد فيه قراننا منذ سبع سنوات وفي نفس اليوم الذي تم فيه زفافنا منذ ست سنوات . . فادع لي ربك بالصبر والاحتفال . . وادعه لابني الذي يبلغ من العمر الآن ٥ سنوات ويحسب براءة الأطفال أن أمه في سفر قصير ينتظر عودتها منه بلهفة . أما أنا فدعائي لك وللجميع هو : اللهم لا تفرق بين حبيبين من بعدى اللهم فأجعل لمن ليس له حبيب حبيباً يحب الحياة من أجله ويحس معه بجملها . . ربنا وتقبل دعاء . . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

□ أول كتاب هذه الرسالة أقول : مما يعزى المرء عن بعض أحزانه استشهاده الرضا عن نفسه لأنه لم يخلد أحدا . . ولم يتسخط على قدر اختاره له الله . . ولم يخن نفسه ولا واجبه الإنساني تجاه من تطلع إلى وفائه فكان له من الأوفياء وكان للآخرين في عنتهم حيث يجب أن يكونوا له هم في شدائد الحياة .

ولاشك أنك يا سيدي تحس هذا الرضا عن النفس الآن إذ كنت خير شريك لمن أحببت ولمن جمعت بينك وبينها الحياة خلال هذه الرحلة القصيرة التي لم تطل أكثر مما يطول شفق الغروب . . ولابد أن زوجتك

الراحلة كانت ملائكية الروح والطبع وتستحق وفاءك وإخلاصك لأن «
المرء مع من أحب » كما جاء في الحديث الشريف أى تجمعها غالباً شائلا
وخصال متشابهة ونظرة متقاربة للحياة .

لقد قال أحد الشعراء يوما « ولا يبعث الأحران مثل التذكر » . وهذا
صحيح . . ولكن أى نوع من الأحران؟ أهى الأحران التى تُفسى القلب
وتصبغه بالسواد وتضع بينه وبين البشر السدود فلا يمتنى لأحد خيرا ولا يرق
لآلام أحد ؟ إن كانت كذلك لحق لنا أن نستعجب لنصيحة عمر بن
الخطاب حين قال لا تستغزوا الدموع بالتذكر ، أما إذا كانت من الأحران
التي ترقق المشاعر والقلوب وتكسبها رهاقة وشفافية تن معها لآلام الغير
. . وتتمنى لو استطاعت أن تخفف عن الآخرين بعض ما قاسته هى
وعانت منه ؟ فلا بأس بالتذكر من حين لآخر . . بلا مغالاة وبلا استغراق
فيها يحجب عنا رؤية ضوء الشمس حين تشرق من جديد بعد ظلام
الأحران . . ولا شك أن أحزانك من هذا النوع الذى يضيف إلى الحياة
ولا يخصم منها وليس ادل على ذلك من أمنتك الصادقة للجميع بالا
يُجرموا ممن يحبون بعد أن قاسيت لوعة الحرمان ممن تحب وهى أحزان
لا يملك المرء إلا أن يقف أمامها حائى الرأس داعيا لك ولكل المحزونين
بان يجفف الله دموعهم ويعينهم على أمرهم بقلب صبور ونفس متطلعة إلى
رحمته وإلى مواعدها مع السعادة بعد الشقاء .

فليقبل الله دعاءك للآخرين ودعاء الآخرين لك ولطفلك البريء . .
وليعوذك الله عن آلامك خيرا كثيرا وشكرا لك على رسالتك النبيلة .

الندم !

قرأت رسالة الزوج التي نشرت بعنوان « الدعاء » والتي يتحدث فيها زوج عن زوجته الراحلة ويصف عذابه معها ويستمطر عليها اللعنات حتى ليدعو وهي لم تُواز التراب بعد : اللهم ضيق عليها قبرها إلخ والحق إنني أعيش ظروفًا مماثلة لظروف كاتب الرسالة لكنها تختلف عنها في ثلاث نقاط :

- ان زوجتي ما زالت على قيد الحياة وانى ادعو لها الله دائما بأن يغفر لها ما كان منها في حقى طوال ٢٥ سنة
- ان لى ابنا منها قد يكون هروما دعانى إلى الصبر عليها طوال هذه السنين حتى استطيع تنشئته بين أبوين قد لا يكونان سويين لكنهما على الأقل على قيد الحياة ولم يتحر احدهما أو يقتل الآخر .
- ان كاتب رسالة الدعاء رغم ان زوجته حرمته من نفسها منذ ليلة الزفاف وحتى ماتت فلقد كان على الأقل يستمتع بالنوم إلى جوارها في فراش واحد سواء أعطته وجهها أو قفاها كما قال أما أنا فانى أنام وحيدا في غرفة مستقلة منذ ٢٥ عاما .
- ولست ازعم أنها السبب الوحيد فيما وصلنا إليه وإنما اعترف بأن جزءا من المسؤولية يقع على بصبرى عليها وبعدم تمسكى بحقوقى الزوجية

المشروعة معها . . وقد كان وجود ابن بيننا مما شجعها على التبادى فى الخطأ
ودعانى إلى التجاوز عنه .

والآن أسألك يا سيدى وقد تخرج ابنى وتوظف وأديت رسالتى أليس
من حقى ان أتزوج إذا كان فى العمر بقية ؟

أرجو ألا تلومنى على أنى أخطأت بهذا الانتظار فالظروف تجبر الإنسان
أحيانا على قبول حياة لايرضاها تضحيةً منه لهدف كبير . . ولقد كان ابنى
الوحيد هو هدفى ولست نادما على أنى تكبدت المعاناة والحرمان طوال هذه
السنين من أجله وحتى لو ندمت . . فهل ينفع الندم ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : لا ياسيدى لا ينفع الندم . لهذا فلا
تندم على ماكان من أمرك طوال السنين الماضية ، فلقد اخترت التضحية
بسعادتك الشخصية من أجل هدف سام هو رعاية ابنك وتنشئته تنشئة
سوية فانقذته بذلك من التمزق النفسى بين أبوين منفصلين . ولا شك
انك تحس الآن بالرضا عن نفسك لأن تضحيتك كانت لها ثمرة تستحق
العناء لإنضاجها أما من يحقُّ له الندم والحسرة فعلا فهو من تكون تضحيته
بلا ثمن ولا عزاء وأنت لم تكن لحسن الحظ كذلك ولا شك ان إنسانا عادلا
مثلك لايعفى نفسه من بعض المسئولية عما تردت إليه الأمور ولا يعتقد أن
الخطأ دائما هو حكر على الطرف الآخر يستحق ان تدخر له الدنيا سعادة
مؤجلة تعرضه حين يشاء الله عما عانى وصبر . . وتكون جافزته العادلة
عما قدم للحياة . وفى العمر بقية دائما ياسيدى لمن شاء له ربه حسن
الجزاء .

الشهود!

منذ قرأت رسالة « الدعاء » في أواخر الصيف الماضي للزوج الذى راح يستمطر اللعنات على زوجته الراحلة لأنه لم ير منها سوى « قفاها » معظم حياته معها ، وأنا أريد أن أكتب إليك أيضا قصتى التى لا أعرف لها عنوانا ملائما ، فقد حرمتنى زوجتى هى الأخرى المودة والرحمة وأهدتنى الكراهية بطول لسانها وعدم خشيتها لله والناس أنها يا سيدى لاتقبل نصحا ولا توجيها ولا تنصاع لشيء ولو كان الضرب وقد استنفدت معها كل وسائل الإصلاح فوجدت نفسى بعد ١٠ سنوات من حياتى معها اعاشر زوجة ناكرة للجميل أنانية قاسية مع أولادها تجلس إلى المائدة مع أولادها وهم صغار وتنصرف إلى طعامها وهى مقطبة وتترك أطفالها لما أمامهم من طعام بغير أى محاولة لترغيبهم فيه فإذا رجوتها ان تفعل قالت بكبرياء أنها لا تدعو أحدا إلى الطعام ! تتشاجر معى ٢٥ يوماً كل شهر ونعيش ٥ أيام فقط فى هدوء نسبى ، تدعى أنها تربوية ولا تعرف كيف تربي أبناءها وتهاجنى أمامهم وتولول وتشكو بصوت عال منهم ومن سوء تربيتهم وأخلاقهم كأنهم أبناء سيدة أخرى لم تسمع باسمها من قبل !

حياتها تنحصر فى شيئين سيرة الآخرين والشكوى الدائمة من كل شيء والويل كل الويل لى ان لم استمع باهتمام ولم أجاملها بتأييدها فى أى

شكوى ، ورغم ذلك فهي في حالة شجار دائم معى ومع الناس ومع الأولاد والجيران ، وتحرص على ان تشرك أولادى الصغار الذين لايزيد عمر أكبرهم على ٩ سنوات في كل شجار أو نقار بينى وبينها وتعتمد ذلك بحجة ان يكونوا شهودا علىّ ! أى على أبيهم وهم في هذه السن الصغيرة ! لقد يشست من كل شىء ومن محاولات الاصلاح بعد ان شكوتها لأهلها مرة فكانت الطامة الكبرى إذ كيف اشكوها وكيف اذيع اسرار بيتى خارج جدرانها مع ان كل جيراننا يسمعون نشرة اخبارنا اليومية من صوتها الجمهورى ومشاجراتها التى لاتنتهى .

إننى أعمل عملا اتعامل فيه مع الجمهور واعود إلى بيتى مكدودا لا أطلب إلا السلام والراحة والهدوء فلا أنال شيئا مما أبغى وقد لاحظت للأسف أن ثمار النكد المستمر قد اينعت ، فالولد الكبير قد ترهل وأصبح بدينا لأنه لا أحد يراقب طعامه ولأنه لا يخرج كثيرا ، والأوسط يعانى من السرحان والتوهان وعدم الأكل إلا بالترهيب أو الترغيب الشديدين والولد الأصغر لديه نزعة عصبية زائدة ورغبة في التدمير ، وهم الثلاثة طوال فترة صحوهم يتلاحون ويتناوشون ويتناهشون باستمرار كأشبال الحيوانات الشرسة !

فهل تستمر معاناتى مع هذه الزوجة إلى الأبد أم اطلقها وأنا لا أعرف كيف أسدد ماسوف تطالبنى به من مؤخر وقائمة اثاث ونفقة وحضانة أطفال ، لقد استشرت محاميا صديقا فنصحنى بأن اصلح من أمورى معها وأمرى إلى الله لأنى موظف ولست قادراً على مجابهة متطلبات طلاقها ، واستشرت مأذونا فنصحنى بهجرها بضعة شهور ثم الزواج عليها وللأسف

فإن ظروف العمل والسكن لا تسمح لى بالهجر داخله ولا بالزواج حاليا . .
فماذا أفعل وهل لو طلقتهما أجد من يمكن أن تكون أمًا صالحة لأطفالي
الثلاثة هؤلاء بدلا من أمهم المزيفة هذه ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : أنا من مؤيدى صديقك المحامى لأنه
يعرف ظروفك بأفضل مما أعرفها أنا ولابد أنه يرى ان هناك بصيصا من
الأمل فى اصلاح الحال بينك وبين زوجتك أو أنه لا أمل اطلاقا فى مواجهة
تحديات مشروع الانفصال المادية ، ومن نكد الدنيا ان يصبح حتى
الانفصال البغيض فى بعض الأحيان ترفاً لا يقدر عليه إلا القادرون !

وسواء كان هذا السبب أو ذاك فان ثلاثة من الأطفال الصغار لم يبلغ
أكبرهم العاشرة ، مسئولية إنسانية كبيرة تفرض عليك ان تحاول مرة أخرى
وآلا تستسلم كثيرا لأحلام اليقظة التى تهين للمكدودين أحيانا إمكانية
تغيير حياتهم وتحقيق أحلامهم الوردية بغير عناء . فالواقع يختلف كثيرا عن
الحيال ، والإبناء الصغار الذين يحتاجون لرعاية الأبوين مهما كان اعتراضنا
على أسلوب أحدهما أو أخطائه ، يفرضون على أهل الاحساس بالمسئولية
ان يعملوا أحيانا بما أورده أبو حيان التوحيدى « فى الامتاع والموانسة » نقلا
عن حكيم اسمه محمد بن واسع من أنه « ينبغى على الرجل ان يكون مع
المرأة كما يكون أهل المجنون مع المجنون . . يحتملون منه ويصبرون عليه» ،
وان كنت أو من شخصيا بأن نفس هذه المسئولية تفرض أيضا على المرأة ان
تكون مع الرجل كأهل المجنون مع المجنون بنفس القدر ولنفس هذا الهدف
النبيل .

فتخفف من تشاؤمك ولا تفقد الأمل فلا شك ان حياتك لابد أنها

تشهد بعض فترات الصفاء والهدوء وأنت تستطيع ان تزيد من مساحتها تدريجيا بالصبر والحكمة . . إن زوجتك مخطئة بلا شك في ميلها للنزاع والشجار وفي اهمالها لأطفالها وفي منطقها الخاطئ تماما في اشهادها لهم عليك . بل وفي مجرد أشعارهم بأي شجار أو خلاف معك وينبغي ان تتوقف عن ذلك تماما وأن تحجبا معا كل مشاحناتكما العادية عن مرأى ومسمع الأطفال بقدر الامكان ، وعليك أنت أن تحاول تعريض أطفالك ما ينقصهم من جوانب الرعاية ، وإن تعتصم بالصبر معها وتسمع لشكاواها بأناة واهتمام وتشجع مبادراتها ومحاولاتها ، وإن تتعامل معها بنظرية محمد بن واسع حتى النهاية حرصا على الأطفال فإما ان تثمر النظرية ثمارها وتسعدا معا بحياتكما ، وأما ان تكسبا سنوات أخرى قبل أن يتحطم المعبد فوق الرؤوس .

ولاشك أن هذا هو الأفضل في مثل ظروفك فابتسم فيما تشكو منه شكا منه قبلك كثيرون بعضهم من العظماء والفلاسفة ! لقد ماتت زوجة الناقد الإنجليزى العظيم صمويل جونسون وكانت تكبره بعشرين سنة فوضع على قبرها شاهدا رخاميا نقش فوقه باللاتينية هذه العبارة :

« جميلة . . مهيبة . . ماهرة . . تقية » . .

وبعد وفاتها بقليل سُئل هل كانت كما وصفتها حقا فأجاب في هدوء ، أن المرء لا يقسم على أن يقول الحق حين يكتب ما يريد على شواهد القبور ! .
وغير جونسون كثيرون فلا تبتئس !

الدوائر المتقاطعة

داومت على القراءة لك والاعجاب بها تكتب فترة طويلة لكن ذلك لم يشبع فضولى فى الإجابة على سؤال يلح على وأريد أن أوجهه لك هو: « هل أنت متزوج » ؟ طبعاً أنت متزوج ! إذن فمن أين تأتى بهذا « الروقان » والصبر والخبرة التى تتجلى فى ردودك ؟ لقد كان لابد من هذا السؤال حتى أقص عليك قصتى العادية جداً المأساوية جداً . فأنا ياسيدى متزوج - للأسف - وعندى والحمد لله طفلان جميلان ! ولست أدعى خبرة الحياة لكنى مع ذلك تزوجت حبيبتى بعد قصة حب قوية وعارمة قهرنا خلالها صعباً كثيرة وتعاوننا معاً لاتمامها وساعدنا أهلها وهم من ذوى الثقافة والحياة الميسورة ، وساعدنى أبى الموظف الكبير فى ذلك الوقت قدر طاقته . وتم الزواج الذى كان حلماً جميلاً لكنه مع مرور السنوات ومجىء الأطفال ظهرت أوجه الاختلاف بيننا فى كل شىء . فى التفكير والتنفيذ والنظام حتى فى طريقة الأكل وأصبحنا غرباء فى العش السعيد الذى حلمنا به . فهى حادة وصارمة مع طفلينا إلى أقصى حد تتخيله وتتبع نظاماً قراقوشياً عجبياً معها فيما يتصل بمواعيد الأكل والنوم . وأنا بحكم عملى وهو عمل خاص يقتضى أن أعمل صباحاً ومساءً أفهم ضرورة النظام فى أى حياة لكنى حاولت مراراً افهامها أن مازاد عن حدّه انقلب إلى ضده ولكن

هيات أن تقتنع . وعند أى خلاف عابر حول الأطفال مثلاً أو أى شيء
تستطيع ان تسمع صوت سلبية الحسب والنسب وخريجة الجامعة
الأمريكية . . وأنت عند باب العمارة ! . وحتى اتجنب الفضيحة بين الناس
ولكيلا تتضارب وتماسك وهذا آخر ما أتوقعه فقد تنازلت عن حقى فى
الدفاع والزعيق بطريقة غوغائية كما تفعل هى . . وأنا كبشر لى اخطائى
ككل إنسان لكنى أستطيع ان اتقبل النقد بروح رياضية . . بل وأحب
النقد البناء الذى تعتبره هى إذا مارسته معها بمتهى الرقة قذفا وسبا علنيا
يستدعى الاساءة إلى شخصى والتأكيد على إنى جلف وفلاح وإن «الملاطف
سعد ياعبد العال» إلى آخره ثم يعلو صوتها بحدة وانفعال شديدين ولا
مانع من الاساءة إلى الوالدين الكريمين فى الطريق فأجندنى فى النهاية
مشاركاً معها فى وصلة ربح بصوت خفيض من جانبى وصوت حيائى من
جانبها . لقد أثرت السلامة وابتعدت عن تربية الأولاد أو النصيح وتركنت
للمربية العظيمة الدقيقة جدا فى كل شيء التى ضحت بعملها ومرتبها
الكبير لتتفرغ لأسرتها هذا العبء وأصبحت الحاكم بأمره لكنى أعانى
الوحدة ياسيدى فلقد قامت زوجتى بقطع كل صلاتنا بالأصدقاء
الكثيرين الذين كانوا حولنا ولولا تمسكى بأن أزور أهلى من حين لآخر
لكان من نعرفهم من أهل الأرض جميعاً هم أبواها واخوتها . أرجو الا
تتصور أنى طيب أكثر من اللازم معها . . فانى فى الحقيقة أراعى فقط
طفلى ومصمم على أن ينشأ فى أسرة طبيعية بغير ان يحسأ بأى مشاكل بيننا
ولو اضطررتى ذلك للانسحاب من المناقشات أمامها حتى لا يرتفع صوتنا
ويتسلل الخوف إلى قلوبهما . . فأنا حريص على توفير جو الأمان النفسى

الذى تطالب أنت بتوفيره دائما للأطفال . . فلماذا لاتتوجه بالنصح لمثل هؤلاء الزوجات لتعم الفائدة . . وإذا كنت ترائى مقصرا فى حق نفسى أو طفلى أو مركزى الاجتماعى المرموق فأرجو ان توجهنى . . فإنى لم اختلف معك فى رأى من قبل ولن اختلف معك إذا رأيتنى مقصرا فى هذه المشكلة التى حولت بيتى إلى جحيم أتمنى الخلاص منه بأى شكل .

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : من أسس الحب والسعادة فى الزواج سلوك الزوجين سلوكا نفسيا حسنا أحدهما بالنسبة للآخر . . وتجه الحياة بشكل عام . والتسلط والعناد والتشبث بالرأى والعصية الشديدة فى التعامل مع الآخرين وانفلات الأعصاب إلى حد التراشق بالكلمات الجارحة والصوت العالى ليس من قبيل السلوك النفسى الحسن الذى يحقق السعادة والاستقرار للحياة الزوجية .

وظهور الاختلاف بين مشاربكم بعد الحب والزواج ليس فى حد ذاته أمرا مستغربا فالشاعر الألمانى العظيم جوته يقول : إنه يندر ان تجد بين أوراق الشجر ورقتين متشابهتين تمام التشابه وأنه لاعجب إذن فى أنه يندر أن ترى أيضا بين البشر اثنين تتفق آراؤهما وأساليب تفكيرهما تمام الاتفاق . والوعى بهذه الحقيقة ييسر علينا التسليم بحق الآخرين فى الاختلاف عنا فى تفكيرهم وأسلوب حياتهم ويقنعنا بأنه يستحيل علينا ان نجعل منهم نسخاً مكررة منا ومن طريقة تفكيرنا لكن المهم دائما ان تتقاطع دوائر الاتفاق مع من نشاركهم رحلة الحياة على مساحة كافية لاستقرار الحياة وإطرادها فى أمان ومودة وسلام . وإن تكون دوائر الاختلاف هامشية بعيدة بقدر الامكان عن أمور الحياة المصيرية والرئيسية . والزواج ياصدق فى

رأى الكاتب والعالم «هافلوك أليس» أقوى دافع تعليمي في مدرسة الحياة كلها!

ومن أهم مانتعلمه منه هو الصبر والمرونة والاستعداد للتنازل عن بعض مطالبنا اليسيرة لكيلا تتحطم سفينة الزواج على صخرة العناد الغبي . ومن أهم مايجعل ملاحه هذه السفينة هادئة وناعمة هو استقرار الاحترام في نفس الزوجين كل منهما تجاه الآخر حتى وإن اختلف معه في بعض آرائه . والحرص على توفير الأمان النفسي للأطفال وتجنبيهم التفرج على حلقات المصارعة الزوجية الحرة أمر مطلوب دائما ويعكس استعداد كل طرف للتضحية ببعض اعتباراته الشخصية من أجل اسعاد ابنائه . لكنه لايد دائما أن يكون حرصا متبادلا بين الطرفين وليس من جانب واحد فقط وإلا تحول إلى نقطة ضعف لايقدرها الآخر حتى قدرها فيتأذى في تسلطه وغباؤه . ورأى دائما ان الصوت البشع المدوى الذي يسمع به الآخرون هو ضد التفكير السليم والرأى الراجح لأنه صوت الانفعال الأحمق وليس صوت العقل . والعقل والانفعال لايجتمعان أبدا في نفس اللحظة . والمرأة التي يعلو صوتها على زوجها تفقد نصف اسلحتها للاقناع وتسحب بغير وعى من رصيدها في قلب زوجها مهما كان مفتونا بها . وكذلك الرجل حين يعلو صوته مدويا على زوجته فالاحترام بين الزوجين وتجنب كل منهما الاساءة لشخص الآخر والقذف في حق أبويه وأسرته من بذيبيات دوام حسن العشرة وتعميق الروابط بينهما . فإذا تجاوز أحدهما هذا الخط الأحمر في علاقته بالآخر فلقد جرحه جرحا غائرا يرسب المرارة في نفسه ويمهد لتحول مشاعره عنه تدريجيا إلى أن يأتي يوم يكتشف فيه ان أشياء كثيرة قد

تربط بينه وبين من يعاشره كالأبناء وغيرهم لكنه ليس من بينها بكل تأكيد الحب والاعتزاز بشريك حياته فيسهل عليه في الوقت المناسب التخلي عنه بلا معاناة .

وبعض الزوجات وكذلك بعض الأزواج لا يتعلمون الحكمة إلا بعد ان تصدمهم الحقائق القاسية . . وبعد ان يفاجأوا باننيار المعبود فوق رؤسهم . وأسرع الطرق المؤدية إلى ذلك هي الانفعال الأحمق والصوت العالي وتراكم الإساءات . فلتحذر زوجتك هذا المصير . . ولتخفف من غلوائها وإدلالها عليك بأسرتها التي تريد ان تقصر علاقاتكم عليها . . ولتعلم ان لكل صبر نهاية وانه ليس من حق من تعامى عن المقدمات الخطيرة ان يشكر سوء النهايات . أما أنت يا صديقي فوازن بين حرصك على تجنب الفضائح وبين حقك في ممارسة مسئولياتك كأب وزوج ينبغي على زوجته ان تحرص على احترامه وعدم المساس بكرامته الشخصية مهما اختلف معها في الرأي . ولأبأس من الاستعانة بأبويها عليها ، عند الضرورة لاقناعها بعدم تجاوز الحدود في خلافاتها معك . ولتذكيرها دائما بأن المرأة الجميلة تفقد جمالها في اللحظة التي يرتفع فيها صوتها بشعا مدويا . كما حاول أيضًا ان تجنب استثارها بالكلمات القاسية حتى ولو قيلت بصوت خفيض . . فالصوت الخفيض قد يُدمى أيضا بأكثر مما يفعل أحيانا الصوت العالي . والحياة ياسيدي ملاحه صعبة تتطلب من الرنان كل فنون الصبر والخوف والمهارة والخبرة بالنفوس البشرية لكي تمضي إلى غايتها سالمة . وربما كان هذا ماتقصده بكلمة « الروقان » « الغريبة » في بداية رسالتك . وما هو كذلك في الحقيقة . . لكن شكرا لك على أية حال .

أماكن .. في القلب

أكتب إليك رسالتى هذه بعد أن جفت الدموع فى عيني وفقدت كل شيء حلو فى حياتى . . ولم أعد اعرف سوى طعم المرارة ولم أعد انظر حولي إلا لأرى السواد يحيط بى من كل جانب فأنا زوجة وأم لثلاثة أبناء أكبرهم فى التاسعة عشرة وأصغرهم فى العاشرة من عمره وعمرى ٤٥ سنة وأعمل موظفة بإحدى الإدارات الحكومية .

وكان زوجى مديراً مالياً فى إحدى الشركات وعمره كعمرى تماماً . . ومنذ ثلاث سنوات بدأ يشكو من ورم فى ساقه ورحنا نتردد على الأطباء . . فبدأ أحدهم بعلاجه علاجاً خاطئاً أثر على وظائف بعض أعضاء جسمه ودخلنا فى متاهات طويلة انتهت فجأة بأن أسلم حبيبى وعمرى وشريك حياتى روحه بين يدي ورحل فى هدوء الملائكة وأنا أنشبت به . . وأريد أن أفديه بعمرى وأعطيه كبدي . . لقد مضت الآن على رحيله خمسة شهور لم أعرف خلالها طعماً لشيء ولا أفرق بين النوم والصحى أسير فى الطريق والدموع فى عيني انظر للشوارع التى سرنا فيها معا . . والأماكن التى جلسنا فيها . . ولا أشعر بالزحام حولي ولا اسمع إلا صوته ولا أرى إلا وجهه فى كل مكان . . فى بيتى وفى عملى وفى وجوه الناس الذين يملأون الشوارع . لقد كان جميلاً فى كل شيء فى روحه وطيته وحنانه

وتدبته وبرّه بالديه لكنه ذهب ليسعد عند ربه بيا فعل من خير في حياته . . وتركنى وحدى أبحث عنه وأحسد التراب الذى ينام عليه ولقد فكرت أن أكتب لك هذه الرسالة بعد أن تنبهت إلى انى سأفقد أشياء أخرى ثمينة بعد أن فقدت أهم ما كان في حياتى برحيل زوجى فلقد استسلمت منذ أيام لنوبة البكاء الطويل التى تغلبنى كلما عدت إلى البيت فجاءنى ابنى الصغير وسألنى لماذا تبكين يا أمى انك ستموتين أنت ايضا بهذه الطريقة ؟ فلم أشعر بنفسى إلا وأنا أقول له في زفرة من القلب المكشوف : يا ريت . . فإذا بالصغير يقول لى في براءة : ونحن يا أمى . . ماذا نفعل بغيرك . . وبغير أبى . .

فاهتززت وارتجفت . . ونظرت إليه طويلا وأنا صامته وفكرت في عبارته البريئة وتأثرت بها كثيرا فوجدت نفسى انهض فأتوضأ وصليت ركعتين لله واستغفرت ربي كثيرا . . ودعوت لزوجى بأن يسعد في الجنة بما لم يمهلها العمر ليسعد به في الحياة ودعوت لأولادى بأن يحميهم الله من غوائل الحياة بعد ان غاب عنهم مرشدهم ودليلهم والمظلة التى كانوا يحتمون بها . . ودعوت لنفسى بالصبر والقوة . .

أرجو الا تقول لى ان إيمانى ضعيف . . فأنا مؤمنة بالله وقضائه وقدره . . لكنها لوعة الفراق ياسيدى . . ماذا افعل فيها !

وماذا تقول لى لتعيننى على أمرى من كلماتك التى تداوى الجراح .
□ ولكاتبه هذه الرسالة أقول : أحزان الحياة الكبيرة يا سيدتى تتطلب شجاعة أكبر لاحتياها والصمود لها وتفادى آثارها المريرة في الفترة الأولى التى يكون لحييها فيها متأججا .

والحزن احساس إنسانى نبيل عرفه الأنبياء والرسل والمصلحون ولم يعبه

أحد على غيره الا للخوف من أن يكون مدخلا لليأس والاستسلام
والانسحاب من الحياة مما يفتح الباب لتمنى الرحيل . . وتمنى الموت حرام
شرعا ياسيدتى . .

ولا شيء كالإيمان بالله والتسليم بإرادته والصبر والصلاة يعينان
الإنسان على مهادة أحزانه والتعايش معها إلى أن يخفت لهيب الأوار
تدريجيا مع الزمن . . ويتحول الحزن اللاذع إلى حزن رقيق يصاحب
المحزون في حياته ولا يعوقه عن أداء واجبه الإنسانى العام تجاهها وتجاه من
يتحمل أمانة المسئولية عنهم .

وأفضل ما ينصح به المرء للتخفف من احزانه هو الانشغال عنها بكل
ما يستحق الاهتمام به من شئون الحياة العديدة كالاستغراق فى العمل ورعاية
الأبناء والمشاركة فى النشاطات الاجتماعية وخلق اهتمامات وصداقات
وعلاقات اجتماعية جديدة . . وتجنب الانفراد بالنفس لفترات طويلة . .
وتجنب كل ما يذكر الإنسان بأحزانه خلال فترة تأججها الأولى فافعل كل
ذلك يا سيدتى . . واستمعى إلى صوت البراءة الحكيم الذى أنطقه الله بما
قال ليتشلك من أحزانك . . والتمسى العزاء والسلوى عمن غاب عنك
فى رعاية ابنائك ومراقبة تجدد الحياة وتواصلها فيهم مكررة نفس الرحلة
الأبدية ففى ذلك كثير من العزاء لك . . وفى ذلك كل الأمل فى التغلب
على الأحزان . . وفى عدم مضاعفة الآلام باضافة ماقد يصيبنا من خسائر
صحية جديدة إلى ماقد خسرنا من قبل بفقد الأعرزاء .

الموعد الأخير !

منذ أربع سنوات كتبت إليك أننى سيدة عمرى ٢٩ سنة تزوجت منذ ١١ عاما . وصاحبت زوجى المعار إلى إحدى الدول العربية ووجدت سعادتى معه وعشت معه فى بيت من الطين ولم أطمع فى ماله ولم أغير اثاث شقتى فى القاهرة ، وإن زوجى طيب وحنون ويحلم بانجاب ولد لكنى حملت ٥ مرات وفى كل مرة اتعرض للاجهاض بعد ٤ أو ٥ شهور ولتأعب صحية جمة بعده رغم حرصى على اتباع تعليمات الطبيب واستلقائى على ظهرى طوال فترة الحمل وقد حذرني بعض الأطباء من الحمل مرة أخرى بعد الاجهاض المتكرر فكتبت إليك استشيرك ماذا افعل وهل اجازف بالحمل مرة أخرى ارضاء لزوجى فنشرت رسالتى بعنوان «الموعد» ونصحتنى باستشارة طبيب كبير فى القاهرة أولا فان اشار بعدم خطورة الحمل مرة أخرى حملت تحقيقا لأمل زوجى فيه وإذا حذرني منه كان على ألا أعرض حياتي للخطر وإن ادع لزوجى ان يختار لنفسه ما يراه ، وقد نفذت نصيحتك وذهبت لأستاذ كبير فى القاهرة فأجرى لى فحوصا عديدة ووصف لى علاجا أمرنى بالمواظبة عليه لفترة طويلة ثم نصحتنى بضرورة ربط عنق الرحم فى حالة الحمل من جديد وعدت لزوجى ومضت ٣ سنوات لم أحمل خلالها ثم حملت منذ ٨ شهور وتصادف حلى مع نشوب

حرب الكويت وإعلان الطوارئ في البلد الذي نقيم فيه فلم استطع العودة للقاهرة مع العائدين خوفا على حملي من السقوط وأصبحت حياتي كلها نوما متواصلا لمدة ٢٤ ساعة على السرير ولا أغادره رغم إعلان حالة الطوارئ وسقوط الصواريخ ونداء التليفزيون للسكان بالنزول إلى الطابق الأرضي من العمارة عند إطلاق صفارة الانذار . . فكان السكان ينزلون عند إطلاق الصفارة واطل أنا في سريري اقرأ القرآن وادع الله بالنجاة لجنيني قبل وكان زوجي خلال ذلك يعمل في وزارة تتطلب حالة الطوارئ مبيتة فيها فكنت لا أراه إلا كل ثلاثة أيام فيجئ ليطمئن على ويقدم لي الطعام ويغسل لي ملابس ثم ينصرف وأنا أودعه بالشكر والدعاء بأن يحفظه الله من كل سوء .

ثم بدأت حالة الطوارئ تنتهي فطلبت من الطبيب ادخالي المستشفى لأريح زوجي من خدمتي المتواصلة إلى جانب عمله ودخلت المستشفى وامضيت فيه ثلاثة شهور كاملة والطبيب والمرضات سعداء بحملي السادس الذي لاحث بشائر نجاحه هذه المرة وفي الرابعة من بعد ظهر كل يوم يكون زوجي أول من يدخل المستشفى عند السماح بالزيارة فيقدم لي الطعام في السرير ويمسح فمي ويدي بفرطة مبللة بعد الأكل ويقدم لي العصير . . وأنا احرص على عدم تحريك أى عضلة في جسمي خوفا على الجنين حتى لقد كنت أصلي في شهر رمضان بجفوني فقط . . وزوجي لا يكف عن الدعاء لي وعن قراءة القرآن الذي أتمه في رمضان ٣ مرات . وقرب نهاية الشهر السادس من الحمل فاجأني التزيف وأمر الطبيب بنقل إلى غرفة الولادة فوراً . ولم أشعر بشيء إلا فيها . . والأطباء يقررون إجراء ولادة

قيصرية لى ويستكتبون زوجى اقرارا بعدم مسئوليتهم عن حياتى لأن وضع الجنين غير سليم . . واستغرقت العملية وقتا طويلا ثم عدت إلى رشدى فإذا بالجميع يضحكون ويهتفوننى بانجابى ولدا !

وانفجرت دموعى . . ثم غبت عن الوعى مرة أخرى وفتحت عيني بعد فترة فوجدت زوجى أمامى يبكى فرحا فقلت له انى قد أنجبت ولدا وغبت عن الوعى مرة أخرى وبعد اسبوع غادرت المستشفى وعدت إلى بيتى الذى ابتعدت عنه ثلاثة شهور . . وبدأ زوجى يمر على ابنى فى المستشفى كل يوم ليراه من وراء الزجاج فى غرفة الحضانة التى قرر الأطباء بقاءه فيها حتى يستكمل نموه الطبيعى ويعود زوجى من المستشفى سعيدا . . وبدأت استرد قواى ببطء فإذا بجرس التليفون يدق بعد أيام وبالطبيب يعزينا وكله أسف فى وليدنا الذى تحملت عذاب الدنيا كله لانجابها وإذا بمرضة طيبة تبكى فى التليفون وتطالبنا بالصبر !

لقد مر شهران الآن يا سيدى على هذا اليوم الحزين فقدت خلالها كل معنى للحياة . . وفقدت كل شيء حتى زوجى الذى أصبح لا يتكلم معى من يومها ولا اراه إلا غارقا فى أحزانه وصامتا . . فهل قصرت فى شيء ياسيدى ؟ لقد عرضت حياتى للخطر ٦ مرات خلال ١٥ سنة وأصبح عمري الآن ٣٣ سنة ولم يعد مقدورى ان اجازف مرة أخرى . . فماذا افعل ؟ هل اطلب الطلاق من زوجى . لقد استشرت احد الشيوخ هنا فنصحنى بأن أعود إلى بلدى وحدى أولا لكى اتعود الحياة وحيدة بدون زوج ثم أطلب الطلاق بعد ذلك وأنا افكر فى ذلك لأن ربحى لن يتحمل الحمل مرة أخرى . . فهل ترى ذلك أنت أيضاً ؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : ياسيدتى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .
وأنت قد قدمت كل مافي وسعك وتحملت مالا طاقة لك به لتحقيقى
لنفسك ولزوجك أمل الإنجاب وشاءت ارادة الله غير ما اردتما - فإذا فى
مقدورك أن تفعل أكثر من ذلك ؟ ان الرحمة والعدل يطالبان زوجك بأن
يقدر لك جهادك وتعريضك حياتك للخطر ٦ مرات متتاليات لارضائه
وتحقيق أمنيته فيعفيك من أى لوم حيث لا وجه للملك . ومن صمته
وابتعاده عنك ويقدر لك حسن معاشرتك له خلال ١٥ سنة وفرت له
خلاها مالا يقل قيمة عن الانجاب . . وهو اطمئنان القلب إلى شريك
يحسن مصاحبته ويرفق به ويتعاطف معه ويحرص على اسعاده ويتحمل
العذاب والآلام من أجله . . ويقنع بكل ما يقدمه له ولو كان قليلا ،
وهل سعادة الحياة الزوجية إلا كل ذلك أو بعضه حتى ولو شابها نقص
الانجاب ؟

لقد قيل للحكيم فى اسطورة صينية قديمة : حظ سعيد . . انجبت
زوجتك ولدا فقال : شكرا للساء ولكن من أدراكم انه حظ سعيد ؟ ومن
أدراكم انى سوف اسعد ولن اشقى به إذا كبر . . أو يحترق كبدى عليه إذا
ألم به مكروه . . انى أقول شكرا لكنى لا أعرف ان كان حظا سعيدا أم غير
سعيد !

ونفس المنطق يمكن أن ينسحب على أشياء كثيرة فى الحياة لاينبغى أن
نغالى فى تهللنا لها . . أو فى تخوفنا منها ، ذلك أننا لا نستطيع ان نجزم بأنها
سوف تحمل لنا السعادة كما نأمل . . أو الشقاء كما نتخوف ، وإنما ينبغى
دائما أن نتقبل شاكرين ما تسمح لنا به الحياة من أسباب ونلتمس العزاء

عما ينقصنا منها في باقى جوانب حياتنا التى قد تعوضنا عنه وتخفف من أحاسنا بنقصه .

ومأساة الإنسان كما يرى المفكر الفرنسى مونشكيو هى إنه يريد ان يكون « كالألهة » قادرا على تحقيق كل شىء لنفسه ! وهذا هو أكبر حائل بينه وبين السعادة الحقيقية لأننا بشر ولسنا آلهة ويجب ان نقنع بذلك ونقتنع به ونكف عن نطح الصخر طلبا لأسباب لم تشأ ارادة الله لحكمة تخفى عن الافهام ان تنعم علينا بها .

لهذا كله فأنى لا انصحك بالتسرع فى العودة ومفارقة زوجك وإنما انصحك بالصبر عليه إلى أن يستعيد نفسه ويتخفف من أحزانه ويسترجع توازنه بعد صدمته فى أمله أو مواعده الأخير للانجذاب . . ثم قد أرى لك بعد ذلك ان تناقشيه بهدوء . . وتطالبه بأن يفصح عن رغائبه بصراحة فإذا أراد ان يكون أحد من عناهم الإمام الحسن بن على بقوله « من اعتمد على حسن اختيار الله له لم يرض بغيره » كان خيرا له ولك وتواصلت الحياة بينكما بلا منغصات بعد التسليم بارادة الله . . وان أبى الا مواصلة السعى وراء الانجذاب وأراد ان يستخدم رخصته فى الزواج من أخرى لهذا الهدف مع الإبقاء عليك فالرأى لك ان اردت الاستمرار معه فلكل إنسان ان يختار سعادته كما يراها ويقبل بها ولا لوم عليك فى ذلك . . وان اخترت الانفصال . . فمن يدرى فلعل الله يبيئ لك حياة جديدة تعوضك عن آلامك السابقة وتمسح عنك أحزانك .

أما إذا اراد هو نصيحتى فأنى انصح به بأن يكون ممن يعتمدون على حسن اختيار الله لهم . . وان يرضى بما اتاحت له الحياة من أسباب السعادة والا يفرط فيك لهذا السبب وحده كما ينبغى لأهل العدل والرحمة والوفاء من أمثاله وشكرا .

الفائز!

تأثرت بقراءة رسالة الجائزة الثانية التى كتبها قارئى عن معاناته مع زوجته فدفعنى ذلك لأن اكتب رسالتى هذه . فأنا رجل فى الخمسين من عمرى تزوجت منذ ٢٥ عاما ولى ٦ أولاد منهم ٣ فى التعليم العالى - اثنان على وشك التخرج ان شاء الله - واثنان فى الثانوى وواحدة فى الابتدائى . وكانت زوجتى طالبة عندى فى المرحلة الاعدادية اعجبتنى اخلاقها وتعقلها وتصرفاتها فتقدمت لخطبتها وكنت وقتئذ فى إعاقة للتدريس باحدى الدول العربية ثم تزوجنا وسافرنا معا . واتجنا أولادنا الواحد بعد الآخر فمرت حياتنا كشهر عسل مستمر من ٢٥ عاما . ولك ان تتخيل هذا - والحمد لله - إذ لم اسمع يوما من زوجتى كلمة نائية أو تأففاً بل لم أسمع منها مطلقا مايزعجنى أو يؤلمنى أو يجعلنى أندم على اختيارى لها . بل كانت لى الأم الرؤوم والزوجة الحنون والحبيبة المخلصة وكنت لها الأب العطوف والزوج المخلص والأخ الحنون والحبيب والأليف والصديق . ولا اذكر طوال هذه الفترة - التى اعتبرها قصيرة من عمرنا - اننى أسأت معاملتها يوما أو أهدرت لها كرامة أو خدشت لها حياء وإنها كان الحب والود والوفاء والتضحية والاخلاص هى المظلة التى تظل بيتنا . وأنا غالبا ما أنادىها فى البيت بـ « حبيبتى » أو « روحى » أو « حياتى » بتلقائية طبيعية

وعفوية عادية دون نفاق أو رياء وهى كذلك حتى أن أولادنا بعد ان كبروا بدأوا يتندرون علينا - باحترام طبعاً - فتأتى ابنتى الشابة إلى احيانا وتقولى لى : كلّم روحك تقصد ان أمها تطلبنى بل ان أولادنا يقولون لنا احيانا نريد ان نراكما مرة تتشاجران كما نسمع من أصحابنا أو نرى فى التليفزيون فنقول لهم ضاحكين هيهات ان يحدث هذا ! ولن يحدث باذن الله . وهذه المودة والرحمة انتقلت تلقائيا إلى أولادنا فهم يحبون بعضهم بعضا ويضحى كل منهم من أجل الآخر ويؤثره على نفسه بل انى إذا أردت ان اعاقب أحدهم على ذنب يستحق الحساب والعقاب انبرى لى الآخرون كلٌ يدافع عن أخيه ولا أجد ازاء هذا الحب إلا الصفرح عنه بعد أن أعرفه بخطئه وأنا ممتن شاكر لله على نعمته التى انعم بها على . والحمد لله رغم اننى لا أنال من المال إلا ما يسد حاجاتنا الضرورية إلا اننى اعتبر زوجتى وأولادى والستر من الله هم ذخيرتى ومالى وثروتى فى الحياة . وارجو الا يعجب أحد إذا قلت ان شريكة عمرى ورفيقة دربى وكفاحى - لم تبت ليلة واحدة خارج بيتها طوال هذه المدة لاسبب ولابدون سبب . ولم تغادر بيتنا يوما غاضبة وإن حدثت بيننا خلاف على أى أمر من الأمور فيلتزم كل منا جانبا ولا تمر ساعة وريما أقل إلا وقد عاد الصفاء والثوام مرة ثانية ويأخذ كل واحد منا فى اقناع الآخر بوجهة نظره بوعى وهدوء وروية حتى نزيل أسباب سوء الفهم .

وإن حدث - وهو نادر ان خاصم أخ اخاه - وهذا كثيرا ما يحدث بين الأشقاء فى هذه السن فلا يهأ لها بال إلا بعد أن تعيد حبال المودة بينهم وتعيد الصفاء بين قلوبهم ورغم كل ذلك فكم عانت وقاست من أجلى وأجل أولادها وكم ضمحت وكم سهرت الليالى على آلة الخياطة لكى توفر

لأولادها ما يحتاجون إليه ولا يستطيع ان يوفره راتبى المحدود ورغم انها تتألم من ظهرها إلا أنها تتحامل على نفسها وتضحى من أجل ذلك . وإن طلب أحد الأبناء شيئاً ولا يستطيع أن البى طلبه فلا يئنها بال حتى توفره له بمزيد من التضحية ومزيد أكثر من العناء والمشقة ، ورغم كل ذلك فلم اسمعها يوماً تشكو ولم تطلب منى يوماً ما لا أستطيع أن اوفره لها حتى لاتشعرنى بالعجز رغم احساسى بها محتاجة . وقد مرت بنا بعض الليال لم نجد فيها ما يكفى عشاءنا ومع ذلك فكنت نجدنا ضاحكين مستبشرين وننام شاكرين الله على فضله ولا نسمع لها شكوى ولا تبرما ولا سخطا ولا نسمع منها سوى الحمد لله على كل شيء . فالى كل رجل أقول تستطيع أن تنهأ بحياتك أكثر منى إذا كان الحب والتفاهم والاخلاص والإيثار والتضحية هى الأسس التى تبنى عليها حياتك على ان يكون اختيارك لشريكة حياتك على أساس سليم ودون تسرع وإرتجال ولاننسى قبل ذلك وبعده ان التوفيق من الله أما أخى صاحب الرسالة « الجائزة الثانية » فإننى أطلب له من الله أن يجعل له من أمره فرجاً وأن يصبر حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً . ولقد كان فى ردك عليه ما يشفى صدره وصدر أمثاله وإلى زوجته ومثيلاتها أرجو ان يتقين الله فى أزواجهن وأولادهن وأطلب لمن من الله الهداية والتعقل وان يتراجعن عن غيبن لأنه من الشيطان حتى ينلن رضا الله فى الدنيا والآخرة ولتعلم كل زوجة أنها إذا نامت وزوجها غاضب عليها لعنتها الملائكة حتى الصباح والسلام .

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : ذلك هو الفوز العظيم !
فلقد فزت بجائزة الزواج الأولى يا سيدى . وهى السعادة وحق لك ان

تنعم بما أوتيت من فضل . . فمن أوتيها فقد أوتى خيرا كثيرا . ان هناك أشياء كثيرة في الحياة يستطيع المال أو النفوذ ان يحققها ، لكن هناك شيئين على وجه التحديد لا يستطيع نفوذ الأباطرة ولا أموال الدنيا شراءهما هما : والصحة . . والحب « وهذان في الدنيا هما الرهما » بالإنسان على حد تعبير امير الشعراء . . وهذان هما غاية ما يحلم به كل إنسان عاقل في حياته . . لكنه لا يملكها أبدا إلا من رحم ربك وربها نال غيرهما الكثير فلا يكون له قيمة في غيابها . . ولا يعرف السعادة الحقة بغيرهما . . فالحمد لله كثيرا على ذلك ولعلك سمعت صوت طرقات أصابعي على خشب المكتب . . إتقاء للحسد . أتم الله عليك نعمته . وشكرا .

السلة !

أرجو ان يفتينا أحد في هذا الأمر لأنه قد التبس على وعلى زوجي وكلانا والحمد لله لا يستحل شيئا إلا بالحق . . الموضوع باختصار اننا زوجان نعمل في إحدى الدول العربية ويتقاضى كل منا راتبا لكن راتبي - مع الأسف - يكاد يساوى ضعف راتب زوجي وأنا كزوجة أرى اننى يجب ان اشارك في نفقات الأسرة . . ومايتبقى راتبي بعد ذلك فهو لى ومن حقى ان اضعه في حسابى الخاص بالبنك وزوجى يرى أننا يجب ان نضع مرتبينا معا في أول الشهر في « سلة » واحدة ونصرف منها ثم نقسم مابقى بعد الاتفاق بالتساوى ، وفي هذه الحالة فان نصيب زوجى الذى سيتبقى بعد الاتفاق سيساوى راتبه الاصلى تقريبا في حين ينخفض نصيبى كثيرا . . فما هو حكم العدل في ذلك ؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : مايعرضه زوجك ليس له سند من الشرع فالرجل ملزم شرعا بالاتفاق على زوجته وأولاده ، وليس له ان يجبر زوجته حتى ولو كانت قادرة على الاسهام في الاتفاق على البيت ومن حق الزوجة ان تحتفظ براتبها لنفسها في ذمة منفصلة عن ذمة زوجها المالية هذا من ناحية المبدأ . . لكن ذلك لايمنع من استرضاء النفوس بشئ من الاسهام في نفقات الأسرة إذا رغبت الزوجة في ذلك طواعية واختيارا حرصا

على حسن العلاقات وتعميقا لها . . وبشرط ان يكون ذلك تطوعا من
الزوجة وليس اجبارا . وفي ظروفك الخاصة فالعدل هو ان تسهمى بقدر
معقول في نفقات الأسرة وان تحتفظى لنفسك بما يتبقى من راتبك ، لكى
تتوافر لزوجك بعض المدخرات التى تشعره بالأمان للمستقبل ولكيلا
يصبح الفارق بين مدخراتك ومدخراته هائلا . أما حكاية السلة هذه
فلا داعى لها !

الخبر !

بعد عشرين عاما من الزواج الذى اثمر حفنة من الأبناء احس انى لم أشعر يوما بالراحة فى بيتى ولم أعرف مذاقها فإذا سألتنى ولماذا صبرت كل هذه السنين ؟ أجبتك انى كنت اتعلق بخيط واه من الأمل فى ان ينصلح حال زوجتى أو ان تنزل من السماء صاعقة فتريحنى منها أو تريحنى منى ، ثم لأنى فى فترة المسكنة من جانبيها فى بداية الزواج قد سلّمت لها كل ما املك ، وأصبحت لا املك إلا مرتبى ، وانتقل بين عملى الأساسى وعملى الإضافى لأواجه اعباء الحياة المرعبة ، ثم أعود إلى بيتى محطما فاجد زوجة متسلطة مستنزفة ازدادت مع السنين حماقة ورغبة فى الاستحواذ على كل شىء واندفاعا فى ايدائى بالكلام الجارح الذى اصمت ازاءه لأنى مكتوف اليدين خاوى الوفاض ، وقد ازدادت الأمور سوءا منذ فترة قصيرة حين ورثتُ إرثا متواضعا يحق لرجل فى الخمسينيات مثلى ان يأمل فى ان يحتفى به من الزمن ، فاعلنت على الحرب الضارية للاستيلاء عليه واستأثرت بأبنائى وحرضتهم على واشعلت فيهم الرغبات المادية ، وراحت تنهال على كل يوم بشتائمها فلا أرد عليها حتى لايعرف الجيران لمن توجهها . وتستنزفنى بشراء مالا أو افق على شرائه من مطالب البيت اليومية بالدين ثم مواجهتى بالأمر لكى اسدد ثمنه وتشتت فى خسائرى وتقلل من شأنى

بالرغم من ثقافتى بالمقارنة بشهادتها المتواضعة ، ثم بلغت الذروة منذ أيام حين أرسلت إلى أحد ابنائى ليزفّ إلى خبرا سعيدا فهل تعرف ماهو هذا الخبر ؟ لقد قال على لسانها وبكل تبجح ان امى تبلغك ان هناك من يرغب فى الزواج منها إذا أنت طلقته ، وان ذلك الراغب يملك نقودا كثيرة تلبي مطالب الأبناء وتجعل من بيتنا « جنة » فانظر ماذا ترى ! هذا والله ياسيدى مابعتت به ابنى ليقوله لى ولا داعى لذكر موقفى بعد ان سمعت هذا الكلام الذى لا أعرف هل هو صحيح أم أنه حلقة جديدة من الحرب النفسية ، ولست اكتب لك لأطلب منك ان تنصحها فهى مريضة ولن تستجيب لأى نصيحة . . . واقاربها متبلدون وأقاربى متباعدون وليس لى مهرب أفر إليه كلما ازدادت البذاءة ، ولا أصدقاء اشكو لهم وكل ما أريده هو انيس وجليس اشكو إليه ولديه غرفة أو سكن صغير انجو فيه وأقيم به إقامة مؤقتة أو متقطعة كلما عجزت عن مواصلة الاحتمال أو سيدة مقاربة لى فى السن تقبلنى زوجا لها على ان أقيم معها فى أى مكان فانى أريد ان اتنفس هواء سليما . . . واتحدث فى أمور جادة واعطى بعض خبرتى وقراءتى وأحس أنى مع آدميين ولست مع مَرَدَّة أو شياطين . . . وارجو ان تنجدينى سريعا فأنا مهزأ فى بيتى . . . ومحترم جدا خارجه . . . وهذه هى الكارثة . . . وشكرا .

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : يا إلهى لماذا تنهال على « العجائب » هذه الأيام بكثرة ؟ أتبعث إليك زوجتك بابنها ليقول لك ان هناك عن هو على استعداد لأن يتزوج أمه إذا طلقته أنت ؟ وأنه - بشرى للصابرين - أغنى منك وسوف يلبي كل مطالبهم ويحيل حياتهم المتقشفة معك إلى جنة

بعد خروجك منها باذن الله ؟

أهـى من علامات الساعة ياسيدى أم ماذا جرى للدنيا ؟ ان من حق زوجتك ان تطلب منك الطلاق إذا شاءت . . لكنه ليس من حقها ان تنزل بعلاقة الابناء بأبيهم إلى هذا الخضيض ولا أن تفسد عليهم قيمهم فتقنعهم جدًا أم هزلا بأن هناك من هو أفضل من أبيهم لأنه يملك نقودا ولن يخل عليهم بشئ حتى ولو كنت مقترًا عليهم أو غير مصيب في حجب ميراثك المتواضع عن الاسهام في تخفيف صعوبات حياتهم . لأنه لايجوز لأم تعرف معنى الأمومة ان تقنع الابناء بأن هناك من هو أفضل من أبيهم بالنسبة لهم مهما كانت المبررات والدوافع ولايجوز لها ان تطلق لسانها فيه امام ابنائه . ولست افهم كيف تتحمل كل هذه البذاءات والاهانات صامتا لكيلا يعرف الجيران انك المقصود بها فاللعنة على كل الأشياء إذا أمُتْهنت كرامة الأب عمدا امام ابنائه أو كرامة الأم أمام أبنائها ، وهناك دائما دوائر للإتفاق والاختلاف في الحياة الزوجية لكن كل خلافاتها لايجوز ان تمس دائرة كرامة الأبوين أو تهز صورتها في غيلة الأبناء ، وهذه مسئولية مشتركة بين الطرفين فراجع نفسك أولا ياسيدى لترى هل أنت بحق في ادخار هذا الارث كله للمستقبل أم ان حياتكم تحتاج فعلا إلى جزء منه لمواجهة مطالب الحياة المتزايدة . . وحاول ان تجتذب ابنائك إليك بعطفك وتفهمك لاحتياجاتهم وان تقنعهم بمنطقك بغير الاساءة لأهمهم وحكم بينك وبينها العقلاء من أهلها وأهلك فإذا حكموا لك كان بها وان حكموا لها فلا معنى للمساح لارث متواضع بهدم أسرة لها حفة ابناء وقبل التحكيم وبعده لابد ان تلزمها بالكف عن بذاءاتها واساءاتها لك وبمواجهة ذلك

الأمر بحزم فان استمرت في غيها جاز لك ان تفعل ما تريد . . . وعندها يبدأ التفكير في الحل الأخير . أما «الخبر» الذي زفته إليك زوجتك فهو بالطبع هُراء رخيص . . . إذ اين هو ذلك المعتوه الذي يرحّب بزوجة سليطة اللسان من خلفها عصابة من الأبناء بعضهم في سن الشباب وكلهم ينتظرون دخول جنة الدنيا بأمواله ؟

صراع الديكة !

ترددت أكثر من عام في أن أكتب لك ، وقبل أن أسرد لك مشكلتي أرجو ألا تهملها لأنك أصبحت الملاذ الأخير لي لحلها . وأبدأ بأن أقول لك أنى طبيب شاب تخرجت منذ حوالى عشر سنوات وبدأت حياتى العملية فى الريف ثم فى القاهرة وكنت والحمد لله ناجحاً فى عملى ومنذ ٥ سنوات تعرفت على فتاة جامعية من أسرة متوسطة مثل أسرتى وأعجبت بها وصارحتها بأعجابى وبحالتى المادية بكل صراحة ووجدتها تبادلنى نفس الإعجاب وتقدر ظروفى مما شجعنى على التقدم لخطبتها ، وقوبلت بالترحاب وبدأ الأعجاب المتبادل بيننا يتحول إلى حب بين الطرفين . وتساندنا فى الكفاح لكى نحقق أحلامنا وحصلت على الماجستير وبدأت بوادر انفراج الأزمة حين حصلت على فرصة للسفر إلى إحدى الدول فتزوجنا وسافرنا بعد الزواج مباشرة وبدأنا حياتنا الزوجية فى هذا البلد الغريب . وسارت الأمور فى العمل على مايرام . . أما فى البيت فلم تكن كذلك ، فلقد بدأت الخلافات بينى وبين زوجتى منذ الأيام الأولى ومعظمها بسبب تدخلها فى كل صغيرة وكبيرة فى حياتى حتى علاقاتى فى العمل وحتى أسلوب تعاملى مع الناس ، فإذا قابلت أحد الأشخاص وهى معى ودار بينى وبينه حديث تضمن عفواً إشارة إلى حديث سابق جرى

بينى وبينه غضبت لأننى لم أقص عليها ذلك الحديث السابق فى حينه ! ولم أرو لها تفاصيل المقابلة السابقة بحذافيرها . . فإذا قلت لها أنه مجرد نسيان ، أجابت بأن النسيان نفسه « جريمة » لأننى لو كنت افكر فيها لما نسيته أن أحكى لها ما حدث .

ولإذا رأتنى اتكلم فى التليفون مع صديق سألتنى مع من كنت اتحدث ولماذا طالت المكالمة وماذا قال لى وقلت له . . أو تكون قد التقطت كلمة من حوارى معه فى التليفون فتسألنى عنها وعن دلالتها . . إلخ . .

أما إذا زرت صديقاً بمفردى فإنى أتعرض لمحضر تحقيق طويل عريض لا تغفلت منه شاردة ولا واردة وأسمع فيه مراراً أنى لو كنت راشداً لأعطيت هذا الوقت الذى أضعته مع صديقى لزوجتى وابتنى . وحين عدنا فى الاجازة واقمنا مع أمى بدأت الخلافات تتزايد بينى وبينها منذ أول يوم ومعظمها بسبب أمى : والدتك تحاول ان تنفرد بك لماذا ؟ ماهى الأسرار التى تحاولان إخفاءها عنى ؟ لماذا جاملت والدتك واثبتت على طبخها للطعام الفلانى . . ولم تجاملنى حين صنعه لك من ستة شهور ؟

وعدا ذلك فلم تسمح لى بالانفراد بأمى لحظة واحدة طوال فترة اقامتنا معها وحرصت دائماً على أن تكون معنا . . وحين أرادت أمى أن تقوم بواجب عزاء لبعض الأقارب البعيدين واصططحبتها إليهم أصرت على ملازمتنا بالرغم من أنها لاتعرف أحداً منهم وبالرغم من اضطرارها لترك طفلتنا الرضيعة لدى أمها خلال الزيارة . . وبعد مناقشة بينى وبينها حاولت خلالها اقناعها بأنه لاداعى لحضورها . . لكن هيهات ان تقتنع . والمشكلة هى ان هذه المناقشات تحدث بصفة يومية ، بل عدة مرات فى

اليوم وتتم بنفس هذا الترتيب . أبداً أولاً بالرد الهادئ على أسئلتها ثم تزداد الأسئلة العجيبة فأرد بضيق قليلاً وأنا أحاول غلق باب الاستجواب . . ثم تستمر الأسئلة الاستفزازية فأبدأ في العصبية ، وأنا فعلاً سريع الغضب وتسلمنى مناقشتها البيزنطية لمرحلة الانفجار . . فأوجه لها كلمة . . فتد عليّ بكلمة أشد ويعلو صوتها . . وهكذا .

وفي إحدى هذه الانفجارات طلبت منى الطلاق وأصرت عليه وفي قمة غضبي نطقت به فانهارت وظلت تبكى بحرقة شديدة حتى جاء أهلها . . وأعدتها لعصمتي وانتهت اجازتنا وسافرنا وفي طريق عودتنا لعملنا زنا الأرضي الحجازية وأدينا العمرة وطلبت منها في الكعبة ان تساعدني على الوصول بحياتنا إلى بر الأمان وأن نقلل من خلافاتنا بقدر الامكان حتى نتفرغ لبناء مستقبلنا وتربية طفلتنا الحبيبة ، ولاحظت بعدها أنها حزينة وغير متجاوبة بالقدر الكافي مع دعوتي لها ومرت أسابيع وتخلصت من آثار أزمة الطلاق فعادت المشاكل وبنفس الأسلوب ولنفس الأسباب ، صحيح أن عددها أقل نسييا لكن الأسباب واحدة .

لقد عدنا الآن إلى بلادنا وانتقلنا إلى شقتنا الجديدة تجنباً للمشاكل وأصبح لدينا طفلان . . وكنت آمل بعد انتقالنا إليها وإنشغالها بوليدها الثاني ومع ادراكها لظروفي الحالية حيث إننى الآن تقريباً بلا عمل منتظم أنها سوف تتجنب الخلافات المستمرة معي ، ولكن هيهات فالخلافات كما هي ولنفس الأسباب العجيبة التي رويتها لك وكلها بسبب ملاحظتها لي بالانتقاد والشكوك والاستجوابات وزادت عليها المناطحة بالتصرفات فإذا أصرت على الذهاب لمشوار معين قالت لي : وأنا « عنداً » فيك سأذهب

للمشوار الفلانى ! ثم بدأ الخلاف يدخل منطقة أخرى حين خرجت -
أعصابى ذات مرة ولكمتها لكمة واحدة ففوجئت بها ترد إلى الكلمة بلكنة
مثلها تماماً كما ترد على الكلمة بكلمة أشد منها فتخيل طيباً وجام
محترمين وهما يتبادلان اللكمات !

لقد أصبحت أيامى خصاماً ومشاجرات دائمة مع زوجتى وليالى -
وأرقاً أفكر ماذا أفعل معها ؟ لقد فكرت فى طلاقها لكن ما ذنب هذ
البريئين اللذين انجبناهما فى أن يتشردا بيننا . . وفكرت وأنا الطيب
الحاصل على الماجستير ان ألبأ إلى العرافين والدجالين لعمل أى تعوى
تبعد عنا الخلافات وتهدئ من نفوسنا بعض الشيء .

قد تنحصى بالاستعانة عليها بالعقلاء من أهلها . . وأقول لك :
فعلت ذلك عدة مرات ولم يستطيعوا جميعاً أن يعيدوها إلى صوابها
يؤثروا عليها ، ولست أطلب إلا الحد الأدنى من الطاعة للزوج وعدم
المستمر معى وألا تعاملنى كمتهم دائماً وألا ترد على الكلمة بكلمة لك
تزداد المشاكل بيننا وألا يعلو صوتها دائماً فى الخلافات . . وقد طلبت
ذلك فى جلسة من جلسات الأهل للإصلاح بيننا فقالت أن نقطة عدم
هذه غير قابلة للنقاش لأنها سترد على كلمة بكلمة مهما كانت النتيجة !

لقد سلمت بأن تغييرها شبه مستحيل إذ لم يقدر على تغييرها وقد
بالكعبة المشرفة ولا وجود الأطفال ولا الأهل - وأنا لم أصل بعد لمرحلة التى
لها لكنى وصلت لمرحلة اليأس من اصلاحها . ومن الانصاف أن أقول
ربة بيت ممتازة وترعى بيتها وطفلها حق الرعاية ، كما أنى أيضاً لا اهتمام
سوى بيتى وأبنائى . لكنى ياسيدى لست فى حاجة إلى مربية أطفال

مديرة منزل وإنما احتاج إلى زوجة مطيعة حليلة تحترم زوجها وتكف عن العناد وعلى استعداد للتراجع والاعتراف بالخطأ . فماذا أفعل ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : أفضل طريقة لكى تتجنب ردها عليك «كلمة بكلمة» هو ألا تبدأها أنت بالكلمة الأولى وأن تطيل حبال الصبر معها حرصاً على استمرار الحياة وصالح الأطفال . إن الطبع سجن وتغييره من الأمور الصعبة فعلاً لكنه ليس مستحيلاً ومن الممكن دائماً بالإرادة وبالرغبة المخلصة فى تيسير الحياة وتفادى المشاكل أن يتخلص الإنسان من بعض التصرفات والعادات التى لها عليه سلطان الطبع وبالتالى فإنك تستطيع بكل تأكيد بالإرادة والمجاهدة ألا تستسلم سريعاً للغضب الذى يقودك للانفجار كما أن زوجتك تستطيع أيضاً بالحكمة ومغالبة الطبع أن تتخلص من بعض وساوسها وهواجسها التى يصورها لها «فكر المؤامرة» الذى يستولى عليها وهوفكر ضلالى يصور لمن يُبتلى به أن كل اثنين من البشر يتهاوسان إنها يتآمران عليه ويدفعه ذلك للتوتر والتحفز باستمرار للدفاع عن نفسه ، فتتعدد علاقاته بمن حوله .

كما أنها تستطيع أيضاً بالضرورة أن تتذكر واجبها كزوجة فى أن تكون أكثر صبراً على زوجها وأكثر تحملاً لانفلاتات أعصابه الطارئة وإلا تعتمد إلى تصعيدها بسياسة «الكلمة بكلمة» هذه وإن تحاول التحكم فى غيرتها الشديدة ورغبتها الفضولية فى معرفة كل شئ عنك مما يجبرها إلى خطأ انتقادك واستفزازك دائماً . أن الحياة الزوجية ليست صراعاً بين الديكة ولا هى مباراة فى حلبة ملاكمة . وانفلات الأعصاب مرة أمر مفهوم ويمكن التجاوز عنه من الطرفين أما أن يصبح هو طابع الحياة المستمر فأمر

لا يمكن قبوله . فليحاول كل منكما اذن أن يهون الحياة على نفسه وعلى شريكه بالعشرة الجميلة الهادئة . . وبالاستعداد للتسامح مع الآخر . . وبصمت احدهما إذا انفجر الآخر حتى تهدأ ثائرته ثم يبدأ العتاب الهادئ . . عتاب المحب لا عتاب الخصم في الصراع . ولتذكر زوجتك ان « طاعة الزوج » في غير معصية تعدل كل ماذهب به الرجال من أجر الجهاد في سبيل الله كما قال رسول الله الكريم ﷺ صادقاً لمن سألته عن ذلك . ولتذكر أنت أن معظم أسباب شقاء البشر من انفلاتات اللسان وتجاوزاته فكن صبوراً وتذكر ان زوجتك إنما تنطلق في استجواباتها ومناقشاتهما البيزنطية رغم عنائها فعلاً من حب لك لكنه حب يسىء التعبير عن نفسه ويريد أن يتحول إلى امتلاك كامل ويستشعر الغيرة من كل شيء حولك . فحاول ان تطمئن مخاوفها باستمرار ، وان تقنعها بأنه لا بد لكل إنسان من أوقات يختل فيها بنفسه وبأصدقائه وبأهله بغير ان يتعارض ذلك مع حبه لشريك حياته . . كما حاول ان تقنعها أيضاً أن الفضول الزائد يحجر إلى المتاعب . . ولا يلقى بزوجة رشيدة مثلها ، ولا تقصر في مجاملتها . . والثناء على أنواع طعامها طلباً للسلام العام . . وللإجادة أيضاً لأن الثناء يرضى النفوس ، ويطلق القدرات وشكراً . .

الموقعة !

أنا زوجة رجل ميسور الحال يشغل مركزا مرموقا مضى على زواجنا ٢٥ عاما أى حكم بالمؤبد مستوفى للمدة بغير عفو ولا افراج صحى . وأنا اكتب لك هذه الرسالة فى الأسبوع الأخير من الشهر وزوجى الميسور لم يدفع بعد مصروف الشهر الذى قارب الانتهاء ولا يريد ان يدفع ، وهذا الخطاب الذى أكتبه لك كتبت لك مثله مائة مرة من قبل ومزقته عقب موقعة كل شهر أو معركته لكى يدفع المصروف ، وفى كل مرة تبدأ المشاجرة بمطالبتى له بمصروف البيت فيؤذنى نفسيا وجسميا ويبدأ الشتائم ويستاء الأولاد من ذلك ويسألوننى فى كل مرة : أليس هناك حل لهذه المشكلة ؟ فلا أعرف بماذا أجيبهم فأنا لا أعرف حلا لها وهو يضطره عمله للعمل دائما خارج مدينتنا وحين يكون فى مقر عمله يتعمد عدم الاتصال بنا تليفونيا طول غيابه حتى لا أطلبه بارسال المصروف ، وحين يعود يتعمد الخروج من البيت معظم الوقت حتى لا أطلبه به ويتخيل أحيانا أنى أسرقه وأنه أعطانى المصروف مرتين مع أنه لا يدخل البيت ومعه نقود أبدا ودائما يسوّف ويراوغ ويعدنى بأن يرسل لى المبلغ مع سكرتيه ثم يفتعل أى سبب للشجار لكيلا يدفع مليها واحدا فى البيت . تسألنى طبعاً كيف إذن نعيش وأجيبك بأنى موظفة محترمة أيضا لكنى غير محترمة فى هذا البيت

لدرجة أنى فكرت فى هجرة والإقامة باحدى دور المسنين مادمت اصرف على نفسى داخل البيت وخارجة ، ولم يمنعنى من تنفيذ الفكرة سوى خوفى على أولادى وهم فى سن الزواج . أما زوجى فهو يستمرئ هذا الوضع ولم يشعر فى يوم من الأيام بأى مسئولية عنا ولم يعرف يوما فى أى سنة من سنوات الدراسة أولاده الآن ولا تواريخ ميلادهم ولم يشتر لهم فى يوم من الأيام أى نوع من الملابس أو المستلزمات بل ولم يدخل علينا مرة واحدة وفى يده شئء حلو أو « حادق » ! ولقد فعلت كل ما تتخيله لارضائه عند حضوره فإذا صنعت له الأكلات التى يجبها أكل وشبع ثم قال لى : أتريدن قتل بهذه الأكلات الدسمة ؟ وإذا صنعت له أكلات خفيفة غضب وقال لى مستنكرا : أليس لى احترام فى هذا البيت ؟

والعجيب أنه محبب فى عمله وشعلة نشاط وفيه كل الصفات الممتازة ولكن فى محيط عمله فقط أما فى البيت فهو شئء آخر تماما . انه من قرائك وأنا لا أطلب منه سوى أن يعطينى مصروف البيت فقط أول الشهر بدون شجار وبدون إيذاء للنفس أو للبدن فلم أعد فى سن تتحمل هذا أو ذاك ولا مركزى أيضا يسمح بهذه البهذلة ، وقد عشت حياتى قبل زواجى منه معززة وسط عائلة محترمة . لقد فكرت مرارا فى الانتحار لولا خوفى من الله ، فأرجو أن توجه له كلمة بأن يرضى الله فينا لأننا مسئوليتة أمام الله وسوف يحاسبه على هذه المسئولية وشكرا لك .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : نعم يا سيدتى سوف يحاسبه الله عن مسئوليتة عنكم لأنه راع وكل راع مسئول عن رعيته ، وأنتم رعيته وأمانته التى أوثمن عليها وطائره والذى فى عنقه وسيلقى الله به ، حتى لقد قيل

صِدْقاً وعدلاً أن مقاساة الأهل والولد أى الكفاح لإعالتهم وإسعادهم بمنزلة الجهاد فى سبيل الله ، وحتى كان من حكمة الدين الحنيف بل ومن لطائفه ان ما ينفقه الرجل على زوجته وأولاده وأهله يُؤَجَّر عليه كأنها قد تصدَّق بها انفق مع أنه مستول شرعاً وقانوناً عن اعالنتهم ، وانفاقه عليهم واجب من واجباته وإنما اريد بذلك ان يحب الأزواج فى الانفاق على أهلهم وأن يتوسعوا فيه وألا يقبضوا أيديهم عنه أو يؤثروا أنفسهم بمعظم ما يكسبون ، أرأيت يا سيدى هذه الحكمة الإلهية الكريمة ؟ وهل قرأت قول الرسول الكريم « ما أنفق الرجل على أهله فهو صدقة ، وإن الرجل ليؤَجَّر على اللقمة يرفعها إلى فى امرأته » أى إلى فمها !

نعم هو واجب على الزوج أن يعول زوجته وأولاده . . . لكنه زيادة فى الفضل ويؤَجَّر عنه إذا أداه . . . ويضاعف له الأجر إذا أحسن أداءه ، وإذا كان للزوج والأب الأجر فى الانفاق على ابنائه وزوجته ، فإن عليه بالضرورة الإثم ان امتنع عنه أو أمسك أو قترَّ فيه وهو قادر على الانفاق والتوسعة . وفى ذلك يقول الحديث الشريف أيضا : كفى بالمرء إثماً أن يضيِّع من يقات « أى من يعول والمعروف ان الزوج مكلف بالانفاق على زوجته وأولاده ولو كانت ذات دخل أو ثروة وإن دخلها وثروتها لا يسقطان عنه هذا التكليف مادام قادراً ، ذلك أن من حقها ان تشارك فى الانفاق على الأسرة باختيارها ورغبة منها فى معاونة زوجها على أمره لكنها ليست ملزمة بالانفاق من دخلها على بيتها وأولادها ولا يملك أحد إجبارها على ذلك إذا أبث والمبدأ الشرعى فى ذلك هو ببساطة : إما إنفاق . . . وإما طلاق !

ولاشك أنكم تستطيعان معا تسوية هذا الأمر بها يجنبكما الاشتباك فى موقعة كل شهر ، بالاحتكام إلى حكم عدل بينكما يقدَّر مبلغا ملائماً يدفعه

زوجك أول كل شهر بلا معاناة ويتم الاتفاق الصريح عليه بما لا يدع أى مجال لافتعال أسباب الخلاف .

وبالتفاهم تتم تسوية أصعب الأمور ، فكيف يستعصى عليكما ذلك وكلاكما كما فهمت يشغل منصبا محترما بل ومرموقا . وزوجك رجل محبوب فى عمله وناجح فيه . . وفيه كل الصفات الممتازة . . إذن الا تستطيع ياسيدى إكراما لابنائك وزوجتك أن تصطحب معك إلى البيت نفس هذه الشخصية الجذابة المحبوبة التى تدخرها لعملك وأصدقائك . . ولو مرة واحدة فى بداية كل شهر ؟

الرداء

أنا سيدة في منتصف العمر متزوجة ولى أولاد تخرج بعضهم في الجامعة ، وقد افنيت عمري أنا وزوجى في تربية أولادنا والحمد لله نعيش حياة مستقرة وإن كانت تؤرقها بعض الديون التى احتجنا لاقتراضها لبناء شقة لكل ولد من أولادنا وقد تم ذلك بفضل من الله ونواصل حياتنا وكفاحنا لتسديد الديون شاكرين لله نعمته وفضله .

أما المشكلة الأخرى التى تشغلنا بعد هذه الديون فهى أن والدى قد توفى إلى رحمة الله منذ حوالى عامين تقريبا فحزنت عليه حزناً شديداً وارتديت السواد منذ وفاته ومازلت أرتديه الى الآن بصفة دائمة حتى فى نومى . ولقد ألح على أولادى وزوجى وأصدقائى جميعا فى ضرورة خلعه لكننى لم أستجب لأحد أما زوجى الذى أكنُّ له كل حب واحترام فقد أصبحت ابتعد عنه إذا جلس بجوارى ولا أسمع حديثه إذا تكلم معى وأسببُ له احراجا فى ذلك أمام الجميع وإذا طلبنى للفراش صددته ومنعته ، والويل له إذا فاتحنى من جديد فى موضوع خلع السواد ، وهو لطيفته وحرصه على ألا يحس الأولاد بما بيننا يصمت متألماً . لقد مرضت ونصحنى زوجى من جديد بعدم ارتداء السواد حتى لايزيدنى مرضا ، لكن الاصرار مازال يملؤنى على التمسك به فماذا أفعل فى «العناد» . . وكيف أرضى زوجى وأولادى ؟

□ولكتابة أو « لكاتب » هذه الرسالة : إذا صح تقديرى فى أن زوجها

هو كاتبها وليست زوجته أقول : إذا اختلطت علينا الأمور ففي الاحتكام لأحكام الدين الصحيحة النجاة من كل حيرة والضمان لتحقيق العدل الإنسانى لكل الأطراف . وبهذا المعيار الرشيد أقول لزوجتك أنه لاسند من دين أو حكمة لإصرارك على ارتداء السواد بعد عامين من رحيل أبيك ولا لهجرك زوجك في الفراش « تذرعا » بهذا الحداد . فالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحمل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدد على ميت فوق ثلاثة أيام الا على زوجها أربعة أشهر وعشرا » .

والإحداد هنا هو ترك الزينة لزوجها ، ويرتبط به نفسيا بغير شك ، العزوف عن العلاقة الخاصة تأثرا بحالة الحزن . ومن واجب كل طرف في العلاقة الزوجية ان يحترم أحزان الآخر وأن يحاول التخفيف عنه ومواساته وان يصبر عليه إلى ان يسترد إقباله على الحياة تدريجيا بعد فترة الحزن أما أن تعتصم الزوجه بالسواد لمدة عامين وتتخذ من حدادها ذريعة للنفور من زوجها وهمجرو في الفراش فليس من الدين في شيء ولا من حسن المعاشرة ، وإنما هو غالبا انعكاس لحالة أخرى وجدت في الحداد فرصتها للتعبير عن نفسها ، وسواء أكانت هذه أو تلك فالمؤكد أن زوجتك تعاني من حالة اكتئابية ينبغي ان تساعد على اجتيازها وان تعين هي ايضا نفسها على التخلص منها . وأول خطوة في هذا الطريق هو ان تخلع هذا السواد الذى يحملها إثما لامبرر له تجاه زوجها وأبنائها . وارتداء السواد لفترة طويلة يضيف ظلاله الكثبية فعلا على حياة الأسرة ، ولا معنى له بعد فترته الطبيعية الا تعذيب النفس وتعذيب الآخرين به . كما ان الخلاف بينكما حوله وحول مايرتبط به من نفور سوف يفتح الباب لأنواء ومشاكل لاتليق بجلال السنين بعد هذه الرحلة الطويلة . . فلماذا التمسك به إذن ؟ .

فتاة الاعلان !

أنا يا سيدى ابنة لأسرة طيبة ميسورة الحال لم ييخل علينا أبى رحمه الله بشيء من حنان أو مال فنشأنا نحب الحياة والناس ، ونؤدى واجباتنا تجاه ديننا وقد كان أبى موظفا كبيرا ، وأمى موظفة متعلمة ، وأخوتى جميعا جامعيين . ولانى رأيت الحب يرفوف على بيتنا فقد أردت أن اعيش حياة زوجية سعيدة يرفرف عليها الحب أيضا وتزوجت من شاب أحبته طويلا وأحبنى وبدأت حياتى معه بوعود وردية بأن تبقى راية الحب دائما مرفوعة فى عشنا الصغير . لكنى بعد الزواج وجدت إنسانا مختلفا تماما عن الإنسان الذى أحبته قبله فهو سريع الغضب والانفعال ويفتعل المشاكل لأتفه الأسباب ولمجرد اثبات الرجولة أحيانا . وأنا أكره المشاكل ولا أريد ان ادخل طرفا ثالثا بيننا وإبغض كلمة الطلاق وأريد ان «أعيش»بالإضافة إلى أنى أحب زوجى وهو يرفض دائما ان يصالحنى ويستكبر ان يفعل ذلك مهما كان مخطئا فاضطر إلى معاتبته بود والتنازل عن حقى . وكنت أفسر مشاكلنا فى بداية حياتنا الزوجية بأنه يمر بحالة نفسية لتركه العمل بغير ان يجد عملا آخر . ثم انجبت طفلتى ووجد هو العمل الملائم وازداد دخله وتصورت ان متاعب البداية قد انتهت إلى غير رجعة . فوجدته بعد ان

استراح ماديا وبعد انجاب الطفل يعزف نغمة جديدة علينا أصبحت سببا للمشاكل المستمرة بيننا . . فهو يحاول دائما أن يثبت لي ان « هذه » تحبه و« تلك » واقعة في غرامه . . فاذا اتصلت به مثلاً زميلة كانت تعمل معه في عمله السابق فهذا معناه انها تحبه بالرغم من أنها زوجة وأم . . وكنت في البداية آخذ الأمر ببساطة على انه تهريج لكنني فوجئت به يدعى نفس الادعاء بالنسبة لجارة لنا تقطن معنا في نفس العمارة . ويظل يردد اسمها أمامي ليل نهار . . كما كان يفعل مع اسم زميلته السابقة . ويتفاقم الأمر فيردد هذا الكلام أمام الأهل والأصدقاء مع أنه ليس انه ليس لنا بها أية صلة ولا حتى مجرد تبادل التحية . وتكررت الحكاية بصورة مقززة . . حتى فوجئت به يلقن ابنتنا الصغيرة التي لايزيد عمرها على عامين وبضعة شهور هذه التفاهات بدلا من ان يعلمها شيئا مفيدا . . فيقول لها قولي أن فلانة تحب بابا ! . . واحاول ان اثنيه عن ذلك وعما يخرج به مشاعري طوال وجوده في البيت بلا فائدة وصبرت لعله يملُ هذه اللعبة السخيفة فإذا به يلتفت إلى إعلانات التلفزيون ويتغزل في جمال فتيات الاعلانات أمامي ويندب حظه وكل ذلك وأنا اتصور انه تهريج واحتمل واصمت بل وأحاول مجاراته عسى ان يمل هذه الهواية المقززة بلا فائدة ، مع أني والله على قدر لابس به من الجمال وروحي خفيفة واحب المرح ويجبني كل من يعرفنا ولا أجلس في مجلس إلا ويشني عليَّ من كانوا فيه وعلى روعي البشرية . ولست بذلك أمدح نفسي والله العظيم لكنها الحقيقة وربما هذا ماجعلني لا أكرث في البداية لما يقوله زوجي واتصور انه دعابة سوف تنتهي بعد قليل لكنها استمرت وطالت واصبحت لا اسمع من زوجي إلا

أن « هذه تحبه » . . والا كلمات الغزل في بنات الاعلانات والا ندبه لحظة . . وأحاول مرارا ان اثنيه عن ذلك بالرجاء ويهدوء . . وأقول له أنه يرتكب اثما كبيرا بهذا الكلام لأنه يرمى المحصنات بالباطل وهو من حجّ إلى بيت الله ويؤدى الصلوات ثم لم أعد احتمل الصبر اكثر من ذلك ، فأصبحت اترك له الغرفة حين يبدأ في هذا الكلام السخيف . لقد اختفت ابتسامتي وروحي المرحّة ياسيدى وبدلا من ان يعود إلى رشده ازداد عنادا وأصبح يهددنى بأنه سوف يقول دائما مايريد ويهددنى بالطرد ويطالبني بالعودة لأهلى إذا لم اكن راضية عن ذلك لأنه كما يقول سامحه الله قد زهق منى تماما !

اننى لست مقصرة تجاهه في شيء . . وحرصة عليه وعلى بيته ومع ذلك فهو يشككنى في نفسى . . وفي أنى لست مثل هؤلاء الفتيات اللاتي يظهرن في إعلانات التليفزيون . . ويسألننى دائما لماذا لم يكن من نصيبه ان يتزوج واحدة منهن ؟ ولا أعرف لماذا يسألنى . . ولا بماذا أجيبه مع أنى اخترته واستجبت لرغبته في ألا أعمل حين تزوجنا . . اننى مرة أخرى لا امدح نفسى لكنى لست مقصرة في شيء واسارع دائما بعمل الشيء الذى يتعلل به حتى لا اعطيه الفرصة لاثارة أية مشكلة ومع ذلك فهو لا يقول لى كلمة طيبة واحدة . . ولا يكف عن حديث من تحبه . . ولا حديث بنات الاعلانات ولا يكف عن تهديدى بالطرد . . مع أن قلبى طيب ولا أفعل شيئا حين يجرحنى إلا البكاء وتبكى طفلتى معى وبدلا من ان يستغل فى هذه النقطة لصالحى يستغلها ضدى ويواصل جرحى وتهديدى .
فهل هذا يرضى الله . . وهل يرضى هو لأخته هذه المعاملة ؟ اننى

أرجوك الا تبخل علىّ وعليه بكلمة تحته فيها على أن يحافظ على زوجته وبيته وابته من الخراب وإن يرمى الله في معاملتنا حتى تنشأ طفلتنا سليمة نفسيا وإن يتقى الله فينا وذكّره بمعاملة سيدنا رسول الله لزوجاته وبأنى رغم كل ذلك ما زلت أحبه وما زال عندى أمل فى انصلاح الأحوال وشكرا جزيلاً لك مقدماً .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : لن أقول له اتق الله فى زوجتك وطفلتك كما تنتظرين منى . . ولن اذكّره بمعاملة سيد خلق الله لزوجاته . . وهو القائل ما معناه : خيركم الطفكم بأهله . . وأنا الطف الناس بأهلى ، والقائل « استوصوا بالنساء خيراً فهن عوان لديكم » أى اسيرات لديكم ولن اذكّره بأن الدين المعاملة . . وليس فقط الشعائر والركوع والسجود . أو بأن البرّ حسن الخلق كما قال صادقاً رسولنا الكريم . أو بأن الحياة ديون . . وأن الإنسان له دورة كدورة الحضارة التى قال عنها المؤرخ ديورانت وإن له فترة ضعف ثم قوة وبأس فى رجولته وشبابه ثم عودة للضعف فى شيخوخته ، وأنه فى ضعفه قد تستأديه الحياة قصاص ظلمه فى قوته للضعفاء الذين كانوا تحت رحته . . كما لن اذكّره بأن الحب رصيد إذا واصل السحب منه بغير أن يضيف إليه فسيأتى يوم قريب لا يجد فى حسابه إلا البغضاء والكراهية . . وسيندم ساعة لايتفع الندم إذا هو بدد رصيده الكبير من الحب فى قلب زوجته بهذه الترهات السخيفة وبسوء عشرته لها .

لن اذكّره بشيء من ذلك . . وإنما سأسأله فقط سؤالاً واحداً أرجو ان تكون فى نفسه الشجاعة الأدبية للإجابة عليه بصدق هو : ماذا يكون أحساسه حين تقول له زوجته من باب « الدعابة » ان فلانا جارهما فى العمارة « مجبها » ويبدو ذلك واضحاً فى عينيه بالرغم من انه لا تربطهما به

أية صلة . . كما يفعل هو !

وأى امرأة فى الدنيا مهما كان مستوى جمالها لن تعدم من يشتهيها ويرغبها . . ماذا يكون احساسك يا صديقى إذا قالت لك زوجتك ذلك فقط لا غير ولم تحفظ ابنتها هذا السخف أمامك ولم تردده أمام الأهل والأصدقاء كما تفعل أنت . . وإنما تردده أمامك فقط . . أستكون سعيدا بهذه الشوكة التى ستغرس فى مشاعرك وكرامتك ؟

بل كيف يكون إحساسك حين تتأوه زوجتك إعجابا ونشوة أمام كل شاب وسيم يظهر فى التلفزيون فى حضورك ثم تندب حظها لأنها لم تتزوج « نجما » وسيمًا مثله . . وتتساءل ماذا كان ينقصها لكى تتزوجه ولا تكتفى بذلك بل تجعله حديث كل يوم وكل جلسة صفاء بينكما ؟

يا سيدى لا ترض لغيرك ما لا ترضاه لنفسك ولا داعى لهذه « الحركات » السخيفة لاستشارة غيرة زوجتك عليك فهى تحبك فعلا وحرصة عليك وتحسن عشرتك ونارها متأججة بحبك وليست فى حاجة إلى مزيد من قطع الخشب لكى يعلو أوارها . كما ان الزوج الذى يثق فى نفسه وفى جدارته لا يلجأ لمثل هذه الأساليب الرخصية للتأكد من استحواذه على زوجته إلا إذا كان ساديا يستعذب إيلاهم الآخرين ويتلذذ به أما تهديدها بالطرد كلما اعترضت على ذلك فلن اصفه إلا بأنه لايتفق مع القيم الدينية لمن كان يعرف ربه كما تقول عنك زوجتك . يا صديقى أننا لانعرف قيمة من يحبنا باخلاص إلا بعد ان نفقده ، فحاول ألا تعفى نفسك من معاناة تجربة ضياعه وفقده لكى تعرف بالدليل فيما بعد . . ما لايحتاج إلى دليل الآن . . والعاقلة يا سيدى من يتعلم من اخطاء الآخرين بغير أن يضطر لمعاناة تجاربهم ودفع نفس الثمن الذى دفعوه من قبل .

البركان !

أنا زوجة شابة نشأت في بيت زاخر بالخلافات الزوجية والمشاحنات المستمرة بين أبى وأمى ، وعانيت احساس الخوف الدائم من انهيار البيت وطلاق الأبوين في أى لحظة . . وكانت أمى وعفوا في هذا التعبير متسلطة ولا تعرف شيئا عن أصول التربية فكانت تضربنى دائما وتميّز بينى وبين اشقائى بلا سبب مفهوم وتقرّبهم منها وتغدى عليهم من حنانها ولا أنال منها سوى الضرب والاهانة والكلام المسموم ، فغرست بذلك في نفسى احساس الخوف وكراهية البيت والرغبة في مغادرته بأى ثمن .

وواظبت على الاستذكار أملا في الخلاص من البيت وخوفا من العقاب ، فتخرجت من الجامعة وعملت وتقدم لخطبتى شاب يعمل عملا مرموقا فوافقت على الفور لكى اتخلص من الكابوس الذى أعيش فيه . وتزوجت ووجدت زوجى رجلا طيبا ومحبا للحياة الأسرية ويفعل ما فى وسعه لارضائى ، لكن ظروف عمله كانت تضطره للسفر من حين إلى آخر بضعة أيام وأحيانا أسابيع فكنت اضطر خلالها للعودة إلى البيت الذى اكرهه . وقد سافر ذات مرة ثلاثة أسابيع فعدت إليه مضطرة وتجرعت خلالها كل ألوان العذاب من أمى ورغم ذلك لم أحاول مضايقتها حتى يبارك الله لى في بيتى وزوجى والطفلتين اللتين رزقت بهما ، ومع ذلك فما

اقسى ان نحسّ أنك غير مرغوب فيك في بيت اهلك أو ان اشقاءك محبوبون من أمهم وأنت مكروه بلا سبب . وهذا ما احسه دائما كلما اضطرتنى ظروف المحافظة على المظهر العام أمام زوجى واسرته إلى ان أعود إلى بيت أهلى خلال سفره . . . ولو تركت لنفسى لما غادرتُ بيتى إلى أى جهة مهما طال غيابي . لقد مضى على زواجى الآن عدة سنوات ومنذ أكثر من عامين بدأت لاحظ على نفسى شيئا غريبا وخفيئا فى نفس الوقت ، فلقد بدأت اكتشف انى قد تحولتُ مع الطفلتين تدريجيا وبدون ان أحس إلى نموذج آخر طبق الأصل من صورة أُمى الكريمة فى تعاملها معى ، فأصبحت بلا مبالغة كالوحش فى معاملتى لابنتى الكبرى التى تبلغ من العمر الآن ٦ سنوات فأنا دائما اضربها وبقسوة وأفقد أعصابى معها بسرعة لأنها قليلة الاستيعاب ، فيترك الضرب اثره فى جسمها وخدوشا فى وجهها ومع ذلك قد اكرر ذلك معها بعد قليل إذا اخطأت ، وما أكثر ماتحطى . والموسف أكثر ان عاطفة الأمومة من ناحيتى تجاهها منعدمة تقريبا، أما ابنتى الصغرى فانى احبها ولا اعرف هل ذلك لأنها مازالت صغيرة أم لانى افترق فى المعاملة بينهما كما كانت تفرق أُمى فى المعاملة بينى وبين أشقائى واننى بذلك بذلك اذيق ابنتى نفس الكأس التى تجرعتها طوال حياتى . ان زوجى يدع لى تربية ابنائى وقد رآنى كثيرا وأنا اضرب ابنتا الكبرى وطالبينى بالرفق بها ، لكنى لا اترفق بها وإذا غضبتُ منها خطأ فى الكتابة أو الأكل مثلا فقدت السيطرة على أعصابى وضربتُها بوحشية فإذا كلت يداى من الضرب بدأت اضربها برجلى وابنتى تبكى بحرقه كما كنت ابكى وأنا صغيرة فى نفس موقفها .

اننى ادرك تماما ان خطئى جسيم ولا انسانى مع اولادى لكن ماذا افعل ؟ ان امى وأقوها لك بلا حرج تكرهنى . . وأنا عفوا اكرهها هذه هى الحقيقة المؤلة التى اخجل من الاعتراف بها لكنى اريد ان أكون صادقة معك واشقائى لا احس تجاههم بعاطفة ماسبب حب امى الزائد لهم على حسابى من الطفولة حتى الآن . . ولا اعرف ماهو طريق الخلاص من كل هذا الشر اللانهاى الذى احسه بداخلى . . . انى مع الآخرين وديعة جدا ومع اولادى شرسة جدا واحس ان قلبى لا يكاد يعرف الا الكره واشعر بالخجل من ان يقرأ قراؤك هذه الرسالة وانمنى لو تختصرها إلى اقصى حد فهاذا افعل لأتخلص من كل ذلك ؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : بعض الأمهات والآباء يسرفون أحيانا في عقاب اولادهم بدنياً بغير ان يتنبهوا إلى ان بعض دوافع لجوئهم إلى هذا النوع من العقاب هو « التنفيس » عن مشاعرهم المكبوتة وأحاسيسهم الغاضبة لأسباب لاعلاقة لها باخطاء الأبناء أو الرغبة في تربيتهم ! واخشى ياسيديتى ان يكون إسرافك في ضرب طفلك بهذه الوحشية « تنفيسا » غير إنسانى عن مشاعر وأحاسيس لاعلاقة لها بابنتك وقلة تحصيلها أو أخطائها . ومن واجبك في هذه الحالة ان تتوقفى لتسأل نفسك هذه الأسئلة : ماهو ذنب ابنتى الجميلة الصغيرة هذه في ان امى قد اسرفت في ضربى بلا رحمة في طفولتى وصباى !

وماذنبها في ان امى قد اشعرتنى دائما بأنها لاتحبنى أو أنها تحب أخوتى وتحنو عليهم أكثر منى . . بل وماذنبها في انى لا أحمل مشاعر عائلية سوية تجاه امى وأخوتى نتيجة لكل معانيت وانى اضيق بذلك أحيانا

وتتفاعل داخل المشاعر المتناقضة بين مظهرى الوديع وباطنى الصاحب
بحمم البراكين فى ان تخطى طفلى سيئة الحظ أى خطأ عابر حتى أجد
فرصتى فيه لتفريغ كل هذه الحمم والشواظ فيها !

لقد اثبتت الدراسات التربوية الحديثة ان معظم من يستخدمون
العقاب البدنى مع أبنائهم ويسرفون فيه قد نشأوا هم أنفسهم على مبدأ
العقاب البدنى وتلقوا منه ما فيه الكفاية فى صغرهم . وان الإصراف فى هذا
العقاب لا يحقق شيئا فى الأغلب الأعم الا تحطيم شخصية الطفل وتعريض
نفسه للخطر . . ثم وهو الأهم ترشيحه للانحراف ومعاداة المجتمع فى
الكبر !

فئمة أطفال كثيرون جنى عليهم الأهل بسوء التربية كما تفعيلين الآن
للأسف مع ابتك مكررة للعجب كل اخطاء أمك معك ، فأدى بهم سوء
التربية إلى المرض النفسى ، وادى بهم المرض النفسى إلى سمات خاصة
أهمها العزوف عن الاهتمام بالغير وعن الرغبة فى خدمتهم فنشأوا اعداء
للمجتمع الصغير من حولهم ثم تمادت بهم العداوة فتحولوا إلى الانحراف
وربما للجريمة فى الكبر ، ومن لم ينته بهم المصير إلى هذا الحد أنتهى بهم
إلى الفشل على الأقل فى مجالات الحياة المختلفة !

وأنت ياسيدتى جانية وبجنى عليك فى نفس الوقت ، فأنت ضحية
لسوء تصرف امك معك ، لهذا فقد نشأت تعرفين الكره أكثر مما تعرفين
الحب ، ولاعجب فى ذلك لأن من ينشئ طفله على حبه واحترامه ، إنما
ينشئه فى الحقيقة على حب الإنسانية واحترام الحياة . لكنك تحولت إلى
جانية لانك لم تقاومى بها فيه الكفاية هذه الآثار السلبية على شخصيتك فى

حين ان كثيرين قد تعرضوا لمثل هذه المؤثرات في طفولتهم فاستفادوا بنفوسهم الخيرة بطبيعتها وبمغالبة النفس من دروسها وتجنبوا اشواكها ، بل واكسبتهم تجارب الألم التي عاينوها شفافية إضافية وحساسية زائدة ضد ظلم الآخرين لأنهم عرفوا مرارته ، فلماذا لم يكن انعكاس هذه المؤثرات عليك في مثل هذه النزعة الإنسانية ؟ ولماذا انعكست عليك بالقسوة السادية على ابتكك والتمييز بينها وبين اختها الصغيرة . . ؟

إن القاعدة التي تقول ان فاقد الشيء لايعطيه صحيحة دائما لكن فاقد الشيء يستطيع ايضا ان يبدأ في اكتسابه لكي يعطيه للآخرين وأنت تستطيعين ان تسدلي الآن ستارا عن ماضيك كله . . وإن تصفحي عن أمك أو تتلمسي لها بعض الاعذار أو على الأقل تتركبي حسابها عما جنته عليك لخالقها . . ثم تبدئين اخوتك بالحب لأنهم لاذنب لهم في تفضيل أمهم لهم عليك وتأكدي ان من يتخلص من احقاده على الآخرين وكراهيته لهم لايفضل عليهم بشيء ولايحسن إليهم وإنما يحسن إلى نفسه هو أولا لأنه يعفيها من ثقل الحقد ومثونة الكراهية ويخفف عنها بعض أحوالها لكي تتفرغ لما هو خير وأبقى .

فافعلي كل ذلك ياسيدتي وتذكرى أن انحراف الأبناء نفسيًا على الأقل هو في نسبة كبيرة منه مسئولية الأمهات والآباء وان الطفل قد يشب منحرفا إذا اخفق أبواه في ان يمنحاه الحب العاقل والفهم الحكيم والتوجيه السديد، وانه في سنواته الأولى يحتاج بشدة إلى ان يستشعر حب أبويه وإلى الاحساس بالأمان والاستقرار وبأنه مرغوب من أبويه وليس مكروها أو مرفوضا من أحدهما ، بل وإلى الاحساس بانه شيء له قيمته واعتباره أيضا

في محيطه الصغير وانه لذلك فلا يجوز الاسراف في تسفيه كلامه وتصرفاته في كل الأحوال ، فكيف يكون الحال بضربه بوحشية كل يوم !
لقد تحملت ياسيدتي غاتورة الجهل التربوي والشقاق الأسرى ،
والمشاحنات الزوجية بين أبويك . . وجناية التمييز بين الأخوة والأشقاء
وعرفت مرارة كل ذلك . . فكيف هان عليك ان تديرى كأسها المرة إلى فم
طفلتك الصغيرة البريئة ؟
إننى أطالبك بمراجعة نفسك . . وبالبعد فورا في تغيير موقفك من
طفلتك ومن الحياة بأسرها فإذا وجدت نفسك بعد حين مازلت مستغرقة
في ضرب طفلتك بنفس الوحشية . . فلا ترددى في طلب المساعدة
النفسية قبل فوات الأوان .

نشوة الهزيمة !

أنا سيدة فى التاسعة والعشرين من عمرى . . حين كنت فى الثامنة عشرة من عمرى ، كان لأبى صديق يعمل باحدى الشركات الأجنبية كان عمره وقتها ٣٨ سنة وذكىا ولماحا ووسىيا وتتمناه أى فتاة . . أما أنا فقد كنت طالبة بالثانوية العامة وبإيجاء من أمى سعى أبى لأن يزوجنى منه ولم تكن هذه الفكرة قد خطرت لى من قبل فقد كنت لا أراه الا فى مناسبات قليلة لكن أبى وأمى اقتنعا بهذه الفكرة وسعيا لتنفيذها إعجابا باخلاقه واطمئنانا له . . ووسط أبى قريبا له لاقناعه بالتقدم لخطبتى . . فلم يتحمس صديق أبى وأبدى تحفظه على فارق السن بيننا . . لكن أبى وأمى ألحا عليه فى ان هذا الفارق لاقىمة له وان المهم هو التوافق والانسجام وبتأثير الحاحهما عليه استجاب للفكرة وتمت خطبتنا . . وفرحت به وتعلمت منه كل شىء فى الحياة . . الكلام ومعاملة الناس والتسامح والحب وخلال خطبتى تقدمت لامتحان الثانوية العامة واعتبر خطيبى نفسه مسئولا عنى فتكفل بنفقات الدراسة كلها ثم توفى أبى فجأة قبل زواجنا فوقف خطيبى إلى جوارنا فى هذه المحنة وعرضنى إلى حد كبير عن فقد أبى . . وكان كريما وعطوفا معنا جميعا . وكان أبى قبل وفاته قد اتفق معه على تقسيم تكاليف الزواج بينهما من حيث التأثيث وغيره . . فبادر خطيبى وبغير أن يطالبه

أحد بالغاء هذا الاتفاق وتحمل هو كل نفقات الجهاز والزواج وكل شيء
ابتداء من بنسة الشعر إلى قطن التنجيد ، وتم الزفاف . . وبدأت حياتي
معه سعيدة بكل شيء . . وبعد عام أنجبت ولدا جميلا . . وبعده بعام
آخر أنجبت طفلة أجمل . . وكبر الطفلان وبلغا مرحلة الحضانة فادخلهما
زوجي مدرسة أجنبية راقية توسط له لديها مديرة الأجنبي . .
وأحسست أنني أعيش أجمل أيام حياتي . . واني أملك الكثير :
أفضل زوج . . أجمل شقة . . واحلى الأبناء لكن ماذا بعد ؟ . هذا هو
السؤال ياسيدي . . فرغم كل شيء فلقد كنت خائفة من المستقبل لا
أعرف لماذا . . وبسبب الخوف الغامض ربا وجدت أمي عندي استعدادا
نفسيا لقبول نصيحتها حين نصحتني بأن أعمل حسابا للزمن . . وإن
أحاول أن أخصن ضد غدره بضمائم كثيرة . وكانت نصيحة أمي لي هي
أن ادخر من زوجي أكبر مبلغ أستطيع ادخاره إلى جانب أكبر كمية ممكنة
من الهدايا الذهبية التي تعتبر مالا غزونا . وبدأت اطلب من زوجي وهو
يستجيب كرما منه وحسن نية . . اطلب وهو يستجيب وقدم لي ذهباً
وادخارا والشقة التملك التي نقيم فيها والتي كتبها باسمي استجابة
لرغبتى . ثم بدأت معاملته تتغير معي . . وبدأ يرفض الاستجابة لطلباتي
وتغيرت معاملتي له أنا الأخرى وقصرت في أداء واجباتي الزوجية تجاهه . .
وتدخلت أمي بيننا فقال لها انه لايجب أن يبتزه أحد وإن مايجرى معه من
جانبى هو عملية ابتزاز لايقبلها على نفسه وحدثت مشاكل كثيرة وتدخل
الأصدقاء بيننا . . وتدخلت الشرطة . . ورفض أهله التدخل بيننا . .
وتحولت الحكاية من جانبى على الأقل إلى صراع بين ارادتي وارادته من

يغلب منا الآخر . . ومن ينهزم . . ومن يتنصر ؟
وكلما تدخل بيننا الوسطاء رفضت ان اترجع أو اتنازل . . واصررت
على ان يخضع ويستجيب لكل مطالبى . . وكلما ازداد الصراع بيننا
تمسكت بالعناد والاصرار على ان أهزمه وانتصر عليه وفى قمة المعركة
فوجئت به يسلم بالهزيمة فجأة وبدون مقدمات . . وفى صمت ترك كل
شئ وذهب . . كل شئ . . كل شئ حتى ملابسه وأوراقه تركها . .
وطلقنى وذهب ، واحسست بنشوة الانتصار . . وأصبحت أُمى فى قمة
السعادة . . وأكدت لى ان ما حدث كان هو الحل الأمثل لأنه كان سبب تركنى
يوما ما . . وان الأفضل ان أؤمن مستقبلى مادامت النهاية واحدة .
وبدأت المحاكم والقضايا بيننا للحصول على نفقة شهرية لى
ولأولادى . . وكان قد تركنى ومعى مدخرات لابأس بها وذهب وشقة
تملك ، وأثاث فاخر وكل الأجهزة . . وتوقعت ان أراه فى أول جلسة
للمحكمة . . فلم يحضر وإنما جاء محام موكل عنه حاول ان يتدخل بيننا
بالصلح فرفضنا الصلح معه فحاول محاميه ان نتوصل فيما بيننا إلى اتفاق
ودى حول النفقة الشهرية بغير حاجة للمحاكم فرفضت أُمى لأن المحامى
الموكل منا أكد لها انه سوف يحصل لنا على حكم بمبلغ كبير بعد ان قدم
مستندات تفيد حصوله من الشركة الأجنبية على راتب خيالى . . وواصلت
التزاع معه أمام المحكمة فإذا بالمحكمة تحكم لى بمبلغ مائة وعشرين جنيها
فقط كل شهر كنفقة شهرية وهو مايساوى المبلغ الذى كنت احصل عليه
منه كمصروف شخصى لى كل شهر إلى جانب مصروف البيت والأولاد !
ورفضت بذلك مضطرة ، وتفرغت لأولادى . . ورفضت الزواج

ومضت سنوات . . ثم توفيت أمى فرأيت زوجى السابق لأول مرة منذ طلاقنا . . فقد جاء وقدم لى العزاء وحضر كل المراسم وشهد العزاء ليلا ثم ذهب بعدها . . ولم يعد مرة أخرى .

ومضت الأيام ووجدت نفسى وحيدة بعد ان ماتت أمى . . وسبقها أبى . . ومعى طفلان صغيران . . وابتعد عنى أقارب أمى . . فتساءلت اين أبو اطفالى . . ولماذا لا يعود إلينا . . ونداوى الجراح معا وتنسى مافات بعد ان تعلمت انه لا مال يغنى عن الزوج والأب وأملت خيرا فى مجيئه للعزاء فى أمى وحاولت الاتصال به بعدها . . فلم انجح . . وحاولت الاتصال بوالدته وإخوته وطلبت منهم ان يتدخلوا لاعادة المياه إلى مجاريها بيننا فاعتذروا عن عدم التدخل لأنها مسألة شخصية تخصه هو . . وهكذا انقطع كل ماكان يربطنى به . . إلا نفقات المدرسة للطفلين التى يدفعها كل سنة بغير ان يراها . وفى سن التاسعة والعشرين فوجئت بانى مصابة بضيق فى شرايين القلب وفى حاجة إلى جراحة لتغيير ثلاثة شرايين وفى حاجة اشد لمن يكون بجانبى . فأرسلت الطفلين إلى زوجى السابق فاعادهما وأرسل إلى مع زميل له شيكا بكل نفقات الجراحة . . وعرض ان يسهل لى اجراءها فى الخارج عن طريق سفارة الدولة التى تتبعها شركته إذا اردت ذلك . . لكنه مع كل ذلك رفض ذكر أى شىء عن الماضى . . ورفض مجرد التفكير فى العودة إلى وقالها صريحة انى قَدُمْتُ فى نظره وإن كل مايفعله معى هو من اجل أولاده فقط . . وانه لو كانت لهم مربية واحتاجت لجراحة لتكفل بنفقاتها كما فعل معى .

اننى أرجوك . . وأتوسل إليك ان توجه له رسالة عبر بابك فأنا فى

حاجة إليه وطفلاه في حاجة إليه . . وشفائي في عودته .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : من بين سطور رسالتك العديدة توقفت طويلا أمام سطر واحد تصفين فيه احساسك حين سلّم زوجك بالهزيمة في صراع الارادات الذى فرضته عليه فغادر بيته وطفليه تاركا وراءه كل شىء حتى أوراقه وملابسه ، فكتبت تقولين عن هذه اللحظة : واحسست بنشوة الانتصار . . . وكان الأخرى ان تقولى : واحسست بـ « نشوة الهزيمة » لأن الانتصار الذى يؤدى إلى حرمان طفليك من أبيهما ومن رعايته وحنانه . . وحرمانك أنت من هذا الزوج المحب العطوف الكريم الشهم الذى لم يكن يرفض لك طلبا حتى ضاق بعملية الابتزاز المنظمة التى يتعرض لها ليس انتصارا وإنما هزيمة لك أنت في الحقيقة ولطفليك من قبلك ولكل قيم الوفاء والعدل في الحياة . فأى انتصار هذا ياسيدتى ؟ لقد ظلمت زوجك ظلما بيّنا . . وظلمت طفليك . . بل وظلمت نفسك ودمرت سعادتك بمحاولتك البشعة ابتزاز زوجك وحلّبه بدعوى تأمين مستقبلك . . وهى « صرعة » تنتاب أحيانا بعض الزوجات فيدمرن حياتهن ويشردن أطفالهن ويسلمن حياتهن للخراب ويجدن أنفسهن بعد حين وحيدات ومسئولات عن أطفال صغار يحتاجون إلى رعاية الأب . . ويعيشن عن الأمان الذى هدمن حياتهن من أجله فلا يجدنه . . ويعرفن وقتها ان الأمان الحقيقى هو فى الأسرة المستقرة ومع الزوج المحب . . وفى رعاية حدود الله ، والثقة به وفى الا يظلمن غيرهن لكيلا يظلمهن أحد . . وعسى ان يأمّن غدر الزمان ، وهذه هى وثيقة التأمين الحقيقية التى يستطيع كل إنسان ان يؤمن بها مستقبله ثم يرجو الله بعدها أن يحميه من

تقلبات الأيام . . وبغيرها لايفيد مال ولا عقار . . وقصتك وقصص غيرك
خير دليل على ذلك .

والآن ياسيدتى تريدين بعد ان انفضت الدنيا من حولك وافتقدت
الأمان الذى بحثت عنه ، وهوجمت من الداخل لا من الخارج ان يعود
إليك زوجك وان يقف إلى جانبك فى محنتك كما كان يفعل دائما . . حسنا
انه لو شاء ان يضيف إلى سجله النبيل معك فضلا جديدا فيصفح الصفح
الجميل ويضم ابنه إلى احضانه فليفعل ولن يكون ذلك مستغربا عليه بل
لعله اقرب إلى طبيعته السمحاء .

أما إذا عجز عن الصفح بعدما لقي منك من سوء الجزاء على كل
ماقدم لك ولأسرتك فلا أحد يستطيع ان يلومه على ذلك . ولا يكلف الله
نفسا إلا وسعها » وعسى ان تسمح الأيام على جراحة فيكون أكثر استعدادا
للنسيان فى المستقبل . . وعليك أنت ان تثبتى جدارتك بصفحه ونسيانه
بالندم الصادق المبرأ من الغرض على ما جرى . . ويتعلم درس التجربة
الذى لا تتعلمه غالبا الا بعد قوات الأوان . . ويحسن رعاية طفليك
وتكريس حياتك لهما وبالصبر على ماتريدين إلى ان يذيب الزمن
مرارة النفوس وبالكفاح الطويل لاستعادته ببعض الأصرار والعناد اللذين
« كافحت » بهما من قبل لتحقيق ذلك الانتصار الموهوم عليه .

أما تصور انه سوف يعود لك لمجرد انك قد أبديت هذه الرغبة الآن فهو
تصور بعيد عن الواقع وعليك ان توطئى نفسك على قبول ذلك . . والا
فاختارى لمستقبلك ماترينه ملائما .

الجرح الساخن !

لم أكتب اليك قبل الآن ولم أتصور أن تضعنى الظروف فى هذا الموقف الذى أعجز فيه عن اتخاذ قرار صائب فأنا يا سيدى رجل فى الخمسين من عمري تزوجت منذ ٢٤ سنة وانجبت بنتين ومضت بنا رحلة الأيام هادئة وسعيدة حتى قاربت البنتان على الانتهاء من تعليمهما وبدأنا نفكر فى مستقبلهما بعد التخرج ثم فوجئت فى يوم أسود منذ عام بشريكة العمر ورحلة السنين تطلب منى الطلاق وتصر عليه . . هكذا فجأة وبلا خلاقات ولا مقدمات ، وهى فى الخامسة والأربعين من عمرها وبتنانا على وشك التخرج والزواج !

نزل على الخبر كالصاعقة . . وحاولت انقاذ أسرتى الصغيرة بكل الطرق . . وتوسلت لزوجتى ان تعيد النظر فى هذا الأمر المذهل وأن تضع مصلحة البنتين فى اعتبارها وذرفت الدمع الغالى خوفا على البيت السعيد من الانهيار بعد هذا العمر وكنا فى نهاية العام الدراسى الماضى . . فتأثرت ابتئى كثيرا بهذه المحنة الطارئة واستقر الحزن والتعاسة فى ملامحهما . . ورسبت احدهما فى الامتحان وانهارت أعصاب الأخرى حتى اضطرونا لعرضها على الأطباء وزوجتى رغم كل ذلك مصرة على ما تريد ولاتتنازل عنه وترداد تشددا كلما ازدادت استعدادا للتفاهم واخيرا لم أجد مفر من

الاستجابة لطلبها احتراماً لنفسى وتم الطلاق بهدوء . واحتضنت البنتين وانطويت على آلامى واحساسى بالمهانة والغدر وسافرت معها إلى الإسكندرية ونقلت عملى إلى هناك مؤقتاً لأبعد نفسى والبنتين عن جو المأساة التى فرضت علينا فجأة . وهناك علمنا بأن زوجتى السابقة . . الأم والمربية الفاضلة قد تزوجت من شاب عمره ٣٢ سنة ، بدلا من أن تبحث هى عن عريسٍ لبنتيها اللتين بلغتا سن الزواج ، فانتكست حالتى المعنوية وحالة البنتين بعد أن كنا قد بدأنا نستعيد هدوءنا وسلمت أمرى إلى الله وبعد شهور أخرى عدت إلى مقر اقامتى وكوست حياتى لرعاية البنتين وأملت فى الله أن يعوضهما ويعوضنى عن هذه المحنة خيرا . . ومضت ٥ شهور أخرى انقطعت خلالها صلة الأم ببنتيها تماما ، ثم سمعنا من أحد جيراننا أن زواجها لم يدم أكثر من شهور قليلة وانتهى بالانفصال والطلاق . وعادت مطلقتى إلى بيت أمها بعد أن أضاعت أشياء كثيرة لاتعوض أهمها صورة الأم فى عيون ابنتيها . . وعلمت ابتئائى بالخبر فدفئت فيهما فجأة روح جديدة وطلبتا منى أن تزورا بيت جدتهما فسمحت لهما بذلك ، وذهبتا إلى هناك والتقيتا بأمهما . . ثم عادتا إلّى وقد تغير موقفهما منها إلى العكس تماما ! فبعد ان كانتا ساخطتين عليها ولا تغفران لها فعلتها عادتا تتوسلان إلى أن أعيدها إلى عصمتى ، فذهلت من الطلب واشفقت عليهما من أن أخذلها على الفور واحبط آمالهما فوعدتتهما بالتفكير فى الأمر ووجدت نفسى غارقا فى صراع عنيف بين أن أعيدها لإرضاء للبنتين وحرصا على مستقبلهما ، وبين الرفض انتقاما لكرامتى التى مازال جرحها ساخنا يتزف وفى غمار تفكيرى أسأل نفسى كثيرا ماذا سأصبح فى نظرتنى

إذا رفضت اعاتها سوى رجل أنانى أثر الشار لكرامته على مصلحة بنتيه ومستقبلها ؟ أننى حائر فماذا أفعل ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : أبعد القرارات عن الحكمة هى ما نتخذها ونحن تحت تأثير الانفعال الشديد بالغضب أو الاحساس العميق المؤلم بالاهانة أو الرغبة العارمة فى الانتقام من أساءوا إلينا . . لهذا فان أول ما أنصحك به يا صديقى هو أن تؤجل اتخاذ أى قرار بالرفض أو القبول إلى أن يبرد جرحك الساخن ويلتئم وليكن هذا التأجيل حلا وسطا لا يغلق الباب أمام رغبة ابتيئك ويتيح لك مهلة كافية للتفكير فى الأمر بروية . . وأيا كان القرار الذى تتوصل إليه بعد ذلك فسوف تكون له مبرراته المقبولة ولا يملك منصف أن يلومك عليه فان وجدت نفسك غير قادر على الصفع عن مطلقتك والعودة للحياة معها بعد أن اعتصرتك واعتصرت ابنتيها بهذه المحنة القاسية دون اعتبار لمستقبلها وسعادتها فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها ولن يطالبك أحد بما لا تطيق وليس من حق من ضحى بكل شىء جريا وراء أهواء القلب الطارئة فى السن الحرجة ورفض كل التوسلات إليه ليعود إلى رشده ، ان يشكو من قسوة الآخرين إذا عجزوا عن النسيان خلال هذا الوقت القصير .

أما إذا كنت ممن لا يستطيعون أن يتجاهلوا نداء الواجب تجاه ابنائهم حتى ولو ضحى به شركاء الحياة فى بعض نزواتهم ، ففكر فى الاستجابة لطلب ابنتيك بغير تعجل وتأكد أولا من أن مطلقتك قد استوعبت درس التجربة القاسية وعرفت لك قدرك وندمت على المحنة التى عرضت ابنتيها وعرضتك لها . وبقدر الخطأ يكون حجم الاسترضاء والاعتذار فإن

استرضتكَ الترضية الكافية فلا لوم عليك إن عفوت ونسيت اختياراً لمصلحة ابنتيك . . وتقديراً لحاجتها الإنسانية والاجتماعية إلى الأم وإلى الأسرة الطبيعية المستقرة وهما في سن الزواج وليكن مما يساعدك على تقبل هذا الاختيار إذا اخترته أنها على أية حال قد اختارت « الحل الأكرم » رغم قسوته حين لم ترض لنفسها ولك بالخيانة وفضلت هدم المعبد لتزوج ممن أرادت . .

وليس أنبل من صالح الأبناء دافعاً للإنسان للتنازل أحياناً عن بعض الاعتبارات الحساسة وقبول ما قد يرفضه بلا تردد لو لم تكن الأقدار قد حملته أمانة المسئولية عن أبناء لا شأن لهم بأهواء القلب وتقلباته . .

وفي تقديرى أنك تميل لتغليب مصلحة ابنتيك على كل الاعتبارات الشخصية الخاصة بك لكنك جريح القلب والكرامة وتنتظر حلاً سهلاً لك قبول عودتها . . وهذه هي مسئوليتها في أن تيسر عليك الصفيح والنسيان . ومن واجب المخطئ في حقنا أن يقر بخطئه وأن يكفر عنه . وليس من حقه أن ينتظر منا باقات الورد لمجرد أنه قد فشل مع من تخلى عنا من أجله وإنما لابد أن يعبر لنا عن ندمه وأن نستشعر صدقه في ذلك ليسر علينا التجاوز عن خطئه في حقنا . . وليست مطلقتك بأكرم على نفسها من زوجة الشاعر الإنجليزي «ميلتون» التي استأذنت زوجها ذات يوم في السفر لزيارة أهلها لمدة أيام فسافرت ولم تعد من عندهم إلا بعد عامين رفضت خلالها العودة إلى زوجها ثم فوجئ بها الشاعر العظيم ذات صباح وهو في الكنيسة جاثية أمامه حانية الرأس باكية وخاشعة تطلب الصفيح عنها ، فرق لها قلبه وعادت للحياة معه وانجبت له ثلاث بنات

وعاشرته حتى ماتت قبله .

ولا هي أكرم على نفسها من فضليات لا حصر لمن يقبلن أحيانا ما لايرضيته لأنفسهن حرصا على سعادة ابنائهن وتفضيلا لمصلحتهم .
فلتفعل بعض مايفعلن ومن غير غفطات مثلها إن كانت حقا قد تعلمت درس التجربة . . فان لم تفعل فمن لا يتعلم من أخطائه ويتعالى على الاعتراف بها وطلب العفو عنها لا يستحق من الحياة سوى التعاهل والانكار . . ولا يستحق من فارقهم جريا وراء أهوائه ذرة ندم واحدة على فراقه . . وشكرا .

صيغة الغائب !

بدأت حياتى الزوجية منذ ٤٠ عاما فاخترت شريكة حياتى من اسرة متوسطة مثل أسرتى وإن لم تنل قسطا كاملا من التعليم وبدأنا حياتنا بمرتبى البسيط كرجل من رجال التعليم . وبحبها واخلاصها وتفانيها فى اسعاد الأسرة مضت سفينة حياتنا فى سلام وكانت خلال الرحلة الزوجة والأخت والأم . . وكبرت بناتنا الثلاث وتخرجن وتزوجن وخلا البيت على وعلى زوجتى منذ حوالى ست سنوات فتغيرت فجأة معاملة زوجتى لى . . وسمعتُ منها من كلمات النقد مالم أسمعها منها طوال حياتنا الزوجية وأصبح أى رأى لبناتها هو الأصح ولو كان فيه ضرر لهن وأصبح المديح كله لأزواج شقيقاتها وليس لى وأصبحت مناقشاتنا تنتهى دائما بخصامنا ومماقالته فى مشكلة الأمس تكرره فى مشكلة اليوم ولاتنازل ابدا عن رأيها بعد ان عشنا أكثر من ثلاثين عاما لايتدخل فى شئوننا أحد . ومنذ ٦ سنوات ونحن لانجمعنا غرفة نوم واحدة ونقول انه ليس لى عليها سوى واجب اعداد الطعام ووضعه على المائدة فى صمت لأراه ثم آتى لأتناوله بدون نداء على ويلا كلمة واحدة . . وربى تفضلت باشارة مبهمه أفهم منها المقصود . فقد أصبح اسمى محرما عليها منذ ذلك الحين فلا تنطق به

أو تناديني به ابدا وإذا اقتضت ضرورة الحديث ذكر اسمى خلال سرد أى حكاية مع بناتها أو حتى أمامى تحدثت عنى « بصيغة الغائب » مع انى حاضر أمامها ومع انى اشهد الله انى لم اتجاوز فى مناقشاتى معها ما أحلّه الشرع والدين ولم اوجه اليها كلمة سباب أو ارفع يدى عليها . ومن المؤسف ان بناتها الثلاث لا يباهرنها بأى لوم أو نصيحة فى حين يحاولن فى كلامهن معى ارضائى بأنهن قد اعيتهن الحيل معها - وقد زاد الطين بلة انى أُحِلت إلى المعاش منذ ٣ سنوات وأصبحت وحيدا بلا عمل فهل تتكرم بتوجيه كلمة لها ولبناتها الثلاث بأن يراعين الله والدين والعرف والبنوة فى معاملتى حتى يعصمنى الله من إتيان عمل يحلّه الشرع لى لكنى أرد نفسى عنه حرصا على اسر بناتى وكيانهن . . اننى ادعو الله ان يعطينى القوة حتى لا اسقط مريضا واحتاج إلى زوجتى التى اثق فى أنها سوف تتخلى عنى . . وربما بناتى أيضا ١ .

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : من المؤسف حقا ان تكون بداية الحياة الحقيقية والاستمتاع بالراحة وجنى ثمار الكفاح الطويل هى بداية المعاناة لزوجين تشاركا فى رحلة العمر . . ووصلت سفيتتهما إلى شاطئ الأمان . ولن اطيل هنا فى توجيه الكلام إلى شريكة حياتك وتذكيرها بحقوقك عليها فقد كانت باعترافك أنت الأم والزوجة والأخت طوال أكثر من ثلاثين عاما . كما لن اطيل فى الحديث إلى بناتك اللاتى أحسّ بحرج موقفهن بينك وبينها خاصة وانك تطالبهن بالتحكيم بينكما ذلك انى أفضّل إعفاءهن من هذا الحرج والا تضغط عليهن ليتخذن موقفا مع احديكما ضد الآخر - وبالتالي تتجنب الاحساس بالمرارة حين لايقدر من على ماتريد ولا تُزِد من معاناتك مع الجميع فجهدوهن ياسيدى مهما بلغت لن تتجاوز حدود المساعى الحميدة ومحاولات الاصلاح بين الطرفين مع الحرص على ألا

يغضبن أحدكما ومن كرم الأبوة والأمومة ألا نطالب الابناء بأكثر من ذلك.. والا ننتظر منهم انحيازاً إلى جانب ضد الآخر.. لأن لكلا الطرفين عليهم حقاً غير منكور.. وليس من الرحمة أن نطالبهم بأن يجلسوا مجلس القضاء بينهما وإن ننتظر منهم تنفيذ أحكامهم أيضاً!

ومتابعكما فيما اتصور قد بدأت مع الانفصال الجسدى وهو مأساة أخرى لا بد من التعامل معها بحذر لأن لكل طرف اسبابه ودواعيه التى لا يمكن تجاهلها.. ثم تفاقمت الأمور.. بعد ذلك مع احتدام المناقشات وتمسك كل طرف منكما برأية فى كل الأمور والذى لا يعرفه كثيرون هو أننا مع تقدم العمر تبدأ معاناتنا مع مرض تصلب الشرايين وأنه بسبب هذا المرض اللعين تقل أحيانا مرونتنا السابقة وتضيق دوائر تسامحتنا فيسهم من حيث لا ندري فى إفساد حياتنا بما يورثنا من بعض مظاهر العناد والعصبية وتصلب الرأى..

والالتفات لهذا المرض يخفف كثيراً من معاناتنا مع بعض آثاره.. كما يساعدنا أيضاً على تقبل أو تفهم بعض مظاهر عناد الآخرين وتمسكهم «المفاجئ» بالرأى فى مواجهتنا وخلاصة القول هو أنكما فى حاجة إلى أن تبدأ معاً صفحة جديدة تهتمان معاً خلالها بصحتكما العامة.. ويبدى كل منكما فيها بعض الود تجاه الطرف الآخر.. وبعض التنازل عن آرائه السابقة.. كما تحتاجان أيضاً إلى تجديد حياتكما والخروج معاً على نمط الحياة الروتينية إلى الأندية والأماكن المفتوحة.. وحذا لو تمكنتما من تدبير سفر قصير إلى أى مكان قريب يجدد احساسكما بالحياة ويوقظ المشاعر القديمة.. ويبعدكما عن شبح هذه الحياة الكثيرة.. فحاول أن تفعل.. فلا شك انه افضل كثيراً من «الأتان» بأى عمل يندّر بالمتاعب للجميع وأولهم أنت..

متاعب الخريف

أنا أستاذ جامعى بالمعاش قرأت رسالة صيغة الغائب التى يشكو فيها زوج بالمعاش من هجر زوجته وخصامها له واود ان أقول انه قد تكررت فى الآونة الأخيرة شكاوى بعض القراء ممن تجاوزوا سن الستين وتفرغوا لحياة المنزل من سوء معاملة زوجاتهم لهم . مما يوحي بأن المسألة ليست مجرد حالات فردية ولكنها أصبحت ظاهرة حقيقية تستحق الدراسة والعلاج . وفى رأى ان السبب الأول وراء هذه الشكاوى ، ما ظهر منها وماخفى ، هو أننا معشر الرجال وكذلك النساء نجهل الكثير عن أنفسنا وعن الطرف الآخر فى شركة الحياة فى فترة خريف العمر .

إن هناك تغيرات وتحولات كبيرة تطرأ علينا مع حلول خريف العمر دون ان نعرف حقيقتها وما تتركه من بصمات واضحة فى مزاجنا وسلوكنا . فالرجال منا عموماً يعانون اضمحلالاً تدريجياً فى كثير من قواهم الجسمية وملكاتهم العقلية وروحهم المعنوية مع دخول مرحلة التقاعد ، ونحتاج إلى من يمنحونا علينا ويشد أزرننا ويرفع معنوياتنا . . وعندما لانجد من يتعاطف مع احتياجاتنا نترنم من حياتنا ونقلب مصداً للعكنة فى المنزل ونصبح هدفاً سهلاً للأمراض الجسمية والنفسية . والنساء عندما يقتربن من سن

الخمسين تطراً عليهن تلك التغيرات البيولوجية والهرمونية المعروفة والتي تجعل المرأة - الا من رحم ربي - إنساناً شرساً متسلطاً كثير الشكوى ، وعادة لا تجد سوى الزوج المسكين تفرغ فيه همومها وتكيل له الاتهامات في كل صغيرة وكبيرة وعادة ما تفلح الزوجة في ضم ابنائها (وبخاصة البنات) إلى صفها فيدافعن عنها . وعندما يحدث هذا تنقلب حياة الرجل رأساً على عقب ويكفر بالحياة الزوجية ويهدد بالبحث عن زوجة أخرى أصغر سناً لعلها تستطيع ان تسعده ، وهو لا يعلم ما قد يجلبه له هذا الزواج الثانى من مشكلات قد لا يستطيع مواجهتها .

وباختصار شديد فأنى أقول نيابة عن الرجال والنساء أننا في حاجة ماسة إلى نوع من التوعية والتثقيف بخصائص مرحلة خريف العمر في الرجال والنساء وبشرط أن تأتى هذه التوعية والتثقيف قبل حلول خريف العمر . وفى رأى ان الحياة الأسرية في مرحلة خريف العمر يمكن ان تكون جميلة إذا فهمناها وعرفنا ما فيها من تغيرات وتحولات ، ان هذا الفهم والمعرفة يجعلنا أكثر قدرة على مواجهة ما قد ينشأ من مشكلات في هدوء مقبول .

ونصيحتي للأزواج والزوجات الذين أدركهم خريف العمر ان يتسلحوا له بالمعرفة والوعى بخصائصها ، أقول : ارحموا أنفسكم وتعاونوا على جعل حياتكم أكثر بهجة وسروراً وليكن بينكم رسول من المودة والرغبة الصادقة في إرضاء الطرف الآخر ، وإلى الأبناء والبنات احذروهم من مناصرة أحد الأبوين دون الآخر ، ولتعلموا على تحسين جو التفاعل بينهما

وعدم تعكير صفو ما بقى من حياتها . والله الموفق والمستعان .

أستاذ جامعى بالمعاش

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : رسالتك قيّمة وتقدم لنا معلومات مفيدة أرجو ان يستفيد بها من يعانون محنة مكابدة الشقاق الزوجى فى سن الجلال والاحترام وان يطلع عليها أيضا غيرهم ليجنبوا أنفسهم معاناة الوحدة الداخلية فى خريف العمر . . وشكرا لك . .

القوالب

أنا شاب فى التاسعة والعشرين من عمرى أشغل وظيفة جامعية مرموقة، عشت حياتى بلا أى تجارب شخصية ماعدا تجربة واحدة استغرقت فيها بكل مشاعرى وتنازلت فيها للطرف الآخر كثيراً لكى اكسب حبها وعطفها لكن الفراق كان النتيجة الحتمية لقصة حب من جانب واحد، وليست أسفاً على انتهاء القصة لأن المرة لايعرف دائماً هل كان الخير حقاً فيما أراده، أم هو فيما جرت به الأحداث.

وهكذا انتهت هذه القصة بآلامها وأصبحت بالنسبة لى ذكرى لاتبعث على الندم بقدر ما أتعلم منها الخبرة والعبرة.

ومضى عام ثم ارتبطت بانسانة بادلتنى حباً بحب أكبر منه، وهى من نفس مستوى الاجتماعى والثقافى وعلى درجة عالية من التوافق الفكرى معى فى كثير من أمور الحياة... إذن ماهى المشكلة؟ ولابد دائماً من «لكن» الشهيرة فى معظم الأحوال... المشكلة هى أنها تكبرنى بحوالى عشر سنوات، وهذا الوضع لايشير قلقى أو قلقها وإنما القلق لدينا يرتبط بنظرة الأهل والناس وموقفهم منا، لقد تخيلت صورة المستقبل معها بكل أبعادها ولم يؤثر فى هذا التخيل أو يقلل من رغبتى فى الارتباط بها، وإنما خرجت منه بنتيجة هامة هى أن الحياة رحلة تمضى إلى نهاية مؤكدة طالت أم قصرت

إذن فهل هناك أجل أو أروع من ان يقطع هذه الرحلة معا قلبان متحابان متفاهمان ويتحديان بعض القوالب الجامدة ، أم لابد من ان تنتصر «القوالب» وتكتب عليهما الفراق وان يعيش كل منهما حياته بعيداً عن الآخر في انتظار أمل قد لا يتحقق ، أرجو ألا تبخل علىّ بخبرتك ورأيك الذى ارتاح إليه دائماً . .

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : ليست هناك روضة موحدة مضمونة الفائدة في تحقيق السعادة الزوجية بالضرورة لمن يلتزم بحرفيتها ، وإنما هناك بعض المبادئ والقواعد العامة المستخلصة من تجارب الحياة يساعد الاسترشاد بها على تجنب احتمالات الفشل إلى حد ما ، وحين يُقدّم الإنسان على تجربة الزواج فإن غاية ما يستطيعه هو ان يحاول قدر جهده أن يحسّن اختيار شريك حياته مسترشداً بهذه المبادئ . ثم لا يملك بعد ذلك إلا أن يتوجه بالرجاء إلى خالقه في أن يجنبه مرارة الشقاء . ومن أهم هذه المبادئ التكافؤ بين الزوجين في كل المجالات بقدر الامكان وإلى جانبه هناك بعض النصائح التى ينصح بها أهل الخبرة المقدمين على الزواج ومنها :

... لأنّ يتم زواجك على معرفة سطحية قصيرة بشخصية من ستقترن بها فالدراسة الجيدة لشخصية الشريك الآخر تقلل من احتمالات سوء الاختيار .

... لا تتزوج هرباً من مشكلة لا تحتل مواجهتها أو من استمرار معاناتك منها فإن الأفضل ألا يدفعك للتعجل في الاختيار دوافع جانبية تؤثر على قراراتك .

... لا تؤسس بنيان حياتك الجديدة على مشكلات معلقة لم يتم

حلها أو الاتفاق الواضح بين الطرفين على طرق مواجهتها كمشكلة عمل الزوجة مثلاً أو مدى اسهامها في نفقات الحياة أو مقر الحياة الزوجية . . الخ . . إذ أن الأفضل دائماً هو حسم هذه المشكلات قبل الزواج وعدم ترك ملفاتها مفتوحة لما بعد الزواج اعتماداً على أن الحب وحده كفيلاً بحل كل المشكلات !

. . . تجنب بقدر الامكان الفوارق التي لاعلاج لها أو يصعب علاجها كفوارق السن الفاحشة واختلاف الأديان . . والتباين الحاد في المستويين الاجتماعي والثقافي .

لا تعتمد كثيراً على فترة الخطبة الوردية في استشراف المستقبل لأن العشرة الزوجية شيء آخر ولا بد من اختبار كل طرف للآخر خلال تلك الفترة في بعض أمور الحياة الحادة .

إلى آخر هذه النصائح والمبادئ التي يقلل اتباعها من احتمالات الفشل مع التسليم التام بأن السعادة في النهاية منحة آلهية يهبها الله لمن يشاء ويحببها لمن يشاء ، ومع التسليم أيضاً بأن لكل قاعدة استثناء وأن الاستثناءات مهما كثرت فإنها لا يقاس عليها وفي ضوء كل هذه الاعتبارات إتخذ قرارك ، فإذا توصلت بالتفكير الموضوعي المهادئ إلى أن الأفضل في حالتك هو الخروج على القاعدة هذه المرة فلا بأس بذلك ، فسعادة الإنسان هي الهدف وليست القواعد والقوالب في حد ذاتها . ومادامت الوسيلة مشروعة ولاضحايا أبرياء لها ، فماذا يمنع من اتخاذها ، وأنت في النهاية لست بفتى مراهق وإنما رجل ناضج في الثلاثين تقريباً من عمرك وكلاكما على مستوى ثقافي عال يؤهلكما لحسن تقدير الأمور . وفارق السن وإن كان

كبيراً فعلاً وليس مُفضَّلاً في الظروف العادية ،. إلا أنه يفقد بعض أثره السلبي على التجانس والتقارب بين الزوجين حين يكون الزوج ناضجاً أو قريباً من سن النضج والحكمة . . فقط انصحك بشيء واحد هو أن تتأكد أولاً من أن « قلق الآخرين » لن يتحول فجأة إلى « مأتم » الآخرين وهم غالباً الأهل والأعزاء ، حزناً أو رفضاً لهذه التجربة ومن أنه لن يتحول حياتكما إلى قنبلة موقدة الانفجار ، فإذا تأكدت من ذلك وعرفت أنك قادر على تحمل تبعات الاختيار وامتصاص ردود أفعاله خلال وقت معقول فلا خاب سعى ساع وراء سعادته المشروعة بلا إجحاف بحق أحد ، ولا إيلاام له .

المنطق الواضح !

أرجو ان يتسع صدرك لقراءة هذه « المأساة » وإرشادى إلى حلها . فأننا شاب قاربث الخامسة والثلاثين وأنتمى للفرع الفقير من أسرة ثرية معروفة في الجنوب . وقد تخرجت في كلية الحقوق ثم عملت بالخارج عدة سنوات . . واقمت بها جمعت منزلا في قريتي وخصصت لى فيه شقة مستقلة واستقرى الحال بين أهلى وعملت بوظيفة قانونية ومنذ عام تعرفت ب طالبة مقبولة الشكل بالسنة النهائية باحدى الكليات وتقدمت لأبيها وتركت له الفرصة ليتحررى عنى وعن أخلاقى وأسرتى وبعدها بقليل جاءنى فى عملى ورحب بقبولى .

وكان شرطى الوحيد هو ان تقبل زوجتى الإقامة فى بلدتى ووافقت هى وأسرتها على ذلك بشرط ان أعمل على ايجاد شقة أخرى بعيدا عن منزل الأسرة ويُسّر الله لى ذلك رغم صعوبة ظروفى وتم عقد القران وأردت التعميل بالزفاف بعد ان انتهت خطبتي من دراستها وتم تحديد الموعد بعد مناقشة عاصفة وعنيفة مع أمها . وتم الزفاف منذ شهور وفى اليوم التالى له جاءت أسرة فتاتى لتهنئتنا ففوجئتُ بأم زوجتى تطلب منى ان اساعدها فى جمع الأكواب الفارغة بعد تناول الشاى « فنهرتها » بشدة وافهمتها ان هذا من إختصاص الزوجة وحدها .

وبعدها بـ ١٥ يوما طلبت زوجتى ان تزور أمها ووافقت لكننا لم نجد مواصلات متاحة فعدنا للبيت وبعدها بأيام كررت الطلب ثم اختلفنا بسبب رفع صوتها فلم تتم الزيارة . . ثم فوجئت بها بعد ذلك بأيام تبكى واستفسرت منها عن سبب بكائها فأجابتنى بأنها تريد ان تزور أمها « فأفهمتها » ان أمها هى التى يجب ان تزورها لأن لها الآن بيتا ومستولة عنه وعن طلبات زوجها ولابد من الطاعة ، وبالرغم من ذلك اصطحبتها إلى أمها من حين إلى آخر بحجة أن الأم على « وشك الموت » كما تدعى ، وفى كل مرة تزور فيها أمها تنقلب حياتنا إلى نكد بسبب محاولة الأم السيطرة على مع أن شخصيتى لايمكن ان تقبل ذلك . . وقد افهمت زوجتى ذلك وحدث ان احترم بيننا النقاش فى احدى المرات فصفعتها على وجهها « بشدة » ورغم ما بدر منها من رفع الصوت أحيانا والنقاش بحدة رحلت « أحنو » عليها حتى تناسى أمها النكدية . . وصارحتها فى احدى المرات بأن حياة النكد تقصر العمر وواجهتها « بحقيقة نفسها » حتى تنكسر « شوكتها » فبكت بشدة واستعملت معها كل الطرق الشرعية لكنها رغم كل ذلك رفعت صوتها فى نقاش آخر فصفعتها عدة مرات حتى سالت الدماء من فمها ! وخنقتها محاولا إسكات صوتها الملعون ! فعضتني فى يدى فأمسكت برأسها وخبطته فى الحائط عدة مرات وهددتها « بالقضاء عليها » فإذا بها تقول لى أنها تكرهنى وترغب فى الانفصال عنى ، وظلت تبكى يوما كاملا بليته ولم أصالحها ثم طلبت منها طلبا عاديا فلم تفعله فأمسكت بأقذر شيء محاولا وضعه فى فمها !! ثم تراجعْتُ خشية الفضيحة من صوتها . وصالحتها بعد أيام وصبرتُ على « ثلاثى » لكى

تستمر الحياة وحاولت اصلاح شأنها مرات عديدة . لكن أمها فيما يبدو لي
مصرة على خراب بيتي فلقد ثارت ثورة مسعورة وجرحتنى بكلها بما الجارحة
بعد ذلك بفترة قصيرة لأنى يا سيدى لم اترك عملى واذهب إليهم للتعزيز في
وفاة أم صهرى التى تعدت المائة من عمرها كما لم ابلغ زوجتى بوفاة جدتها
! لقد « أفهمت » هذه المرأة التى تُدعى حماتى وأنا فى زيارتها مع زوجتى
بعد ذلك بفترة أنى عزيت زوجها تليفونيا و « نسيت » ابلاغ زوجتى بوفاة
جدتها ! فضلا عن أنى من « قوم » قروا منذ زمن انه لا عزاء فى رجال أو
نساء إلا بتشيع الجنائز فقط وهو ما لم يتح لى لوجودى بعيداً عنهم فى
قريتى ، وانه إذا مات لى قريب بعد عمر طويل فانى لا أرغب منهم فى
تعزيتى ورغم هذا « المنطق الواضح » فوجئت بها تقول لى : لو كنت أعرف
انك هكذا يا استاذ فلان ما قبلت زواجك من ابنتى ! فغضبتُ غضباً
شديداً وانصرفت صافعاً الباب ورائى بشدة أما زوجتى فقد بقيت فى بيت
أهلها ورفضت العودة وشجعته أمها على ذلك خاصة وأنها قد جمعت
ملابسها من شقتنا وتضغط علىّ للانفصال ! حقا يا سيدى . . ان كيدهن
عظيم ! وان الرجل مخلوق طيب « وأهطل » يصدق كل ما تقوله له المرأة !
فما رأيك فى هذه المأساة ١٩

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : رأى ياسيدى ان منطقك « الواضح »
هذا يكفى لتطليق ألف زوجة وليست زوجتك وحدها ومن أول جلسة
لنظر القضية . . إذا احكمتنا للعدل والشرع والقانون ! فرسالتك نموذج
فريد « لسوء الدفاع » الذى يمكن حقا ان يؤدى بالمدافع عنه إلى حبل
المشقة . والأغرب من ذلك هو انك لا ترى فى كل ما فعلتُ ورويت أى

خطأ أو تجاوز ، وإنما ترى الخطأ كله في جانب زوجتك وأمها والنساء جميعاً لأن كيدهن عظيم !

يا إلهي . . إلى هذا الحد يمكن ان يصل خداع النفس وتضليلها في بعض الأحيان ؟ أننى أرجوك ان تراجع معى بهدوء وقائع رسالتك التى حرصت على ان احتفظ لك فيها بكلماتك المعبرة عن فكرك ومنطقك .

إن عمر زواجك كله لم يتعد شهوراً . . وقد انتهى بإعتصام زوجتك بيت أسرتها وطلبها الانفصال عنك . . وأنت بالطبع ترفض وتأمل في إستئناف الحياة معها وفي نفس الوقت لا تسعى لتغيير مفاهيمك عن الزواج والاستفادة من اخطاء التجربة العجيبة وكلها للأسف وبلا تحيز لزوجتك أخطاؤك أنت . . ابتداء من « إنتهار » الأم التى جاءت تهتك بالزفاف السعيد و« إفهامها » ان رفع أكواب الشاي بعد تناول الضيوف له من اختصاص الزوجة وحدها حتى ولو كان عدد الضيوف مائة . . إلى صفع الزوجة « بشدة » ولم يمض على زفافها أيام أو أسابيع . . إلى صفعها عدة مرات حتى يسيل الدم من قمها . . إلى قرع رأسها في الحائط مرات عديدة عسى ان يتخفف من « عناده » إلى خنقها ومحاولة ادخال « اقدر شيء » في قمها ! مروراً بمصارحتها «بحقيقة نفسها» لكى «تتكسر» شوكتها وانتهاء بحجب خبر وفاة جدتها عنها بحجة انك قد « نسيت » ابلاغها بهذا الخبر « التافه» . . وفي الحقيقة انك اردت ألا تجد فيه مبرراً عادلاً لطلب زيارة أهلها . . وأنت لا تبغض شيئاً كما تبغض ان تذهب زوجتك لزيارة أمها ، وكل هذه الانجازات الرائعة حققتها لزوجتك وأسرتها خلال الشهور الأولى من الزواج السعيد . . فضلاً عما نجشمت من

عناء « إفهام » الجميع أخطائهم ناهيك عن انتهارهم وتقريعهم . فهل أنت على استعداد لأن تعرف الرأى الآخر فيما فعلت ؟

لقد اعتبرت اقتراح أم زوجتك عليك مساعدتها في رفع الأكواب جنائية تستوجب الخروج على آداب الضيافة مع من جاءوا لتهنئتك بالزواج فافسدت عليهم فرحتهم وأشعت التوتر حيث ينبغى أن يسود اللطف والترحيب . ولن استعين عليك لإقناعك بأن مساعدة الزوجة في بعض هذه الأمور المنزلية من الرجولة والكياسة والمرورة ، بما يقوله كتاب الغرب من أمثال هافلوك أليس أو إستاندال أو سيمون دى بوفوار عن الحب والزواج وإنما سأستعين عليك فقط بما قالته السيدة عائشة حين سئلت عن صُنع رسول الله في بيته فأجابت : « كصنع أحدكم . . يشيل هذا ويحط هذا ويخدم في مهنة أهله ويقطع لمن اللحم ويقم البيت «أى يكنسه» ويعين الخادم في خدمته » .

أما الصفع ودق الرؤوس في الحوايط وإسالة الدماء من القم وحشر الفاذورات في فم الزوجة ، فلن احيلك إلى قانون العقوبات ولا إلى إعلان حقوق الإنسان ولا إلى كتابات المصلحين الاجتماعيين في الشرق والغرب . . وإنما سأذكرك أيضا بما قالته السيدة عائشة من أنه : ماضرب رسول الله ﷺ بيده امرأة قط ولا خادماً ولا ضرب شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله . «

فيا « استاذ فلان » خفف الرطة قليلا . . وإلا حكمت على نفسك بالوحدة طوال العمر . وراجع نفسك واعترف باخطائك واتق الله فيمن استحللتها بكلمات الله وتذكر ان اكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً

وألطفهم بأهله . . كما جاء في الحديث الشريف ، وتذكر أيضاً أن عمر بن الخطاب الذى كان الرجال يرتحفون أمامه لشدة في الحق هو نفسه القائل : ينبغي للرجل أن يكون في أهله كالصبي « أى في الإناس والبساطة والمرح » فإذا كان في القوم كان رجلاً بين الرجال . فهكذا حقاً يفعل الرجال الذين يليق بك أن تقتدى بهم وليس بمن يعكسون الآية أحياناً ويفضلون أن يكونوا صبية بين الرجال . . وجابرة لا يرتدعون مع الأهل فتذكر كل ذلك قبل قوات الأوان يا صديقي إذ أنه إما هذا وإما تسريح بإحسان . . والاستفادة بدروس التجربة في مستقبل الأيام .

الاعتراف !

أنا ياسيدى مهندسة فى الثلاثين من عمرى أعمل بإحدى الهيئات الحكومية . . . منذ عدة سنوات التقيت بزميل لى يعمل فى نفس الهيئة . . . وسرعان ما اقتربنا وتفاهما وامت بيننا مشاعر الحب العميق . . . وبعد فترة قصيرة طلب منى زميلى ان يتقدم لأسرتى لخطبتى فسعدت بذلك . . . وفاتحت أهلى ففوجئت بعاصفة هوجاء منهم وبرفضهم الموافقة عليه . . . ولومهم العنيف لى . . . لالشيء إلا لأن هذا الإنسان معوق يستخدم أجهزة المعوقين فى المشى والحركة . . . ودهشت لهذا الموقف - وتألمت له فأنا لم افكر قط فى هذه الناحية وكنت اراه يتحرك أمامى بحرية - كما كان أمينا معى من البداية فروى لى كل تفاصيل ظروفه الخاصة ولم أجد سببا واحدا يدعونى لرفضه وهو بعد ذلك إنسان رقيق وودود وكريم الأخلاق وخدم للجميع . . . ومستول ومحظى باحترام الآخرين فلماذا ارفضه . . . لقد قررت ان اتمسك به واحاول اقناع أبوى به ومضت عدة شهور وأنا على موقفى وقاومت ضغوطا رهية من أبى وأمى للتخلى عنه حتى اقتنعا فى النهاية بأنه من الخير لى ان أتزوج من احبته وأريده شريكا لى فى الحياة ووافقت الأسرة مضطرة على زواجنا وتزوجنا وأقمنا فى شقته التملك التى اعدها للزواج وكشفت لى الحياة المشتركة معه

عن باقى جوانب شخصيته الجميلة والنبيلة . . وعرف أهلى انى لم اتزوجه لأصبح ممرضة له . . وانه يساعدنى بأكثر مايستطيع أى شخص آخر ان يفعل . . واتجبنا طفلنا الأول وبعد عام آخر اتجبنا طفلنا الثانى . . وسعدت وأنا أرقب زوجى الحبيب وهو يأسر أهلى باخلاقه الطيبة ويكتسب حبهم واحترامهم شيئا فشيئا حتى أصبح الأثير عند أبى الذى أصبح يعتمد عليه فى أمور كثيرة ويشق به ويجه . ومضت ٦ سنوات على زواجنا . . وكل يوم يثبت لى زوجى بالدليل انى كنت على حق حين تمسكت به . . ووهبت له حياتى وأنا اكتب لك هذه الرسالة الآن ويجوارى زوجى وطفلاى لأطالب كل الآباء والأمهات بالألا يكتفوا بالحكم السطحي على الأشخاص وعلى كل من هم فى مثل ظروف زوجى الحبيب فالأهم دائما هو الأخلاق وليس الشكل فأبى يعترف الآن لى بأنه اساء الحكم على زوجى . . وبأنه اعجب به بعد قليل من تعرفه عليه ويزداد اعجابه به كل يوم لكنه كان يخشى مواجهة الناس ويفكر فى المبررات التى ينبغى عليه ان يقدمها لهم للموافقة على زواجى منه وقد اثبتت التجربة بعد نظرى وصدق مشاعرى . . . ولأقول ايضا لكل فتاة الا تستسلم سريعا مادامت على ثقة من حسن اختيارها ومن انها سوف تسعد مع من اختارتها لمشوار حياتها . . . والسلام .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : ليس من حق أحد ان « يجلد » الآخرين بظروفهم الخاصة إذا توافرت فيهم المقومات الخلقية والدينية التى تؤهلهم لاسعاد شركاء حياتهم . وكمال الخلق والدين أبقى وادوم أثرا فى تحقيق السعادة من كمال الأجسام لأننا نتعامل مع اخلاق الآخرين . . وليس مع

مؤهلاتهم الجسدية التي لاتفيد احدا غيرهم .

على ان الأهل إنما ينطلقون غالبا في مثل هذا الموقف من دوافع سعيهم إلى ضمان سعادة أبنائهم . . . ورغبتهم في تجنبهم أسباب الشقاء . . . وهم ككل البشر يصيبون ويخطئون . . . لهذا فمن واجبتنا ان نقدر لهم حرصهم على سعادتنا وان نحاول اقناعهم بالحسن بصواب اختيارنا . . . ونطلب منهم مباركته وتأيدده . . . حتى ولو لم يتهللوا له في البداية . ومن واجبتهم ايضا إلا يتمسكوا بالرفض حتى النهاية إذا لمسوا صدق رغبتنا فيمن اخترناه لأنفسنا وليس على الآباء والأمهات في النهاية سوى ان يذلوا النصيحة لأبنائهم وليس على الأبناء سوى ان يجتهدوا لاقتناع ذويهم باختياراتهم وألا يئأسوا من نيل رضاهم ومساندتهم . وأنت قد احسنت صنعا بتمسكك باقتناع أبويك ونيل موافقتها على زواجك بمن اختاره قلبك . . . وكان أبواك رحيمين ايضا حين لم يتمسكا بالرفض المتحجر بلا مرونة . . . وهذا هو المثال الذي ينبغي ان يتبعه الآباء والأبناء في مثل هذه المواقف . . . أن يحاول كل منهما اقتناع الطرف الآخر بوجهة نظره إلى ان يسلم احدهما برغبة الآخر بلا قهر ولا طغیان .

ولقد اثبتت الأيام صواب نظرتك للأمور . . . وصدق مشاعرك . . .
فحقَّت لك السعادة . . . وحقَّ لأبويك ان يفخرا بزواجك وان يعترفا بخطأ
حكمهما عليه . . . والكمال لله وحده ياسيدتى . . .

الضيف الكبير

أنهيتُ دراستي الجامعية منذ ٢٤ عاماً وتخرجتُ بعدى بعام إحدى قريباتي فتم التفاهم بيننا سريعاً وتزوجنا . وكانت أحوالى المالية مستقرة ففضلت العمل الحر وأنشأت مشروعاً تجارياً متوسطاً سرعان مانجح وأثبت وجوده وساعدتني زوجتي كثيراً في إنجاحه مادياً ومعنوياً وازداد التفاهم وربط الحب بيني وبينها بروابط متينة وتشابكت أحلامنا وأفراحنا واشمجاننا وأصبح كل منا لا يستشعر الراحة والأمان إلا في وجود الآخر . وامتازت زوجتي دائماً بلباقتها وجاذبيتها وجمالها وبتفوقها كربة بيت . وتم تعيينها وفقاً للقوى العاملة بإحدى الإدارات الحكومية فأثبتت خلال وقت قصير كفاءتها وحسن تصرفها واكتسبت احترام العاملين معها .

ومضت ثلاث سنوات على زواجنا السعيد بغير أن ننجب اطفالاً وبدأ القلق والتساؤل كالعادة واثبتت التحاليل والفحوص أنه ليست هناك موانع تحول دون الانجاب فسمعنا بذلك واستمتعنا بحياتنا وصحبتنا الطيبة وتركنا أمر الإنجاب لخالقنا يأذن به حين يشاء ، واحتفظت زوجتي دائماً بأناعتها ورشاقتها وجمالها وازداد تشابك خيوط حياتنا فاصبحنا نخرج معاً من البيت في الصباح فأوصلها إلى عملها ثم اذهب بعربتي إلى شركتي التجارية وأعود إليها في الظهر لأصحبها للبيت وبعد الغداء وفترة الراحة

القصيرة نعود معا إلى شركتنا فتقوم زوجتى بمراجعة بعض الحسابات وإقفال حساب الخزينة وبعض الأعمال المطلوبة وبعد انتهاء فترة العمل المسائية نخرج معاً إلى زيارة عائلية أو فسحة أو زيارة لأصربة بعض الأولياء لندعو الله عندها أن يتم علينا نعمته بالأبناء الصالحين .

ومضت السنوات دون إنجاب وبالرغم مما كان يتابنا أحياناً من قلق وتوتر بسببه إلا أن كلا منا كان يراعى مشاعر الآخر ويحترم اشجانه ويشاركه اهتماماته .

وكانت زوجتى تحب الأطفال حبا شديداً وتحتفل بهم ، وكثيراً ما كانت تتصل بى تليفونيا وتذكرنى بضرورة الحضور لأن عندنا « ضيفا كبيرا » فأهى أعمالى سريعاً وأعود لأفاجا بأن الضيف الكبير هو أحد أطفال الأسرة وزوجتى سعيدة به للغاية وقد أقامت له مأدبة غداء حافلة ، فتناول معه الطعام فى مرح وأبتهاج ثم نعيده إلى أمرته بعد أن تتحفه زوجتى بهدية خاصة .

ومضت حياتنا السعيدة هكذا وكل يوم جديد يزداد امتزاجنا وترابطنا ثم شعرت زوجتى فجأة منذ ٣ سنوات بتوعك طارئى وتغيرت صحتها بشكل لافت للنظر بلا سبب واضح فانتابنا القلق وصحبته إلى الطبيب فنصحنها بعرضها على أخصائى فى أمراض النساء . . . وذهبنا إليه فإذا به يفاجئنا بان زوجتى حامل فى ٣ شهور ! نعم حامل بعد ١٥ عاماً من الزواج وبعد ان يشنا تماما من الانجاب وسلمنا أمره لخالفنا . وكانت سعادتنا لاتوصف وأسرعت بتوفير إشراف طبى كامل لها ثم جاء اليوم المنتظر فإذا بهدية الساء مضاعفة . . . فأنجبت زوجتى توماً ولداً وبتنا فى

أتم صحة والحمد لله ووفرتُ لها على الفور الرعاية الصحية الكاملة وأفردت لها زوجتي غرفة خاصة تحوى كل مستلزماتها ، واعتمدت على نفسها فى خدمتها رافضة أى معاونة وإزادات سعادتنا وإفراحنا بها وأصبحت زوجتي دائماً إما فى صحة الطفلين أو مرهقة غاية الأرهاق من خدمتهما وأنا أرقبها بإشفاق والتمس لها العذر . ومضت سنة على الحادث السعيد وهى ملتصقة بالطفلين إلتصاقاً تاماً بعد ان حصلت على أجازة من عملها لرعايتهما ، وطوال عشر سنوات كانت فتاة من أقاربنا تقيم معنا وتعتمد عليها فى شئون البيت ، وهى فتاة نظيفة ومشهود لها بالأمانة وحسن التصرف وكانت زوجتي تعاملها أحسن معاملة وتشتري لها الملابس المناسبة والحلى الذهبية وافتتحت لها دفتر توفير كانت تضع لها فيه مانقده لها ليتفعها فى مستقبل أيامها . ثم عدت إلى البيت ذات يوم فوجدت زوجتي قد أعطتها بعض النقود ودفتر التوفير الخاص بها واشترت لها بعض الملابس الجديدة ثم ودعتها أحسن وداع واستغنت عن خدماتها بلا أدنى مشاورة لى فى ذلك ، وأما لماذا استغنت عنها بعد ١٠ سنوات من العشرة الطيبة فلأنها كما قالت قد « لمحت » فى عينيها ونظراتها ماجعلها تخشى منها على الطفلين ! ولم أعلق على الموضوع كثيراً ووافقتها على رأيها بل وأيدتها أيضاً فيه بالرغم من ان الفتاة كان محظوراً عليها الاقتراب من الطفلين أو دخول حجرتهما إلا فى وجود زوجتي .

وشيثاً فشيئاً سيطرت مشاغل الطفلين ومشاكلهما على زوجتي سيطرة كاملة وأصبح من النادر ان تجمعنا مائدة للعشاء أو الغداء أو ان أجد ملابسى معدة كما كان الحال طوال ١٥ عاماً ، ووجدت نفسى بعد أقل

من عام من ميلاد الطفلين خارج دائرة اهتمام زوجتي نهائياً . وبعد أن كنا نتشاور في كل أمورنا بدأت زوجتي تتخذ قرارات كثيرة منفصلة بغير مشاورتي كقرار الاستغناء عن الفتاة فعرفت بالمصادفة بعد ذلك أنها باعت بعض مصوغاتها واشترت بثمانها شهادات إيداع بإسمي الطفلين ، وبرغم إسرافها وكثرة مطالب الطفلين فقد كنت أجد نقودي في مكانها المعتاد لم تمس وحين ناقشتها في ذلك قالت أن لديها الكثير وأنها لن تتردد إذا ما احتاجت لشيء في أن تطلبه مني وكانت هذه طعنة كبيرة لي اضيفت إلى ما لاحظته من انها ازدادت ابتعاداً عني حتى أصبح من المعتاد ان امضى فترة الراحة ظهراً في شركتي حيث استريح وأجد من يتحدث معي لأن زوجتي ذابت نهائياً في عالم طفليها ، وأما حجرة الأطفال فقد أصبحت مملكتها المستقلة التي لا يدخلها غيرها ولاحظت بأن زوجتي قد سحبت مني حق رعايتهما وملاعبتهما وأصبح كل ذلك حكراً عليها ، ومضت الأيام وأنا التحمل والتمس لها بعض العذر أحياناً . . وأحس بالمرارة في أحيان أخرى ، وأصبحت أعيش وحدي بالرغم من وجود زوجتي والطفلين إلى جوارى وارتب فراشي وأعد ملابس لنفسي وأفكر في حياتي واتخذ قراراتي وحدي واتلصص لأرى طفلي خلسة واسترجع ذكرياتي الجميلة معها قبل أن تبعد وتذوب في دنيا الطفلين مبتعدة عني إلى الأبد ، وأتذكر يوم وقفنا معا أمام بيت الله الحرام ونحن نبتهل إلى الله ونتوسل إليه في دعاء صامت طويل أن يهبنا الذرية التي تؤنس حياتنا حتى انهارت على ذراعي باكية و طال بكأوها واشفق عليها بعض زوار البيت ودعوا لنا ربهم بالإستجابة ، واتذكر كل ذلك وأفيق فجأة على الإحساس الألم الذي أحسسته حين لاحظت في

نظراتها وصوتها أنها قد باتت تخشى على أطفالي منى أنا أيضاً ولا حول ولا قوة إلا بالله!

وبعد عامين كاملين تغيرت حياتنا خلاهما من النقيض إلى النقيض
جمعتنا مائدة الافطار في شهر رمضان الماضي فحاولت مناقشتها في حياتنا
الحالية بروقة مراعي إجهادها مع الطفلين ففوجئت بها تهيئني بوجه خال
تماماً من التعبير : لماذا لا تتزوج غيري وتدعني لطفلي لأنني لن أستطيع
الجمع بين رعايتك ورعايتهم ؟ وذهلت وحاولت تحويل الأمر إلى دعابة
فطلبت منها أن تساعدني في البحث عن عروس ملائمة وأنتهي الأمر عند
هذا الحد وازددت استغراقاً في وحدتي وأشجاني وبالرغم من قرب زوجتي
وأطفالي منى فقد أصبحت أحس أن هناك جبلاً وانهاراً عريضة تحول بيني
وبينهم ، ثم فوجئت بعد ذلك بتمسكها بهذا الطلب الغريب وبأنها
تبحث لي فعلاً عن عروس مناسبة عائلياً واجتماعياً وتتوسل لي أن أرحمها
وأساعدنها بذلك على التفرغ لرعاية طفليها وأنا أسمع وأرى واتعجب .
وتدهور الوضع بيننا من سيئ إلى أسوأ ولكن بغير مواجهات صاخبة أو
جرح للمشاعر أو كلمات قاسية . . وإنما مضى كل شيء في صمت قاتل
مريب يزيد من عمق واتساع الخندق الذي أصبح يفصل بيننا ، لقد كنا
دائماً من قراء بابك المفضل فكيف اتصرف وبماذا تنصحنى ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : انشغال الزوجة بأطفالها إلى حد
الذوبان نهائياً في بوتقتهم نائية عن مشاركة زوجها حياته وآماله ، وعجزها
أو تفريطها في الوفاء بواجباتها تجاهه من الأحوال التي تبيح للرجل أن
يتزوج مرة أخرى لضرورة شرعية هي رغبته في اعفاف نفسه والالتئاس
بشريك يبديد وحشه حياته .

لكن السؤال هو هل هي جادة حقاً في عرضها عليك أن تتزوج من أخرى وفي بحثها لك عن عروس ملائمة ؟ ان عرضها هذا قد يكون مبادرة بالهجوم دفاعاً عن النفس لإشعارك بطريقة الصدمة الشعورية بأنه لافائدة تُرجى من الإلحاح عليها بأن تعود إلى ماكانت عليه معك قبل الإنجاب حين كنت أنت « طفلها الوحيد » ، ولتقنعك بضرورة ملائمة الحال للأوضاع التي استجدت في حياة الأسرة بعد مجيء الطفلين ، إذ انها فيما اتصور تعرف جيداً أنك لن تسعد بهذا الحل . . ولن تنأ بصحبة غيرها ، والعرض في إجماله قد يكون محاولة لإقناعك بقبول الأمر الواقع بحجة ان البديل له ليس عودتها لما كانت عليه كما تريد أنت . . وإنما اليأس منها والزواج من أخرى .

واستغراق الأم التي حُرمت طويلاً من الإنجاب في رعاية أطفالها ومبالغتها في الخوف عليهم وإخلالها بواجباتها تجاه الآخرين لتكريس كل طاقتها البدنية والعاطفية لهم حقيقة نفسية معروفة لدى البعض ، فظهور الأطفال في حياتهم بعد طول انتظار يحدث تعديلاً مؤثراً في مشاعرهم واهتماماتهم يجعل النصيب الأكبر منها « للضيف الكبير » الذي حلّ بدنياتهم ، لكن أهل الحكمة منهن يعدّلن في توزيع المشاعر والاهتمامات بين الوافد الجديد وبين شريك العمر الذي استوفد هذا الوافد نفسه ، خاصة إذا كان محباً وعطوفاً وجميل العشرة مثلك ، أما أهل الشطط فتختل الموازين عندهن وينصرفن بعاطفتهم ومشاعرهم تماماً إلى الوافد الجديد فتفقد حياتهم هدوءها وسعادتها التي كان ينبغي أن يكتمل بها مجيء الأطفال .

وزوجتك قد غالت بلا شك في افراغ أمومتها المكتومة في طفليها ، وفي خوفها عليهما حتى كاد الغلو يسلمها إلى معاناة القويبا أو المخاوف المرضية التي لا أساس لها من واقع والتي قد تشل تفكير الإنسان وحركته في بعض الأحيان . ومن هذه المخاوف المرضية بكل تأكيد ان تعاني زوجتك الخوف على الطفلين من نظرات الفتاة التي صحبتكما عشر سنوات فتتشكك فيها وتستغنى عن خدماتها ، ومنها أيضاً استشعار هذا الخوف الغريب عليهما منك وأنت أبوهما ، وهذا الخوف من أن يراها أو يلمسها أحد سواها إلقاء للحسد فيما اتصور مما كاد يصل بها إلى سجنها في غرفة معقمة « كسجناء التونة » في رواية سارتر الشهيرة . والحرص والخوف الطبيعي المعتدل مطلوبان لكن الإعتصام بالايان والثقة بأن الله وحده هو الحامي والمنقذ والمنفذ لمشيئته في كل الأحوال واليقين بأن ماأصابنا لم يكن ليخطئنا ولو احتمينا منه بالحصون المنيعه وماخطأنا لم يكن ليصيبنا ولو أجهد الرماة انفسهم ، مطلوبان أيضاً بشدة لسلامنا النفس نحن ولكي نستطيع أن نحيا ونتمتع بها أحلّ الله لنا وأنعم به علينا وإلا أهدرنا حياتنا وحاضرنا في الخوف من مجهول باتساع السماء والأرض وكابدنا حياة الخائفين بلا طائل من الميلاد إلى المات .

وليس من الصعب على زوجتك إذا صَحَّ عزمها وتخلصت من بعض غاؤها واعتصمت بالإيمان بالله ان تعدل بين واجباتها تجاه طفليها وواجباتها تجاهك خاصة إذا أدركت ان الرجل هو طفل المرأة الأول كما يقول المثل الألماني وإن في أمومتها حقاً للجميع ، وإذا تذكرت أيضاً إنها حين تحرم نفسها من صحبة زوج محب عطوف لتفرغ بكليتها لطفليها إنها

نحكم على نفسها بأن تكون أمّاً فقط تعطى ولا تأخذ إلى نهاية العمر في حين ان في مقدورها أن تكون أيضاً زوجة محبة ومحبوبة تعطى وتأخذ وتستعين بشريكها على هجير الحياة وأنوائها .

أما أنت ياسيدى فمن المفيد لك ان تدرك أيضاً ان « غيرة » الزوج من انشغال زوجته بأطفالها عنه حقيقة نفسية معروفة أيضاً ولا شيء فيها ان لم تزد على حد الاعتدال تماماً كغيرة الزوجة من اهتمام زوجها بأبنائها إذا غالى في ذلك على حساب ما ينبغي ان يمنحه لها هي من اهتمام في بعض الأحيان . وبالفهم تحلّ كثير من المشاكل . . . ولهذا لابد أن تسلم أيضاً بأن مجي الأطفال قد صنع متغيرات جديدة في حياتك لابد من قبولها ولابد من التسليم بأنه قد أصبح لك شركاء شرعيون في قلب زوجتك واهتماماتها ووقتها ، وأن ترضى بالقسمة العادلة بين الشركاء وإن تعينها على أداء واجباتها تجاه الجميع بالآ تطلب منها أكثر من المستطاع لكيلا تسخط إذا تلقيت دون ما طلبت - وبأن تتذرع بالصبر على زوجتك حتى تحتاز فترة الطفولة المبكرة ويشد ساعد الطفلين قليلاً فيخرجان شاءت أم أبت من سجن التونة الذى اعتقلتها فيه وحين يحدث ذلك سوف تتغير في شخصية زوجتك أشياء كثيرة فاصبر يا صديقى حرصاً على أن توفر لطفليك الأسرة الطبيعية التى ينشأان ظلالتها فإن لم تقدر على الصبر فلا مُلام عليك ان اخذت « بظاهر » نصيحتها وتزوجت حين توقن بأن مجي الطفلين قد جفّف حقاً كل ينابيع الحب في قلبها ولم يبق منها إلا ينبوع الأمومة وحده . .

شهادة رخيصة !

أنا ابن وحيد لأبى وأمى . . وإواجه مشكلة أريد ان تنشرها ليعرف كل أب وأم ماذا يعاني الأبناء من خلافاتهم . . فمند شهر حدث سوء تفاهم بين أبى وأمى وتحاصبا وأصبحا لا يتبادلان الكلام ومازالا كذلك حتى الآن والمشكلة ان كل « واحد » منهما يحاول ان يكسبنى في صفه . . فأبى يقول لى اشياء كثيرة « غير حسنة » عن أمى . . وأمى تفعل نفس الشيء ، وكلما قلت لأبى حاول ان تزيل هذا الخلاف قال لى اسكت والا تركت لكما البيت . . وكلما قلت لأمى « حاولى » قالت لى نفس الكلام . . وأنا وحيد ولا أجد من اشكو إليه إلا « بريد الجمعة » الذى يقرؤه أبى وأمى لعلهما يعرفان مدى معاناتى وتأثرى بخلافتهما اننى اناشد كل أب وكل أم ان يحللاً مشاكلهما والا يتركها لى أى رواسب تؤثر على أولادهما . . خصوصا إذا كان لديها بنت واحدة أو ابن واحد مثلى !

ابن وحيد

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : رسالتك لا تحتاج إلى أى تعليق . . لهذا فلن اعقب عليها سوى بأنى قد سبق ان قلت ان أكبر جريمة يرتكبها أب أو أم فى حق ابناتها هى ان يحاولا تحكيمهم فى خلافتهما خاصة فى مراحل عمرهم المبكرة . وان يحاول كل منهما استمالتهم إليه على حساب

الطرف الآخر . . وان يشوه صورته لديه لكى ينتزع منه « شهادة » رخيصة بأنه محق وان الطرف الآخر مخطئ ومُدان ! فالكلام « غير الحسن » الذى يقوله لك أبوك وأمك عن الآخر لاهداف له إلا الحصول على هذه الشهادة الرخيصة . . وهى رخيصة بحق لأنها ضد كل القيم الدينية والأخلاقية . . فالشرع يعفى الابن من الشهادة على أبيه وامه حتى ولو ترتب على حجب هذه الشهادة ضياع حق أو إفلات جان ، حرصا على قيمة أعلى حتى من قيمة العدل مع الآخرين وهى علاقة الآب بآبيه وأمه . . واعتقاداً على ان هذا العدل يمكن ان يتحقق بوسائل أخرى ليس من بينها اجبار ابن على الشهادة على أمه أو أبيه . . فكيف بمثل هذه الصغائر التافهة ؟

إن أرخص فوز تناله أم هى أن تفوز بمشاعر ابنها على حساب مشاعره تجاه أبيه واحترامه له . . ونفس الشيء بالنسبة للآب إن اراد ان يفوز بمشاعر ابنه على حساب مشاعره تجاه امه واحترامه لها فمن يهتز رمز الأب في عينيه قد تهتز عنده قيم عديدة وقد لايلبث ان يهتز في غيخته رمز الأم . . والعكس بالعكس ، لذلك فمن صالح الطرفين دائما ان يحرصا على مثالية هذا الرمز المشترك واحترامه في عيون الأبناء . . اتفقا أم اختلعا ، سعدا بزواجهما أم شقيا به ، وافضل مايفعلانه في ذلك هو ان يجبجا خلافتها عن الأبناء بقدر الامكان وان يتعاملا معها بعيدا عنهم . . وان يتوقفا عن المزايدة على مشاعر الأبناء واستئثارهم بتجريح الطرف الآخر ودمغه في أنظارهم فهل يفعل أبواك ذلك قبل فوات الأوان ؟

نقطة الضعف !

أنا سيدة فى الثانية والثلاثين من عمرى نشأت فى بيت لم تفارقه أبدا الخلافات والمشاحنات بين الأبوين اللذين عاشا دائما على حافة الطلاق . . وعشنا معهما على حافة الخوف من انهيار الأسرة وبالرغم من ذلك فقد تفوقت فى دراستى والتحققت بجامعة القاهرة وتركت مدينتى الصغيرة وتخرجت وعملت فى العاصمة بعد تخرجى وخلال دراستى وعملى كنت قد اقتنعت بأنه لا وجود لما يسمى بالحب أو الرجل المثالى وبعد تخرجى بعام تقدم لخطبتى شاب يعمل خارج مصر منذ سنوات ويكبرنى بسنوات قليلة . . رأيته مرة واحدة قبل الخطبة ولم أشعر تجاهه بأى ميل أو باعجاب ومع ذلك فقد وافقت على الارتباط به لسببين أهمهما هو ألا أعود إلى بيت أسرته حيث تخيم سحب الخلافات والمشاحنات . . والثانى هو ضرورة أن أتزوج وقد بلغت من العمر الخامسة والعشرين .

وتزوجت هذا الشاب الذى لا تربطنى به أى عاطفة وسافرت معه إلى البلد الذى يعمل به ، ومنذ اليوم الأول لحياتى الزوجية الجديدة لمست رفته معى واحترامه لمشاعرى رغم تحفظى معه ، فوجدت نفسى احترمه لمواقفه مع الناس وفى عمله واكتشفت انى قد تزوجت رجلا له مكانة وأخلاق ومثاليات نادرة فى هذا الزمان إلى جانب تدبئه المستنير ورعايته لربه فى كل

قول أو فعل يصدر عنه ، وشيئا فشيئا تحول الاحترام إلى حب جارف . .
وعمرنى احساس دافق بالأمان وأنا معه أنساني كل مخاوفى القديمة . .
ووجدت نفسى بمساعدة زوجى اتجه إلى الله والتزم بالصلاة وبادء العمرة
والحج وغرقت فى بحر من الهناء لم يفسده سوى خوفى من فقد سعادتى
هذه ذات يوم .

وخلال ذلك كله لم تنتبه إلى تأخر الحادث السعيد الذى ينتظره كل
زوجين ولم يشغلنا لكن إلحاح أهلى وبعض أهله بالسؤال عن ذلك دفعنا
لاستكشاف أسباب التأخير . . فبدأت أنا أولا رحلة التحاليل والفحوص
وانتهت بأنه لامانع عندى من الانجاب وبعدها بدأ زوجى نفس الرحلة
ليتأكد من سلامته فإذا بها تكشف عن مفاجأة هى أن زوجى وحييى
والرجل المكتمل الرجولة لن ينجب طوال حياته . ولا يستطيع ان اصف
لك حالتنا حين عرفنا ذلك لكن يكفى أن أقول لك ان زوجى وسيئدى
والهرم الذى احترمه ويرضىنى ان ابذل روجى لإسعاده قد انهار حزينا
واقسم لى انه لم يكن يعرف ذلك وانه لو عرفه قبل الزواج لما ارتبط بى أو
بغيرى حتى لا يظلم أحدا معه ، ثم خيرنى بعد ذلك بين أن احيا معه
حياة جدباء بلا أمومة أو ان يهبى حريتى وأنا مازلت شابة ومرغوبة لأتزوج
من غيره فبكيك وقبّلت يديه واقسمت له انى لا أريد من دنياى سواء وان
الله قد منحنى بزواجى منه فوق ما استحق . . فرضى عن ذلك واطمأن
خاطره لكنى احسست باشفاقه من ان يعلم أهلى وأهله بالأمر خاصة وان
معظم الناس يخلطون بين الرجولة وبين القدرة على الانجاب فطبيت
خاطره واقسمت بين يديه على ان يظل الأمر سرا بيننا .

ومضت بنا السنوات في محاولات يائسة للعلاج رغم مصارحة الأطباء لي بأنه لا أمل ، وكلما عدنا في اجازة إلى مصر حاصرني أهلي وخاصة أمي بالسؤال عن الحمل والانجاب فأراوغ والجأ للكذب أحيانا حتى ظن الجميع أن بي عيبا يمنعني من الحمل وأني أتناوى منه ببعض المنشطات وظللت على هذا الحال حتى انتهت سنوات الغربة وعدنا للاستقرار في بلادنا وعاد زوجي لعمله في مصر ولأن أمي مرتبطة بي إلى حد الجنون وربما لأنها أيضا مثقفة وذات شخصية مسيطرة فلقد تحولت حياتي إلى جحيم منذ عودتي بسبب هذا الأمر فلقد راحت تحاصرني بالأسئلة وبمحاولة إقناعي بالذهاب معي إلى الطبيب وأنا اتهرب منها . . واراوغ . . وحافظت طوال ذلك على قسَمي لزوجي لكن حصار أمي حولي قد ضاقت حلقتة حتى كاد يخنقني فلقد حددت أمي موعدا مع طبيب كبير وتصرَّ على اصطحابي إليه لتستمع إلى رأيه في حالتي بنفسها . . بعد أن بدأ الشك يساورها في الأمر . . ولقد حاولت مرارا منعها من التدخل في حياتي وافهمتها ان الانجاب شأن خاص بي وبزوجي فخاصمتني عدة أسابيع ولم أخاصمها فصالحتها وبمجرد ان اعتذرت لها حتى عادت إلى إلحاحها وبكثافة أشد ! والحقيقة اني حائرة معها ولا أستطيع مصارحتها لأنها رغم كل شيء حماة مصرية بمعنى الكلمة وبالرغم من مثالية زوجي واحترامه لأهلي فهو لا ينجو أحيانا من مهاجتها وانتقادها فكيف يكون الحال إذا عرفت نقطة ضعفه وعابرته بها ذات مرة ؟

إن موعد الطبيب يقترب وأرجو ان تجربني برأيك هل أتمثل من قسمي واعرَّي زوجي أمام أهلي علما بأن أمي لا تحفظ سرا أم أغضب أمي

فأغضب ربي واتعرض لمقاطعتها وأنا ملاذها وموضع سرها وراحتها ؟
□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : يا سيدتى لقد اسرفت أنت وزوجك
على نفسيكما فى هذا الأمر منذ البداية . فلقد تعاملتما معه كأنه عار
شخصى ينبغي مداراته وتكتمه واقسمت على الحفاظ على سره وتحملت
ضغط اهلك والحاح أمك عليك حتى وضعتك مؤخرا أمام الأمر الواقع
واصررت على اصطحابك بنفسها إلى الطبيب . . فلماذا كان هذا العناء كله
من الأصل ؟

إن عدم القدرة على الانجاب ليست عارا لأحد كما أن القدرة عليه
ليست بطولة شخصية ولا فخرا لأحد ان لم تكن فى بعض الأحيان كارثة
تنجم عنها مآسى انسانية عديدة .

فلماذا إذن تكتمتا الأمر بهذه الحساسية غير المبررة ؟ ان زوجك رجل
عادل ولست اظن ان مثالياته وتقديره المستتر يسمح له بأن يرضى لك
بتحمل أرهاق امك والحاحها عليك إلى ما لا نهاية . . لأنك ان نجحت
فى الإفلات منها هذه المرة فلن تنجحى فى المرات العديدة القادمة . . ولن
يكون لذلك نتيجة سوى تكدير صفو علاقتك بها . . وصفو سعادتك مع
زوجك وسلامك النفسى وأمانك . فإذا كان الأمر كذلك فاشركى زوجك
معك فى الأمر واقنعيه بأنه لا سر يخفى إلى الأبد . . وبأنه ليس فى سره ما
يشينه أو يشين أى إنسان فكثيرون من الأنبياء والزعماء التاريخيين لم يُعقبوا
ابناءً كما انى اختلف معكما فى ان معظم الناس كما تقولين يخلطون بين
الرجولة والقدرة على الانجاب فالحق ان العكس هو الصحيح وإن معظم
الناس يفرقون بين الرجولة وبين القدرة على الانجاب ويعرفون جيدا ان
الانجاب قد لا يكون أحيانا دليلا على اكتمال الرجولة .

لقد شغلتما نفسيكما بأمر غير ذى بال واضطربتما حيث لا موجب
لذلك إلى الادعاء والتظاهر والمراوغة . . ولقد أن الأوان لتصحيح كل ذلك
لكى تهنأ لكما الحياة بغير زيف وبغير مكابدة الحفاظ على السر الموهوم
وتحمل تبعات ذلك من مواقف محرجة .

إن الحب يا سيدتى كما تقول الكاتبة الفرنسية سيمون دى بوفوار تجربة
فريدة لا يعرف كل أسرارها إلا من يعايشها ، وأنت تحبين زوجك
وتسعين به ومعه ولن تهنأ لكل منكما حياة إلا مع الآخر . . فما شأن
الآخرين إذن بانجابكما أو عدم انجابكما للأطفال ؟

إننى أفضل أن ترجعى إلى زوجك وإن تضحى الأمر أمامه بكل تفاصيله
ليرى رأيه فيه وليحللك من قسمك الذى لم يعد كافيا لحفظ « السر » بعد
أن تسلل الشك إلى قلب أمك ولن تهدأ حتى تحوله إلى يقين وله بعد ذلك
أن يدع لك مصارحة أمك به أو مواجهتها بنفسه والحق انى أفضل أن
يفعل وإن تؤكدى لها أمامه أنك لن تعدلى به رجلا آخر وإنك تعرفين أنها
إنما تطلب سعادتك . . وسعادتك فى حياتك مع زوجك كما هى الآن . .
ولا بأس بعد ذلك بأن يتحمل زوجك هذه الضريبة الضئيلة للحب
والسعادة والاستقرار . . بل ولا بأس حتى بأن يتحمل ما تخشين منه فى
المستقبل من جانب أمك وهو على أية حال قادر على أن يفرض احترامه
على الآخرين بالطريقة التى تناسبه كما أنك سوف تتحملين أنت أيضا
الكثير من لومها لكتمتك السر عنها طوال ست سنوات أو أكثر . . كما
تحملت من قبل مقاطعتها لك . . والحاحها عليك فيما إذا تساوى كل هذه «
التواقة » لكى تتخلصا معا من هذا الضغط العصبى والنفسى المستمر منذ
سنوات ولكى يدعكم الآخرون لحياتكما وشأنكما ؟

بلا جدران

أنا مدرسة بإحدى المدارس تزوجت وعمري ٣٢ سنة من محام بإحدى الهيئات كريم وهادئ الطبع ويكره العيب ومع ذلك فإن زواجي منه لم يدم طويلاً وانتهى للأسف بالطلاق ، وأجد في نفسي الشجاعة لأن أقول لك أنني السبب في طلاقى منه ، لقد كان ذلك لأن لي أخاً كان يطلب مني أن أقول له على كل صغيرة وكبيرة في حياتي الزوجية وفعلت ذلك فلم يعد هناك سر لبيتي وحياتي ، كما كان أخي ينصحني دائماً بما افعل في كل شيء في حياتي فأنفذ نصيحته بلا تردد حتى وإن تعارضت مع رغبة زوجي أو مشورته وكانت دائماً مخالفة لما يريد زوجي أو ينصحني به . وقد حذرني زوجي من اذاعة أسرار حياتنا وإعلام شقيقي بكل شيء عنا ومن عمل بمشورته في كل صغيرة وكبيرة في شئوني فلم التفت لتحذيره وفضلت شقيقي عليه في كل شيء .

ثم حدث خلاف عادي بيني وبين زوجي اعترف أنني التي تسببت فيه فأسرعت باستدعاء شقيقي الذي جاء مهرولاً وعاتب زوجي عتاباً شديداً ثم فوجئ زوجي به يروي له كل تفاصيل الخلاف وكل تفاصيل حياتنا ويحاسبه عليها ، فنظر لي زوجي مصدوماً والتزمت الصمت ولم أحر جواباً ثم تصاعد النقاش واحتد ثم فوجئت بشقيقي يمسك بزوجي ويريد أن

يضره في بيته فدفعه زوجي عنه دفعة أوقعته على الأرض وسقط فوقه فلم أشعر بنفسى إلا وأنا أهاجم على زوجي وأعضه بأسناني ليرك أخى . . وانتهدت الفضيحة بطرد زوجي لى مع شقيقى من البيت ، وعدت إلى بيت أهلى وبقيت فيه ٤ شهور رفض زوجي خلالها عودتى إليه ثم تدخل أهل الخير للإصلاح بيننا وعدت إلى بيتى ، وقابلنى زوجي مقابلة كريمة وطالبنى بأن انسى ما مضى وألا اتحدث عنه وكان شرطه الوحيد هو ألا يدخل شقيقى بيتى فحز ذلك فى نفسه ، فراح يحرضنى عليه عن بعد . وبعد فترة قصيرة طلب منى شقيقى ان احصل على رشتات الأطباء الذين أعالج لديهم من أجل الانجاب وأعطيتها له لتكون تحت يده لاستخدامها عند الضرورة ضد زوجي ولا أعرف كيف . . لكننى استجبت وأعطيتها له بغير علم زوجي ، وبعد فترة أخرى طلب منى - منه الله - ان أعطيه مصوغاتى الذهبية ليحفظها عنده فأعطيتها له أيضاً سراً ، ولا أدرى لماذا وافقت . . بل لعلى أعرف السبب جيداً وهو أننى ببساطة « إمعة » لا شخصية لى ولا رأى مستقل مع أنى أحمل الليسانس من جامعة عريقة وإن كنت لا أحمل أى مؤهل من مؤهلات الحياة . وكانت النتيجة ان تأزمت الأمور مرة أخرى بينى وبين زوجي بعد أن علم بما أخفيت عنه ، ورغم ذلك لم يخطئ فى حقى بكلمة واحدة ، وإنما تألم مما فعلت وغضب منى صامتا ، ولم أصبر عليه ولم استجب لطلبه بأن استعيد أشياءى وإنما استجبت لمشورة أخى أو لوسوسته لى حين طلب منى ان أهاجر زوجي وأترك له الشقة ، فعملت بمشورته وتركت الشقة بلا انذار ، وعاد زوجي من العمل فلم يجدنى . . وكنت أتصور انه حين يعود ولا يجدنى سيأتى

إلى المدينة القريبة التي يعيش فيها أهل ويصالحني ويعيدني إليه لكنه لم يفعل وإنما أقسم أنه لو باع ملابسه فإنه سيفعل لكي يطلقني ويدفع لي كل التزامات الطلاق المالية ، وتم الطلاق فعلاً وحصلت على كل حقوقى منه بلا منازعات وتسلمت أثاثي . . وعدت لبيت أهلى ومضت الأيام . وبعد فترة بدأت أشعر بالندم على ما فعلت والتذكر زوجى وطيبته وتدينه وحسن معاملته لى وأتمنى عودة الحياة بيننا وصارحت أخى برغبتى فحاول أن يستخدم بعض الوسائل للضغط على زوجى السابق لكي يعيدنى لعصمته . . لكنه لم يستجب للضغط ابداً فأشار على شقيقى بأن أطلعن فى رجولة زوجى واشهر به من هذه الناحية قائلاً لى : أننى بذلك أضربه فى مقتل ولا تتعجب منى إذا قلت لك أننى استجبت له مرة أخرى وقلت فى زوجى السابق ما قاله مالك فى الخمر فقد قلت لك من البداية اننى إمعة وليست لى شخصية ، فتكلمت وأدعيت على زوجى ما ليس فيه . . ثم شعرت بسخافة ما فعلت وسكت وندمت على كل شيء . . وكرهت كل ما حدث وما أدى إلى حرمانى من الحياة الزوجية . .

إننى أرجو منك أن تكتب لزوجى الذى يقرأ لك بانتظام بأننى نادمة على كل شيء . . وأنى انتظر منه مجرد إشارة لكى أطيء إليه وأترك أخى وكل الآخرين وأذهب لأعيش معه بعد أن استوعبت الدرس وعرفت ان الزوج الطيب لا يعوّض . . اننى أعرف أننى قد تسببت له فى عقدة من كل النساء وأنه لم يتزوج بعدى مع أنه زوج تتمناه أى فتاة لكنى أطمع رغم ذلك فى تسامحه وعفوه وأتمنى ان يقاوم وينسى كل ما تسببت له فيه من جراح وآلام . ربما يكون ذلك صعباً لكنى لم أفقد الأمل ولن أفقده فيه إن شاء الله

وأنصح كل الفتيات . . نصيحة مطلقة جرّ عليها أخوها الخراب بالآ
يدخلن أحداً في علاقتهن بأزواجهن . . وبألا يدعن أسرار حياتهن
الزوجية لأى إنسان مهما كان قريباً منهن ومنه لله أخى فيما فعل بحياتى
وشكراً

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : هناك كلمة صينية تقول أن البيت الذى
بلا جدران لايمكن أن يغطيه سقف يحميه من الأمطار . . لهذا فلايد دائماً
لكل بيت من جدران . . تحمى خصوصية الحياة فيه وتعزلها عن العالم
الخارجى ، ويقام فوقها سقف يحميه من الأمطار والسيول . . والواضح
ياسيدتى أن بيتك لم يكن له جدران لهذا فقد عصفت به الرياح ودمرتة
السيول . . فإذا كنت قد استوعبت دروس التجربة حقاً ، فأرجو ان
تضيفى إليها أيضاً ، أنه مامن شىء يؤلم الرجل أكثر من أن يحس بأن
زوجته وشريكة حياته التى تأمته على نفسها وجسدها وروحها لا تأمته فى
نفس الوقت على بعض متاع الدنيا الرخيص الذى قد لأىرى أحياناً بالعين
المجردة ، وأنها تثق بغيره وتأمته على هذا المتاع الضئيل أكثر مما تثق فيه هو،
ناهيك عن الألم الذى يحسه حين يدرك أنها تثق بمشورة غيره أكثر مما تثق
برأيه وحكمته ورغبته المخلصة فى صالحها وصالح أسرته ، أو حين
يكشف انه يعيش مع زوجة تُدار « بالريموت كونترول » عن بُعد
ولا تستجيب لأى اشارة صادرة عنه . . فى حين تتلقى وتستجيب لكل
إشارة صادرة عن مركز إرسال خارجى .

إنه أمر مؤلم حقاً لكل زوج . . ولكل زوجة قد تعبد نفسها فى وضع
زوجك السابق ، ولولا الأبناء والحرص على سعادتهم لانهدمت بيوت كثيرة

لهذا السبب الشائع ، فإن كان لرسالتك هذه من فائدة اضافية إلى جانب الأمل في اصلاح الحال بينك وبين زوجك السابق فهي في شعاعتك في الاقرار بمسئوليتك عن الطلاق وادراكك لأسبابه وتحذيرك للفتيات والزوجات من تكرار أخطائك ، وإن كنت لم استرح لوصف نفسك بأنك كنت دائماً بلا شخصية مع شقيقك . . أن كنت كما تقولين « إمعة » تستجيبين لكل ما يطلب منك . . لأن في هذا التصوير المبالغ فيه فيما أعتقد محاولة لتحميل الشقيق المسؤولية الكاملة عن كل الأخطاء التي أدت للطلاق ، كما أن فيه زعماً بأنه لم تكن لك إرادة في شيء مما فعلت لكنه شقيقك ، ساعه الله ، وفي ذلك بعض الخداع للنفس . . وعلاج العلة لابد أن يبدأ بإدراك أسبابها الحقيقية ، كما أن استيعاب دروس التجربة يتطلب ان تعترفي لنفسك أولاً بأنك قد فعلت ما فعلت بإرادتك أنت أولاً وأخيراً خاصة وأنت فوق الثلاثين وأنه حتى لو كان لمشورة السوء من شقيقك دور أكيد فيها حدث فالموكد أنك لم تكوني مغيبّة الوعي وأنت تفعلين كل ما فعلت ، لأن الحياة السليمة لابد أن تقام على حقائق صحيحة وليس على أوهام كما أنه ليس من الضروري كذلك تقديم رأس أخيك على طبق من فضة قرباناً لمطلقك لكي يقبل عودتك إليه ويدرك أنك قد ندمت على ماكان منك ، وإنما يكفي فقط ان تعلنى انك أخطأت . . واستوعبت دروس التجربة ، وترغبين في استئناف الحياة ، مع زوجك السابق ولتترك للزمن أن يداوى الجراح . . ولنأمل في شهامة زوجك السابق وإنسانيته الكثير بإذن الله .

الشررا

أنا مهندس أعمل بإحدى الدول العربية منذ سنوات وقبل فترة طويلة
تعرفت على زميلة لى وتزوجنا وانجبتا خمسة أولاد أكبرهم الآن بالمرحلة
الاعدادية . . وزوجتى من عائلة محترمة وتتمتع بأخلاق عالية ، لكن
مشكلتى انى منذ تعرفت بها وإلى الآن وهى تتجنب النظر فى عينى أو
تجأهى بصفة عامة وفى الفترة الأولى من خطبتنا ثم زواجنا تصورت انه نوع
من الخجل سيتلاشى تدريجيا مع الألفة والمعاشرة لكن وجدته مستمرا إلى
الآن فهى لا تنظر فى عينى ابدا وإذا نظرت فلهظات سريعة ثم تنظر إلى
الجهة الأخرى وإذا تحدثت إلى فنظرها دائما مشتت يمينا ويسارا وبعيدا عن
ناحيتى دائما وحين سافرنا للعمل فى الخارج ازدادت حالتها سوءا مع
الغربة وأصبحت تفضل ان تبقى دائما وحيدة بمفردها وتحاول متعمدة ان
تنام أكثر الوقت وتعتمد ان تثير المشاكل معى حتى تنفرد بنفسها أو تنام
بمفردها وإذا حاولت ان اتحدث معها سمعت منها ما لا يرضى أى زوج
وحاولت ان اتقرب منها بشئ الطرق فكانت تعتمد ان تبتعد عنى بل
وتقول لى بصراحة أنها تمنى ان تعيش وحيدة مع أولادها حتى لا تكلم
أحدا ! كما أنها لاتهمت بنفسها أو مظهرها فى البيت ودائما شعرها منتفش
و«منكوش» لأعلى . . وإذا طالبتها بان تهتم بنفسها قليلا أجابتنى انها

هكذا وإذا كان عاجبني ! مع اني والله العظيم اعاملها افضل معاملة هي
واولادى واحترمها وألبي كل طلباتها وطلبات أولادى ولا اقصر فى حقوقها
أو حقوق أسرتى . . وأحاول دائما ان اعرف سبب هذا الصد والبعد
والهجران بلا طائل . لقد أصبحت أحاول الابتعاد عن البيت بقدر الامكان
حتى استريح من هذا الجفاء . . واتعمد التزول لشراء لوازم البيت كنوع من
الهروب والبعد عن البيت وكلما سألتها عن هذا الجفاء وعن عدم نظرها
تجاهى أو فى عيني ابدا لا أجد منها إلا كلمة « مقيش حاجة » حتى
أصبحت والله العظيم اكلم ربي سبحانه وتعالى وأسأله حلا لهذا النكد
المستمر . . وفكرت فى الطلاق لكننى تراجعت عنه من أجل ابنائى ثم
ألححت عليها ذات يوم بالسؤال فبكت بكاء شديدا وقالت لى انها مريضة
نفسيا ، وأنها ومنذ كانت طالبة بالثانوى كانت تحس كلما نظرت إلى احد
بشر يتطاير من عينيها وبكره وحقد وغل شديد تجاه الشخص الذى تنظر
إليه حتى من أولادها . . لهذا فهي تتعمد ألا تنظر إلى احد . . واكدت لى
انها تكره بعينيها فقط أما قلبها فلا يشعر بهذا الكره والحقد !

إننى لا أريد عرضها على طبيب نفسى هنا حيث أعمل واقيم لكيلا
تثار حولى وحولها الأقاويل ونحن فى غربة لكننى فى حيرة من أمرى . .
واسأل هل لهذه الحالة من علاج . . وبإذا تنصحنى ان افعل ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : اهمال زوجتك لنفسها . . وتعتمدها
النوم لإراديا لفترات طويلة ورغبتها فى الانفراد بنفسها طويلا وعزوفها عن
النظر إليك فضلا عما تقوله من أنها تحس بكره شديد تجاه من تنظر إليه كل
ذلك شواهد أكيدة على مرضها بالاكتئاب النفسى وهو مرض قابل للعلاج

بشرط التداوى منه ، والخطأ الذى يقع فيه كثيرون هو أنهم يطلقون عبارة الاكتئاب النفسى على كل حالة ضيق نفسى عابرة يمر بها الإنسان فيخلطون بذلك بينها وبين مرض نفسى وجسمى محدد له أعراضه الخاصة وله أسبابه النفسية ويرتبط بتغيرات كيميائية معينة فى المخ ويتطلب علاجه علاجاً نفسياً وجسماً ولاينتظر شفاؤه بغير هذا العلاج المنتظم تحت إشراف طبيب متخصص . . فلا تتردد فى اقناع زوجتك بطلب العلاج سواء فى مقر عملك أو فى مصر . . وفى الالتزام به إلى ان يحقق أهدافه . . ولا تبدد حياتك فى المعاناة والألم مادام العلاج ميسوراً ومضموناً بإذن الله .

الحل الأخير

تزوجت منذ عشرين عاماً بعد حب عنيف جمع بينى وبين زوجى وعشنا معاً حياة سعيدة وانجبت له ولداً وثلاث بنات . . . وبعد مجيء الولد شهدت حياتنا تحولاً غريباً فلقد أحب زوجى ابنه حباً ملك عليه كيانه ودلله تدليلاً لا حدود له ، وأحس الولد ابتداء من عمر العامين تقريباً بحب أبيه الغريب له وبأنه يستجيب لأى طلب يطلبه سواء أكان الوقت ليلاً أو نهاراً ، فكان إذا رغب أى شىء مما يرغب فيه الأطفال وتعذر تلبيةه لسبب أو لآخر إنخرط فى بكاء غريب متواصل وراح يكسر أى شىء أمامه ، فلا يجرؤ أبوه على تركه يبكى وينهض لاحضار الشىء المطلوب منها . كان الوقت أو حال الجو فى الخارج ، وكنت كأى أم أعاقب طفلى على كل خطأ يرتكبه فيسكت إلى ان يعود أبوه من عمله ثم يتفجر فجأة فى البكاء ويشكونى إليه . فكان زوجى يقوم ضاحكاً بتكتيفى ويقول لابنتا : إضرب ماما كما ضربتك !

فيضربنى الولد بيديه الصغيرتين واتظاهر أنا بالبكاء فيرضى ويسعد ويكف عن بكائه وكانت هذه هى طريقة زوجى للتعامل مع ابنتا حتى كبر والتحق بالمدرسة ثم بالجامعة ولعلك سوف تسألنى بالضرورة كيف انعكست عليه هذه الطريقة فى تربيته واجيب بأن ابنى قد اعتاد للأسف

على أن يتعامل معى بغلظة منذ صباه كما اعتاد ان يتهور على بالصياح
والألفاظ غير اللائقة كلما طلب منى طلباً ورفضت تلبية له عدم ملاءمته أو
لعجزنا عنه وكنت فى طفولته وصباه لا أغضب منه لذلك وأقول لنفسى انه
سيكبر غداً ويصل إلى الرشد ويكف عن هذه الأفعال الطائشة . لكنه لم
ينضج ولم يرشد للأسف وإنما تمادى فى مطالبه بغير ان يجرؤ أحدنا على ان
يواجهه بالرفض أو بأننا لانستطيع مادياً تلبية مطالبه لأنها تفوق دخلنا ،
والتحق بالجامعة وطلب من ابيه سيارة فاشترى له سيارة قديمة ارهقنا
انفسنا بتحمل ثمنها ، ثم احيل زوجى إلى المعاش وانخفض دخله
انخفاضاً كبيراً وعجزنا مادياً عن ملاحقة طلبات ابنى فوقعت الطامة
الكبرى وأصبح يتشاجر معى يومياً على النقود ويتناول على بالسباب
ويكاد يضربنى إن لم أعطه مايريد ، فكنت أعطيه نقوداً من مصروف
البيت . . ثم اعجز عن مواجهة مطالب البيت فى نهاية الشهر . . ورغم
ذلك فلقد استمر يطلب منى ولايطلب من ابيه الذى ضاق به أخيراً رغم
حبه الشديد له ، وأصبح يقف ضده كثيراً .

لقد أصبح ابنى يمتك بى مرتين أو ثلاث مرات كل يوم لياخذ منى
مايريد وتنتابه نوبات غريبة من العصبية الشديدة يقوم خلالها بضربى أنا
وبناتى ، حتى أصبحت اخشى على سمعة البنات من هذا الحال مع أنهم
من اسرة محترمة جداً وجيالات ، وكلما تهور علينا ابنى هذا انظر إلى بناتى
بحسرة ونظلمة نبكى معاً حتى يغادر البيت وكثيراً ماترك البيت هرباً منه
وذهبت إلى بيوت جميع أقاربى لعل أجد أحداً يحل لى هذا الأشكل ،
ولكن بلا فائدة لأن ابنى لايعمل حساباً لأحد ولايريد ان يتنازل عن مطالبه

وهو للأسف يكرهنى جداً منذ طفولته المبكرة . اتنى اتعذب أنا وبناتى ونصاب بالرعب حين يرفع صوته علينا ويسمعه الجيران وقد أصبحت البنات يهرعن إلى الفراش اذا سمعن صوته قادماً إلى البيت ويتظاهرن بالنوم رعباً منه .

وزوجى عاجزاً عن أن يفعل شيئاً معه ، وأنا مرضت بالضغط والسكر وطلبت من زوجى الطلاق لكى آخذ بناتى ونعيش معاً فى أى مكان وحدنا لكى لنستريح مما نعانيه وأرجو ان تشير علىّ بما أفعل لكى اتخلص من هذا العذاب بشرط ألا تنصحنى بأن أبلغ عنه الشرطة لأنه إبنى الوحيد وانى أموت ولا اشهد مثل هذا اليوم . وحذا لو تطوع أحد قرائك من أهل الإسكندرية بأن يوجد لنا شقة ولو من حجرة واحدة لأعيش فيها مع بناتى وحدنا بشرط ان يكون صاحب البيت قادراً على حمايتنا من الولد الذى يتبعنى أينما ذهبت ويطمع فى أى شىء نملكه بحجة انه ولد وحيد وستؤثر تصرفاته على زواج البنات رغم انى ادعو له بالهداية وكل ذلك بسبب التدليل فى الصغر . . ولا حول ولا قوة إلا بالله .

□ ولكاتبه هذه الرسالة أقول : لا يملك المرء بعد أن يقرأ رسالتك إلا أن يردد معك متألماً : لا حول ولا قوة إلا بالله ، لكن العقل يتمرد بعد ذلك سائلاً : وماذا كان زوجك ينتظر من ابن درّبه وهو طفل صغير على أن يعتدى على أمه بالضرب وعلى ألا يهنا ويكف عن البكاء إلا إذا رآها تبكى أو تتظاهر بالبكاء أمامه ؟

لقد ساهم الأب بتربيته الخاطئة له وتبدليه والاستجابة دائماً لكل ما يطلبه فى إنقال الحياة بكائن جديد إعتاد الأخذ من الآخرين دائماً وليس

قادرًا على العطاء المادى أو المعنوى لهم . وأخشى ان اقول انك قد شاركت زوجك فى هذه الجريمة . لقد كان ابنك يتوسل لنيل ما يريد وهو طفل بالبكاء . . فأصبح يتوسل لنيله الآن بالضغط المعنوى والجسدى عليكم جميعاً ، ولأن العالم الخارجى ليس فيه من هو على استعداد لأن يقابل عدوانه بالانكماش امامه باكياً أو متظاهراً بالنوم فهو ينجصكم وحدكم يارهابه وبالتويات العصبية الغريبة التى يفتعلها مطمئناً إلى ضعفكم أمامه وإلى عدم احتمال تعرضه لآى ردع يعاقب عليه ، والمؤسف حقاً أننا لانتدفع بالعصبية الشديدة للعدوان على الآخرين إلا مع الأعداء الذين نعرف تماماً أنهم سوف يتحملوننا ويصبرون علينا ، أما مع الآخرين الذين قد يبطشون بنا فإننا نعرف جيداً كيف نتحلّى معهم بالحكمة وضبط النفس ، ولا غرابة فى ذلك لأن القدرة على الأعداء . . والعجز فى مواجهة الغرباء هو الجنب بعينه وابنك هذا طفل خائر الإرادة أمام رغباته وأخشى ان يكون قد استسلم لما سلبه هذه الإرادة وحوله إلى وحش أنانى لا يرى إلا مطالبه ونفسه فقط ولا يستشعر واجباته الإنسانية والعائلية تجاهكم .

أما مطالبتك بالطلاق . . ورغبتك فى هجر البيت مع بناتك واللجوء إلى حماية صاحب بيت شهم فليست حلاً لمشكلة هذا الابن ولا لمشكلتك ، وإنما الحل هو مواجهة بكل سبل المواجهة الممكنة وردة عن تجاوز الحدود التى ألزم بها الله الأبناء فى تعاملهم مع أمهاتهم وشقيقاتهم ، ولست اتصور انكم قد استفدتم كل طرق المواجهة العائلية معه . . فإن كنتم قد فعلتم فإن تهديده - إن لم يرتدع - بالسلطة الوحيدة التى تستطيع ردع أمثاله يصبح للأسف هو الحل الوحيد لمشكلته اننى اعرف انه أمر

شديد الإيلام للنفس وإن الاعتبارات العائلية والاجتماعية تفرض علينا في كثير من الأحيان النأى بهذه النزاعات عن تدخل الشرطة تجنباً للفضائح أو تخوفاً من العواقب ، لكن ماذا نفعل مع ابن يعتدى على أمه بالضرب والسب كل يوم وفشلت معه كل طرق الهداية والإرشاد والتعامل بالحسنى ؟ ان من ينجرف إلى هذه الخطيئة لا يجدى معه فقط ان نخطب عقله ودينه ونطالبه بأن يرعى حدود ربه مع أسرته أو ان نذكره بما سوف يناله من عقاب أليم في الدنيا وفي الآخرة جزاء لما يفعل ولا ان نذكره بأن من يعق أبويه يعقه ولده في المستقبل كما نفعل مع الأسوياء . لاياسيدنى لايجدى مع أمثاله شىء من ذلك وإنما يجدى معه ان نذكره بأننا لن نحتمل منه أكثر مما احتملنا ، وبأننا إن لم نجد من الأهل والأقارب ، من يستطيع ان يتصدى له بالقوة ويرده عن الاعتداء على الضعفاء منا ، فإنه لن يكون لنا خيار إلا التفاوض عن كل الاعتبارات العائلية التى تشل إرادتنا معه ونلجأ إلى سلطة المجتمع التى تنظم علاقات أفرادهم وتمنع عدوان بعض أفرادهم على الآخرين ، واتصور انه إذا ما تيقن تماماً من صدق هذا التهديد وجديته فإنه سيفكر ألف مرة قبل أن يرفع يده الأثمة على من ينبغي ان يخلص لها جناح الدل من الرحمة ، ولن يتهاذى فى ارهابكم واكراهكم جسدياً ونفسياً على ما لاتريدون ذلك ان أكبر مشجع له على التهاذى فيما يفعل هو اطمئنانه الراسخ إلى ضعفكم العاطفى تجاهه ، وإلى احتمالكم لكل مايفعله بكم كأنه قدر لاحيلة لكم فيه وإنى لعلى استعداد لمساعدتك فى هذا الأمر إذا اضطرتهم للمجوء إليه كحل أخير وفى الحدود الآمنة التى لن تؤثر على مستقبله بإذن الله وإنما تحميه من شر نفسه وتدق له جرس الإنذار الذى يذكره بان لكل شىء حدوداً ولكل احتمال نهاية ففكرى فى الأمر طويلاً واكتبى إليك بما تريدن .

الخباب !

أنا ياسيدى عمرى ٢٤ سنة تزوجت من ٤ سنوات وعندى ولدان أكبرهما عمره سنتان ونصف والآخر عمره ٥ شهور ، وزوجى يعمل فى «شغل» حداد مسلح ، وهو يعمل يوما و «يجلس» عشرة ويريد ان تصرف عليه أمه ! وإذا عاتبته على ذلك يضربنى ويسبنى ، وفى بداية زواجنا كنا نعيش فى شقة أهلى وعندما تزوج أخوته أصبحت امه «تجلس» بمفردها فطلبت ان نعيش معها فرفض هو . . ووافقت أنا وبعد اصرار منى ذهبنا لنقيم معها لكى اترك غرفتى لأخى ليتزوج فيها ، ومنذ هذا اليوم من ٣ سنوات وهو يسبنى ويضربنى « ويعايرنى » هل تعرف بماذا يعايرنى بأن عندى شلل أطفال فى إحدى ساقى وهو لا يريد ان « يشتغل » ويقول لى ان فلانة زوجة فلان قريه تعمل أى انه يريدنى ان « اشتغل » . . لكن كيف « اشتغل » ياسيدى وأنا لم اكمل تعليمى وليست فى يدى « صنعة » اشتغل بها ، وهو إذا لم يجد نقودا يبيع أى شىء فى البيت وقد سافر ذات مرة إلى احدى الدول العربية ولم يستمر بها أكثر من شهرين رغم وجود عمل هناك ورغم ان من سافر معه مازال يعمل هناك حتى الآن . . فهل تعرف ماذا قال لهم عندما أراد ان يعود إلى مصر ! لقد قال لهم ان زوجته توفيت وهى تضع مولودها الثانى وعاد لكى يجلس هكذا يعمل يوما ويتعطل عشرة

وإذا خرجت والدته من البيت لايترك لنا نقودا حتى للطعام . . وعندما
أمراض يقول لى اذهبي إلى أهلك . . وحتى عندما وضعت طفلى الأول
والثانى لم يصرف علينا وكنت اتحمل كل ذلك من أجل أولادى الصغار ،
لكنه بعد كل ذلك وفى إحدى المشاجرات طردنى انا وأولادى وأنا الآن على
وشك الطلاق ولا اعرف كيف سأعيش فهل عندك حل لى ؟

□ ولكاتبه هذه الرسالة أقول : عنده سبحانه وتعالى كل الحلول . .
فتفضلى بزيارتى مساء الاثنين القادم . . لعل الله يدبر لك من أمرك
رشدا . . أو يعينك على حياتك مع هذا « الخائب » الذى يعمل يوما
ويتنطع عشرة ويرحب بأن تنفق عليه أمه . . أو بأن تعمل زوجته نيابة عنه
ولايعمل إلا مضطرا وبعد أن يستنفد كل الوسائل للتهرب من العمل وما
أكثر أمثاله فى مجتمعنا . . وما أشد نكبته بهم ، وليس العجب فقط فى أن
تكون هذه هى شخصياتهم الاعتمادية الكسولة . . وإنما العجب كل
العجب فى أنهم يجدون - رغم ذلك - من يرحبون بهم أزواجا وأصهارا لكنى
يتحفونا بالمزيد والمزيد من الأفواه التى تزيد حياتنا صعوبة وزحاما لأنهم
يكرهون العمل والكفاح . . ولايكرهون الانجاب !

الانقلاب !

كنت وحيدة أبى وأمى ثم توفيت والدتى رجعها الله ، وتزوج أبى من سيدة فاضلة وأصبحت نعم الأم والصديقة لى منذ دخلت حياتنا واعتدت ان اناديا بها ما منذ زواجها بأبى ، ثم التحقت بالجامعة وخلال عامى الأولى بها تعرفت بشاب يحمل مؤهلا متوسطا واحبته لدمائه خلقه وطباعه الهادئة وخوفه الشديد على . وقررنا ان نتزوج فعارضنا الجميع وعارضتنى زوجة أبى بشدة وراحت تذكرنى بفارق التعليم وفارق الوضع الاجتماعى لأنى من عائلة معروفة عريقة وهو من عائلة كافحت حتى أصبحت تملك عقارا ومحلا تجاريا يعمل به فتاى مع أبيه وأخوته كما عارضت أسرته زواجنا ايضا بكل الطرق بدعوى أنى لست من عالمهم . . وسوف « أخربه » ماليا وسوف يضطر لانفاق الكثير علىّ لأنى أرتدى الملابس الغالية واركب سيارة خاصة أما أبى فقد عارض طويلا ثم يش منى وقال لى فى النهاية : إنه اختيارك فافعل ماتشائين لكنى لن استمع لشكواك إذا شكوت من حياتك ذات يوم وهكذا تزوجنا رغم معارضة الجميع .

وليت أبى ياسيدى ضربنى وحبسنى ومنعنى بالقوة من الخروج على أراذله . . وليتنى سمعت نصيحة زوجة أبى التى اخلصت لى النصيح فكانت عمياء لا أرى ولا اسمع سوى صوت الحب ، فلقد حاربنى أهله

منذ اليوم الأول لزواجي ولم يتقبلوني ابدا بينهم مع اني اقيم معهم في نفس العمارة . ولقد عملت كخادمة لأمه ولأخواته البنات حتى ترضى عني أم زوجي ولكن بلا فائدة . ثم بدأوا يوسوسون له فانقلب بعد ثلاثة شهور فقط إلى شخص آخر غير الشخص الذى احببته وتزوجته وبعد فترة قصيرة طلب منى صراحة ان اطلب من ابي مساعدة شهرية لى حتى يرضى هو عني ويواجه نفقات حياتنا وبرر ذلك متسائلا ألم يكن يتفق عليك وأنت في بيته ؟ ثم بدأ يسحب منى مصوغاتى الذهبية قطعة وراء قطعة بشتى الحجج الواهية ويبيعها واعطيه ما يريد حتى « لا أسود عيشتى » بيدي واتظاهر بان ذلك باختيارى . . . والآن ياسيدى يطالبنى بميراثى من والدتى الذى يحتفظ به ابي تحت يده واعطانى مهلة محددة بعدها إما الميراث . . . وإما الطلاق ، ولا أعرف كيف اتصرف ولا ماذا افعل فاعطينى المشورة قبل فوات الأوان وشكرا لك .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : أرجو ياسيدتى في البداية ألا تكون رسالتك هذه « حيلة » متفق عليها بينك وبين زوجك لإحراج أبيك وإبلاغه برغبتكما المشتركة في استخلاص ميراثك عن أمك بطريقة ترفع عنك الحرج معه وتضع أباك أمام الاختيار الصعب بين سعادتك وبين ميراثك ؟

ولأننى افترض دائما حسن النية فيمن يطلب مشورتى إلى ان تثبت الدلائل العكس فانى أقول لك في البداية ان ميراثك عن أمك هو حق مشروع لك ولن يمنعه أبوك عنك للنهاية لكنه فيما اتصور يتربح الوقت الذى يستشعر فيه انه لو سلمه إليك لن يتبدد ويتسرب في الهواء خلال

فترة قصيرة كما تتبدد وتسرب الآن مصوغاتك الذهبية ، فهو إذن لا يجنبه
عنك وإنما يحفظه لك من عبث العابثين إلى ان يطمئن قلبه إلى ان أحداً لن
يسلبه منك فتفقدى سنداً يمكن ان تعتمدى عليه في المستقبل واتصور ان
لأبيك بعض العذر في ذلك بعد ان اثبتت تجربتك انك لست ممن يتقبلون
النصيحة في الوقت المناسب حتى وان غنوا بعد ذلك لو كان الناصحون قد
ارغموهم بالقوة على قبول مافضوه من قبل من نصائحهم وهذه للأسف
سمة نفسية من سمات الأشخاص ضعيفى الإحساس بالمسئولية ، أن
يبحثوا دائماً عن أسباب خارجية لفشلهم الخاص وعنادهم ورفضهم نداء
العقل ونصح الناصحين حين كان من الممكن انقاذهم من المهالك ،
ويمضون إلى الهاوية كأنهم مساقون إليها باقدار أقوى منهم . . ثم يدفعون
الثلث . . ويندمون . . فإن تنازلوا ولاموا أنفسهم بعض اللوم بعد ذلك
فإن لومهم للآخرين الذين لم يمنعوهم بالقوة من السير إلى الهاوية بعناد
أعمى . . يكون في أعماقهم أشد ا كأنها يلتمسون بذلك لأنفسهم بعض
العذر فيما فعلوا ولا يلتمسونه بنفس القدر لمن اكتفوا بالنصح ثم يتسوا
منهم ، مع أنهم يعرفون عن أنفسهم جيداً انه لو أرغمهم الآخرون بالفعل
على قبول مافضوه لما اجدى معهم الارغام شيئاً ولما زادهم إلا عناداً
واصراراً .

على أية حال ياسيدتى فإن الكتاب يقرأ من عنوانه . وعنوان كتابك
وصفحات فصوله الأولى كلها لاتنبئ باحتمالات قوية لنجاح حياتك
الزوجية واستقرارها ، ليس فقط بسبب « الانقلاب » التقليدى الذى
تشهده شخصية الزوج أو الزوجة بعد فترة قصيرة من الزواج وزوال غشاوة

الحب التى اخفت الحقائق الواضحة تماما للآخرين من البداية ، وإنما لأن مطالبات زوجك المادية لك ليست مما يوحى بالثقة فى شخصيته وفى صدق حبه لك وصدق إحساسه بالمسئولية الكاملة عنك .

أما وضعه لك أمام الاختيار النهائى بين الميراث . . وبين الطلاق ، فهو ينسف كل مبررات هذا الزواج الذى لم يكن له من أساس سوى الحب ورغبة كل طرف منكما فى ان يعيش حياته إلى جوار الآخر ، ذلك ان من يعرف الحب الحقيقى يأسىدى لا يضيع من يحب امام هذا الاختيار الرخيص ابدا ولا تعدل كنوز الدنيا عنده جوار من يحب أو قربه . لهذا فإن نصيحتى لك ان كنت قد تعلمت حقا قبول النصائح هو ان تخيريه أنت بينك بلا ميراث وبلا حديث عنه أو عن المساعدة المالية من أبيك . . وبين الطلاق ، فإن اختارك أنت فلقد اثبت جدارته بك وبحبك ولسوف يغرى ذلك اباك على ان يسلمك فى الوقت المناسب ميراثك بعد اتخاذه الضمانات الكافية لعدم تبديده ، وإن اختار الفراق فمحسنا بفعل لأن الطلاق الآن قبل انجاب الأطفال أفضل منه غدا أو بعد غد وشكرا . .

الظلال الوارفة

أثارت شجونى رسالة « الحلم الغامض » للسيدة التى حرمت من الانجاب وتفكر فى رعاية وليد يتيم لكن زوجها يعترض على ذلك ، فلقد عانيت من قبل مثل معاناتها لكنى واجهتها بطريق آخر أرجو أن أضع تجربتى معه أمام هذه السيدة المعذبة . . فلقد تزوجت منذ ٢٧ سنة وعشت حياة سعيدة هادئة مع زوج محب فاضل ، وعانيت من الحرمان من الأمومة ونخضت رحلة العلاج بكل آمالها المحبطة وآلامها ٧ سنوات كاملة ثم كففت عن المحاولة وسلمت أمرى لله ، وفكرت فى أن أشبع أمومتى المكتومة عن طريق رعاية طفل من أطفال دور الرعاية الذين حرّموا بغير جريمة من حنان الأسرة ووصموا بعار لا ذنب لهم فيه ، وكان كل أملى أن أهب أحدهم بعضاً من الحنان الدافق الذى ينوء بحمله قلبى ولا يجد من يتلقاه . . وإن يتردد فى بيتى الصامت ذلك الصوت العذب الذى انتظرت طويلاً وهو يضحك ويبكي ويصرخ ويطلب ويأمر ويرجو ، وهكذا اخترت فعلاً طفلاً أحسّ به قلبى ، وانقلب سكون بيتى إلى حياة وصخب وتعمق الحب والود والتعاطف بينى وبين زوجى أكثر وأكثر ، وصمدنا للتحدى أمام ضغوط الأهل والأصدقاء الذين رفضوا الفكرة وحاولوا إثناءنا

عنها . . وبعد ٤ سنوات من الصمود قررنا ان نرد على هذا الضغط ردا
عمليا هو ان نرعى طفلا آخر ليكون أخا للطفل الأول ، واخترتنا طفلا
جديدا اكتشفه قلبي من بين عشرات من أمثاله وانضم إلى بيتنا وأصبحنا
اسرة صغيرة سعيدة متحابه من ٤ أفراد تشغلنا هموم لذيدة جديدة كمواعيد
التقديم للمدرسة . . والواجبات المنزلية . . وامتحان الشهر وملابس
المدرسة . . وملابس الصيف والشتاء . . واختفى الصمت والسكون من
بيتنا ، ورفرفت طيور السعادة عليه دائما والحمد لله ، والآن وأنا أجلس
لأكتب إليك هذه الرسالة أصبح ابني الأكبر طالبا في كلية الهندسة وابني
الأصغر طالبا في الثانوية العامة وربما تكون نتيجته قد ظهرت قبل ان تصل
إليك هذه الرسالة وسوف يكون من الناجحين بإذن الله لأنه يجتهد
ومتفوق ، وكلاهما والحمد لله مهذب ومتدين ، أما اختلاف اسم الأب في
بطاقتيهما عن اسم ابيهما العظيم زوجي فهو أمر ثانوي ولا يلاحظه أحد . .
أما هما فلا يعرفان هما أبا ولا أما سوانا ويملاكان علينا الدنيا بهجة وسعادة
وأحمد الله ان هداى إلى هذه الفكرة وعرضنى بها عن حرمانى من الانجاب
. . واشكر زوجى الحبيب كل يوم أن وافق عليها وساعدنى على اجتياز
محنة الحرمان من الانجاب ، وأناشد زوج هذه السيدة المحرومة ألا يقف
ضد رغبتها في رعاية طفل صغير تفرغ فيه أمومتها الحبيسة وأن يتأكد أن
ذلك سوف يكون بشيرا له بالخير والسعادة لأنه سيحمى طفلا محروما من
غوائل الدنيا وسيوفر له سبل الحياة الكريمة السليمة التى تقدمه للمجتمع
عضوا نافعا بدلا من أن ينتظره الضياع والفساد . . وشكرا .
□ ولكاتبه هذه الرسالة أقول : من لا ظلَّ له يستظل به الآخرون لا تعنى

حياته أحدا غيره ، فحياة المرء تكتسب قيمتها مما تمثله للأخريين من خير ونفع وأمل مرجو . لهذا قال أحد الفلاسفة الرواقيين « إن الموت هو المصيبة الوحيدة التى لا تمنسنا . . ففى حياتنا لاموت ، وحين يمضى لا تكون حياة » يقصد أنها لا تمنسنا نحن لكنها تمس من تمثل حياتنا قيمة ورجاء بالنسبة لهم ، وكلما اتسعت دائرة من يمسهـم غياب الإنسان عن الحياة ارتفعت قيمة حياته وسما معناها .

وأنت يا سيدتى قد اخترت أن يكون لحياتك معنى أكثر مما تمثله لزوجك وأهلك فمددت ظلالك الوارفة على طفلين محرومين وسخوت عليهما بحنانك وعطفك وجميل رعايتك . . وقدمت للحياة إضافة جديدة تسهم فى ترقيتها . لا غرابة إذن فى أن تحسى الرضا عن نفسك وفى أن تغرد طيور الحب فى بيتك الصغير ، ولا عجب فى أن تستشعرى السعادة فى كل شىء حتى فى هموم الأبناء التى قد يضيق بها آخرون ، لأن النفس المحبة للحياة وللأخريين تتلمس السعادة فى أوهى الأشياء وتتذوقها وتستطيب مذاقها ، والنفس المحبة لذاتها وحدها يصعب عليها أن تتذوق الجمال والسعادة حتى فى أئمن الأشياء وأكثرها قيمة . . فشكراً لك على عطائك . . وشكراً لك على ندائك الإنسانى لزوج كاتبة رسالة « الحلم الغامض » وأرجو أن يتفكر فيه طويلا .

ظلال السنين

أنا سيدة متدينة وعلى خلق والحمد لله ويقولون دائما إننى على قدر كبير من الجمال والمرح ، وقد توفى أبواى وأنا فى العشرين من عمري وتزوجت من رجل يشغل مركزا مرموقا وعملت بالتدريس وكأى فتاة اقبلت على حياتى الزوجية وكلى رغبة فى السعادة والاستقرار والإحساس بالأمان ، خاصة بعد أن أصبحت يتيمة الأبوين ، لكننى ومنذ شهورى الأولى فى الزواج بدأت معاناتى مع زوجى واحتمالى لقسوته وإهاناته ، وبعد ان أنجبت الأبناء ذقت معه كل ألوان العذاب وأشكاله ، فهو سليط اللسان ويتفوه بالفاظ قلدة أمام الجيران وأمام الجميع . . وكان يقف فى شرفة البيت ويطلب من ابنى الطفل أن ينادينى قائلا له بصوت مرتفع يسمعه كل الجيران : ناد الحيوانة التى بالداخل ا . . فيجيتنى ابنى وهو يرتجف ، وأخرج إليه صاغرة ليحاسبنى فى الشرفة حساب الملكين بأقذر لغة وبأعلى صوت ممكن ، هذا عدا السباب طوال اليوم بمناسبة وبلا مناسبة ، وإيذاءنا أنا وأولادى بالضرب المبرح . . وتقطع ملابسى أمام عينى وقذفنا لأى سبب تافه بأى شئ تصل إليه يده كالمكواة أو المنبه أو الحذاء . . وأنا ضعيفة الجسم والصحة ولاسند لى فى الحياة يدافع عنى أو يغضب لى ، وهو قوى البنية ومغتر فلا أملك إلا البكاء والتضرع إلى الله والاحتساب عنده ، وتذكير نفسى فى كل حين بأن الله يمهمل لا يهمل ولايمكن أن

يتركنى للنهائة تحت رحمة من لا يرحم ضعفى وقلة حيلتى وانكسارى معه على طول الخط فضلا عن انانيته وتفضيله لنفسه على أولاده فى المصروف والطعام ، حتى ساءت صحتى تماما وازداد هزالى ونقص وزنى إلى ٥١ كيلوجراما فقط وكل ذلك وهو يتهادى فى ظلمه لنا . . . وازداد سوءا بعد احواله للتقاعد من وظيفته المرموقة .

وفجأة ياسيدى مرض زوجى وانهار هذا الجبل بلامقدمات وحرار الأطباء فى مرضه ثلاث سنوات لم أقصر فى أداء واجبى فى خدمته خلالها ، ثم توفاه الله بعد أن أثقلتنا الديون ولم يترك لى سوى المعاش وأبنائى الثلاثة الذين شاركونى أنعس الأيام وأسوأ الذكريات . . فنهضت لتحمل مسئوليتى وقمت بسداد جميع الديون والحمد لله والشكر له ، ثم قمت بتغيير أثاث المنزل كله وإعادة طلاء الشقة كلها وإعادة تنجيد حجرة النوم والصالون ، كأننا أريد أن أغير المناخ التيس الذى عشت فيه وأهدرت فيه أحلى سنوات العمر من العشرين حتى بلغت مشارف الخمسين ، وبدأت استعيد صحتى حتى بلغ وزنى ٧١ كيلوجراما والحمد لله . . وتفرغت لرعاية أبنائى وتعويضهم ما حُرّموا وحرمت منه من الحنان والفهم والرعاية خلال سنوات الطفوليان ، فتخرج الأكبر وعمل باحدى الشركات وخطب فتاة جميلة طيبة تعمل بوظيفة مرموقة وسعدنا بخطبته وسعد بها ، وتخرج الآخر ويستعد الآن للسفر للخارج وسوف أرسل له بالعروس التى يختارها فى أى مكان يحلّ به وتحفظه فيه رعاية الله وفضله .

أما أصغر الأبناء الذى تكرر رسوبه فى الاعدادية بسبب ما عاناه معنا . . فلقد نجح والحمد لله والتحق بالتعليم المتوسط ويواصل النجاح فيه بلا تعثر .

ثم أحسست ذات يوم ببعض الألم في عيني وشخصه الطبيب بأنه ضغط بالعين ووصف لي الدواء ، فعالجت نفسي . . لكنني طلبت من الله ان أغسل وجهي بماء زمزم . . فلماذا به يستجيب لدعائي وقمت بأداء العمرة وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتوضأت وغسلت عيني بماء زمزم وتحسنت صحتي كثيرا والحمد لله ولم يعد ينقصني سوى أداء فريضة الحج ، وسوف أؤديها بأمر الله الذي عوضني عن أجل سنوات العمر التي ضاعت في العذاب والحمران والاهانة أمام الناس وأكرمني بفضله العظيم بعد العناء . وأريد أن أقول لكل من يفتقر بقوته وصحته أو مركزه أو ماله . . انه لاشيء يدوم وكل شيء إلى زوال ولا يبقى سوى المعاملة الطيبة بين الناس فلا تضيعوا سنوات العمر في تعذيب الآخرين وإتعاسهم حتى لا يحملوا لكم أسوأ الذكريات ، وحتى لا تتعرضوا لعقاب الله الذي يمهل حقا . . . ولا يهمل أبدا . .

والسلام عليكم ورحمة الله .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : هناك ثمن يدفعه الناس دائما لأفعالهم ، ولا بد أن يحلَّ أجل السداد ذات يوم فإن لم يحل في الدنيا تأجل إلى الآخرة وتضاعفت فاتورته وأضيف إليها سوء الذكرى ولعنة التذكر ، وبالرغم من ان الحياة السعيدة تتطلب دائما ذاكرة ضعيفة تسقط منها إساءات الغير لنا لكي تستقيم لنا الحياة ونستمتع بسلام النفس إلا أنه في بعض الأحيان قد يعجز الإنسان عن النسيان حتى لأنصور أحيانا أنه لا السيئة تنسى لصاحبها بعد حين ولا العمل الطيب ينسى أيضا لصاحبه وان بدا للعيان عكس ذلك . كأننا نقول مع الأديب الفرنسي جوستاف فلوبيير أنه « بيننا يواصل جسدي رحلته إلى الأمام . . فإن أفكاري لا تفتأ تلتفت إلى الخلف

وتعود إلى الأيام الماضية « أو كأننا نمشي إلى الأمام وأفكارنا تمشي في الطريق العكسي إلى أيامنا الماضية . . فإن كانت سعيدة فإلى ذكريات سعادتنا . . وإن كانت شقية فإلى ذكريات التعاسة والشقاء ورغم سطوة الماضي على الإنسان فإنه ليس من العدل أن نسمح لما شقينا به في أيامنا الماضية بأن يفسد علينا ما تبقى لنا من رشفات الحياة ، ولابد ان ينتزع الإنسان نفسه من مراراته وعذاباته القديمة ويمضي إلى الأمام بقلب يخفق بالأمل في رحمة ربه .

وأنت ياسيدي قد فعلت كل ما أملاه عليك واجبك كزوجة وأم اختارت أبناءها وقاسمتهم ظروفهم وحياتهم وصبرت على ما تكرهين حتى زالت أسباب الشقاء ووصل ابنائك إلى بر الأمان وتفتحت السبل أمامهم ، واستعدت أنت رونقك وصحتك وسعدت بأبنائك وسعدوا بك ، فأمسحى ظلال هذا الماضي التemis عن كتفك . . ولا تعيش أسيرة للذكريات المريرة ولا تُنقصى من أجر الصابرين الذين يوفيههم الله أجرهم بغير حساب بذكر زوجك بسوء أمام الغير وبالذات مع أبنائك . . بل ولا تطلبى له من ربه إلا الرحمة والمغفرة وألا يكون ممن « لم يتركوا الذنوب . . حتى تركتهم الذنوب » أى حتى عجزوا عن أن يقرؤوا المزيد منها .

وجددى حياتك وعلاقاتك العائلية والاجتماعية كما جددت بيتك لكى يشغلك ذلك عن إجتراح الأحران ، أما نداؤك الأخير فمما يستحق فعلا ان يتأمله كل إنسان رجلا كان أم امرأة ويتفكر فيه طويلا ويعمل به . . لكيلا يغير بشيء من متاع الغرور ولكى يصنع لنفسه بعد موته ذكراها ولكى يعرف جيدا أن ذاكرة الأفراد كذاكرة الشعوب قد تنسى كل شيء وأى شيء . . لكنها لا تنسى أبدا من قهرها وأذلها . . ولا تغفر له ذلك وإن طال المدى !

القرار!

أكتب إليك للمرة الثالثة خلال فترة قصيرة . . فأنا ياسيدى الطيب الشاب الذى نشرت رسالته منذ فترة قصيرة بعنوان اللحظة القاسية ، والذى روى لك فيها إنه كان متزوجا ويعيش فى سعادة مع زوجته وأطفاله إلى ان توفى صهرى وذهبت زوجتى للاقامة مع أمها لفترة بعد الوفاة - فطالت اقامتها معها ودعوتها للعودة إلى بيتها أكثر من مرة فرفضت إلا إذا كتبت لها جزءا من مالى تأمينا لمستقبلها ورويت لك انى فوجئت بهذا الموقف منها . . ورفضت الاستجابة لشروطها وتم الطلاق وتهدم العش السعيد الذى لم يشهد اية أزمة قبل تلك اللحظة القاسية ، ثم تحملت الصدمة وواصلت حياتى إلى ان وضع الله فى طريقى سيدة فاضلة تزوجتها وسافرت معها إلى احدى الدول العربية وعشت معها فى سلام وسعادة وانجبنا طفلة جميلة . . ثم فوجئت منذ فترة قصيرة برسالة من زوجتى الأولى تنبئنى فيها أن أمها قد توفيت وانها قد ادركت خطأها فى حقى وحق ابنائها وندمت على هدمها لأسرتنا . . وتعرض على ان اعيدها إلى عصمتى مع استمرار زواجى بزوجتى الثانية حرصا على صالح ابنائنا الذين لاذنب لهم فى وقوعها تحت تأثير أمها .

وقد كتبت إليك فى رسالتى الأولى عن حيرتى ازاء هذا الموقف . .

وتعود إلى الأيام الماضية « أو كأننا نمشي إلى الأمام وأفكارنا تمشي في الطريق العكسي إلى أيامنا الماضية . . فإن كانت سعيدة فإلى ذكريات سعادتنا . . وإن كانت شقية فإلى ذكريات التعاسة والشقاء ورغم سطوة الماضي على الإنسان فإنه ليس من العدل أن نسمح لما شقينا به في أيامنا الماضية بأن يفسد علينا ما تبقى لنا من رشقات الحياة ، ولابد أن ينتزع الإنسان نفسه من مراراته وعذاباته القديمة ويمضي إلى الأمام بقلب يخفق بالأمل في رحمة ربه .

وأنت ياسيدتي قد فعلت كل ما أملاه عليك واجبك كزوجة وأم اختارت أبناءها وقاسمتهم ظروفهم وحياتهم وصبرت على ما تكرهين حتى زالت أسباب الشقاء ووصل ابنائك إلى بر الأمان وتفتحت السبل أمامهم ، واستعدت أنت رونقك وصحتك وسعدت بأبنائك وسعدوا بك ، فأمسحي ظلال هذا الماضي التعيس عن كتفك . . ولا تعيشي أسيرة لذكرياته المريرة ولا تُنقصي من أجر الصابرين الذين يوفيهم الله أجرهم بغير حساب بذكر زوجك بسوء أمام الغير وبالذات مع أبنائك . . بل ولا تطلبي له من ربه إلا الرحمة والمغفرة وألا يكون ممن « لم يتركوا الذنوب . . حتى تركتهم الذنوب » أي حتى عجزوا عن أن يقترفوا المزيد منها .

وجددى حياتك وعلاقاتك العائلية والاجتماعية كما جددت بيتك لكي يشغلك ذلك عن إجتراح الأحزان ، أما نداءك الأخير فمما يستحق فعلا أن يتأمله كل إنسان رجلا كان أم امرأة ويتفكر فيه طويلا ويعمل به . . لكيلا يغتر بشيء من متاع الغرور ولكي يصنع لنفسه بعد موته ذكراها ولكي يعرف جيدا أن ذاكرة الأفراد كذاكرة الشعوب قد تنسى كل شيء وأي شيء . . لكنها لا تنسى أبدا من قهرها وأذلها . . ولا تغفر له ذلك وإن طال المدى !

بالمشكلة وحللتها من كل جوانبها . . وأما العتاب فلأنك كما تقول زوجتى قد ألقيت بالعبء كله على ضميرها هى وحدها فى ان تجمع بين اب وابنائها وزوجته الأولى . . أو تفرق بينهم جميعا وهى مسئولى ثقيلة محتاجة إلى تحكيم الدين ومراعاة الله فيها وانتهى الحديث عند هذا الحد . . وعشنا حياتنا العادية . . ولم اشعر بأى تغير من ناحية زوجتى ولا أى تقصير فى اداء واجباتها كزوجة وأم .

وبعد فترة مناسبة من التفكير فى الموضوع اببلغتى زوجتى بقرارها ، وأحب ان اعرضه عليك بكلماتها هى لقد قالت لى زوجتى وهى كما قلت فى رسالتى الأولى ، خريجة كلية علمية عملية وحاصلة على أعلى الدرجات وتعمل :

إن طاعة الزوج فرض على كل زوجة فيما لامعصية فيه الله . وإن طاعة الزوجة لزوجها مقدمة على طاعتها لأهلها وانها من أسباب كل زوجة للتوسل إلى نيل رضا ربها ودخول جنته ، وإن الله قد أحل للرجل ان يتزوج من أكثر من زوجة لضرورات معينة فى صالح البشرية بشرط ان يعدل بينهم ، وبناء على ذلك فهى تقبل ان أعيد إلى عصمتى زوجتى الأولى مراعاة لصالح ابنائى منها ، وواقعة من انى سوف أعدل بينهما ، ومؤمنة بان طاعتى فى هذا الأمر والصبر عليه مع الالتزام بالقيام بواجباتها نحوى ونحو بيتها واسرتها يقربها من ربها وينيلها جائزته فى الدنيا وفى الآخرة . هذا هو ياسيدى قرار زوجتى فى المشكلة التى حيرتنى عدة أسابيع وشغلت ليلى ونهارى .

وقد سمعتها تردد هذه الكلمات . . وأنا لا اصدق نفسى . .

أسألك المشورة في أمرى فاجبتنى بأنى في موقف محير فعلا . . وانه من المواقف القليلة في الحياة التى يستوى فيها الخطأ مع الصواب على نفس الدرجة تقريبا لأنى إن اعدت زوجتى الأولى حرصا على مستقبل ابنائى منها عرّضت حياتى الجديدة للخطر بعد ان استقرت واثمرت ثمارها وازهرت طفلة جميلة . . وان رفضت اعادتها اضررت بصالح أبنائى منها . . وبالتالي فلا لوم علىّ ان قبلت عودتها أو رفضتها ثم انتهيت إلى رأى محدد هو ان أعرض الأمر كله على زوجتى الحالية قبل اتخاذ أى قرار . . فإن قبلت عودتها لك كان ذلك فضلا منها وكروما وتغليا لمصلحة ابنائك من الأخرى على اعتباراتها الشخصية . . وان رفضت فلا لوم عليها . . ونصحتنى في هذه الحالة بأن اتمسك بها وان اعتذر للأولى حرصا عليها وهى من حققت لى السعادة والأمان وحرصا على مصلحة طفلتى منها .

وبعد نشر هذه الرسالة كتبت إليك رسالة شخصية ابلغتك فيها انى سأعمل بمشورتك التى انقذتنى فعلا من حيرتى - لكنى سأنتظر الوقت الملائم لمفاتحة زوجتى فى الأمر ، وكنت قد اخفيت عنها الصحيفة التى نشرت بها المشكلة ثم انتظرت حتى جاءت اللحظة المناسبة . . فاخرجت الصحيفة من مخبئها وقدمتها لها واخبرتها بالموضوع كله وطلبت منها ان تقرأ ردك على المشكلة . وقرأت زوجتى المشكلة . . وطلبت منها ألا تتسرع فى ابداء رأيا وان تفكر فى الأمر بروية ثم تصارحنى بعد ذلك بما يدور داخلها . . . واكدت لها انى سألتزم بقرارها فى هذا الموضوع بلا غضاضة . فأطرقت زوجتى قليلا ثم قالت لى أنها معجبة بصراحتى معها فى هذا الأمر . . وأنها تحمل لك شكرا وعتابا . . . أما الشكر فلأنك اهتممت

بالمشكلة وحللتها من كل جوانبها . . وأما العتاب فلأنك كما تقول زوجتى قد ألقيت بالعبء كله على ضميرها هى وحدها فى ان تجمع بين اب وابنته وزوجته الأولى . . أو تفرق بينهم جميعا وهى مسئولة ثقيلة محتاجة إلى تحكيم الدين ومراعاة الله فيها وانتهى الحديث عند هذا الحد . . وعشنا حياتنا العادية . . ولم اشعر بأى تغير من ناحية زوجتى ولا أى تقصير فى اداء واجباتها كزوجة وأم .

وبعد فترة مناسبة من التفكير فى الموضوع ابلغتنى زوجتى بقرارها ، واحب ان اعرضه عليك بكللماتها هى لقد قالت لى زوجتى وهى كما قلت فى رسالتى الأولى ، خريجة كلية علمية عملية وحاصلة على أعلى الدرجات وتعمل :

إن طاعة الزوج فرض على كل زوجة فيما لامعصية فيه الله . وإن طاعة الزوجة لزوجها مقدمة على طاعتها لأهلها وانها من أسباب كل زوجة للتوسل إلى نيل رضا ربها ودخول جنته ، وإن الله قد أحل للرجل ان يتزوج من أكثر من زوجة لضرورات معينة فى صالح البشرية بشرط ان يعدل بينهم ، وبناء على ذلك فهم تقبل ان أعيد إلى عصمتى زوجتى الأولى مراعاة لصالح ابنائى منها ، وواقفة من انى سوف أعدل بينهما ، ومؤمنة بان طاعتى فى هذا الأمر والصبر عليه مع الالتزام بالقيام بواجباتها نحوى ونحو بيتها واسرتها يقر بها من ربها وينيلها جائزته فى الدنيا وفى الآخرة . هذا هو ياسيدى قرار زوجتى فى المشكلة التى حيرتنى عدة أسابيع وشغلت ليل ونهارى .

وقد سمعتها تردد هذه الكلمات . . وأنا لا اصدق نفسى . .

ثم طلبت انا منها مهلة لأبلغها بقرارى بعد ان عرفت قرارها .
وفكرت فى الأمر أياما وأياما . . وبعد تفكير طويل انتهيت إلى قرار قد
يبدو مفاجئا لك . . وهو أنى لن أستطيع ان أعيد مطلقتنى إلى عصمتى
. . لأنى كلما فكرت فى الأمر تذكرت اساءتها لى وهدمها لعشنا وتمزيقها
لأبنائنا . . بلا أى مبرر ، وبالتالى فىانى لو اعدتها فلن أستطيع ان اعدل
بينها وبين زوجتى الثانية وسأظلمها واظلم نفسى . . وإبوء بغضب ربى
لأنى لم اعدل معها .

وهكذا قررت ألا أعيد مطلقتى . . وأبلغت زوجتى بذلك ، وسوف
أبلغ مطلقتى به خلال أيام . . ورأيت ان اكتب لك بقرارى لكى تعرف
ماتم فى امرى ولكى تنصح كل زوجة بان تحافظ على زوجها واسرتها
وأولادها قبل فوات الأوان . . وان تخلص فى طاعة الله فلا تعرض أولادها
لمثل هذه المحنة ثم تندم على ما فعلت حين لاينفع الندم . . كما ارجو ان
تنصح ايضا كل أم الا تتدخل بسوء فى حياة ابنتها مع زوجها . . وألا
تكون عوناً للشيطان على هدم بيت ابنتها وتشريد أطفالها كما فعلت معى
حاتى . . ساعها الله وعفا عنها . . وشكرا لك والسلام . .

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : قدّر الله وكما شاء فعل . لقد قلت لك
من قبل ان أى قرار تتخذه فى هذا الأمر . . فسوف تكون له مبرراته
وأسبابه المقبولة . . ولقد كنت تستطيع ان تكون إنسانا متسامحا ومضحيا
من اجل ابنائك من مطلقتك بصفحك عنها وإعادتك لشملمهم بين
جناحيكما بعد ان أذنت لك زوجتك العظيمة بذلك . . لكنى لا أستطيع
ان ألومك ان لم تفعل فليس كل إنسان بقادر على نسيان الاساءة خاصة إذا

جاءته ممن لم يقدم لهم سوى الحب والوفاء والاخلاص . . أو جاءته ممن كان يعتبرهم ظهراءه في الحياة وسنده فيها . . أو إذا ترتب عليها هدم أسرة وتشريد أبناء ابرياء لسبب دنيوى حقير كذلك السبب .

لهذا قلت لك فى ردى عليك : استفت قلبك أولا وبعد ان تطرح الأمر على زوجتك فإن افتاك بقدرتك على الصفح كان خيرا وإبقى . . وإن افتاك بغيره فلا تشرب عليك . . وفى كلا الحالين فلقد رُدَّ إليك هذا الاختيار اعتبارك بعد الا ساءة التى لحقت بك من زوجتك الأولى ، وزادك معرفة بجوهر زوجتك الحالية الأصيل واستمتعتنا نحن بقراءة كلماتها الجميلة المعبرة عن فهم راقٍ للحقوق الزوجية والواجبات الدينية وثقل الأمانة على الضمير الحى .

فعسى ان تستفيد بكلماتها كثيرات . . وعسى ان تستفيد وتستفيد بعبرة رسالتك كثيرون ممن يندفعون وراء أهوائهم بلا روية ويهدمون معابدهم ويشردون أبناءهم . . ثم لا يستبينون الرشد إلا ضحى الغد !

الأخطبوط !

لا أريد أن أطيل عليك وأروى لك قصتي أو تعاستي من البداية لكنني سأكتفي بأن أتحدث لك عن حالي الآن وهو الأهم ولا أريد منك ردا عاقلا فقط وإنما أريد ردا بالعقل والاحساس معا بعد أن تتغلغل إلى أحاسيسي وشعوري . . فلقد فقدت من ألتمس عنده النصيحة التي تنفعني لأخترتي فأنا سيدة عمرى ٢٥ سنة ومتزوجة من ٣ سنوات ولا أطيق زوجى بل أكرهه كراهية شديدة ولا احترامه على الإطلاق وفي أى وقت يمكن أن أتفوه بأى كلام ضده وأرجو الا تتعجل فى الحكم علىّ فهو الذى أوصلنى إلى هذه الحالة وهو الذى علمنى كيف اشتهم وكيف يحجن جنونى مثله بل وكيف أكون غير آدمية ، فقد كنت مثل أى فتاة أريد لنفسى الزواج والهناء والراحة لكنه علمنى كيف أكره حياتى وأكرهه . . فهو يخطئ فى حقى مرارا وتكرارا وكلما ضايقنى ويجرحنى ويهدلنى ويحجن جنونى وغضبت طلبت الطلاق يتحول إلى أخطبوط يحيط بى من كل الجهات ويتفانى فى رضائى واذلال نفسه لى حتى أَرْضى . . وأنا لا أريد ان أذل أحداً لكننى أريده فقط إلا يخطئ فى حقى من البداية . . وأقول له دائما ان أهم شيء فى الزواج هو الاحترام وانه إن ضاع ضاع كل شيء . . ولكن هيهات فهو دائم الاهانة والشتائم لى حتى توصلت إلى أسلوب جديد للتعامل معه هو

ان أهينه أنا بصفة مستمرة لكي أمتنع عن نفسى شتائمه وإهاناته لأنى حين أكون فى هذه الحالة الجنونية يتوقف عن اهانتى وسبابى ثم اذكر ربى واهداً فيعود إلى العجرفة وطول اللسان من جديد فماذا افعل ؟ ان الحل الطبيعى هو الانفصال لكنه يرفض ان يطلقنى . . فهل أظل معتصمة ببيت أبى الذى لا يرى فيه شيئاً مما اشكو منه لأنه أمام اسرتى رقيق مهذب أم أظل اعامله بنفس الطريقة لأحجب شتائمه عنى ، بالرغم من الحديث الشريف الذى يقول لا تؤذين امرأة زوجها فى الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك إلينا ، أو بالرغم من الحديث الشريف الذى يقول مامعناه ان الله لا ينظر إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه ، والحديث الذى يقول ما معناه ايها امرأة طلبت من زوجها الطلاق من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة .

اننى اقسم لك ياسيدى انه لو كان رضاى بزوجه وطاعته له حتى فى غير حق له هو الطريق السليم إلى الله لاخترت الرضا به وطاعته لأنى أخاف ربى خوفاً شديداً ولكنى أريد الصواب . . فهل الصواب هو أن اعاشر زوجاً لايعرف ماذا يريد ولا توجد عنده كرامة ويرفض أن يطلقنى ويرفض أن يحسن معاملتى ويربحنى فى حياتى ؟ وإلى متى سيظل قانون الأحوال الشخصية كما هو لايعطى المرأة حق الطلاق إلا بعد عذاب وهوان مما يتنافى مع الدين . . هل ينتظرون ان تقتل كل الزوجات الملعوبات أزواجهن ؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : الحق والواجب متلازمان دائماً يا سيدتى ولاينفصلان وأول حقوق كل طرف من أطراف العلاقة الزوجية يرتبط

بواجب مساو له بالضبط وهو حسن معاشرة كل شريك لشريكه .
ومن حسن المعاشرة تبادل الزوجين احترام كل منهما للآخر وتُعد كل
منهما عما يمس شخص شريكه ومشاعره . . . والاقتراب من كل ما يرضيه
ويسعده مالم يتعارض مع نواهي الدين والأخلاق .
وبعيدا عما يتفنن كُتّاب الغرب المعاصرون في الحديث عنه من حقوق
للزوجة فان بعض الفقهاء لا يرون حسن المعاشرة مقصورا فقط على احترام
كل طرف للآخر ومحاولته ارضاءه والابتعاد عما يتفره وتبادل احترام الرأى
والعطف والتسامح ولطف الحديث . . بل أنهم يضيفون إلى هذه
الواجبات واجبا آخر هو « اشاعة الأُنس » والبهجة في حياة الآخر والبعد
عن أسباب الشقاق والكآبة !

ولا يتفق كل ذلك مع ما ترذُت إليه العلاقة بينك وبين زوجك بغض
النظر عمن كان البادئ بهذا التدهور والانحطاط . ومع ذلك فان مسؤولية
الزوج دائما أكبر في المحافظة على احترامه في عيون زوجته . . ولا يتحقق
هذا الاحترام بالتطاول على الزوجة وإهانتها . . كما ان تصرف الزوجة
الصحيح في هذه الحالة لا يكون بمبادلة البذاءات والتجريح كما انجرفت
أنت إليه ولا يكون باعتماد وسيلة « الهجوم خير وسيلة للدفاع » كما في
الحروب وانما يكون بالكف عن ملاحاته ومجادلته في لحظة حمقة لتفادى
الانفجار . . وحتى لا يتأدى في الحياقة ويقترب من دائرة التجريح
والإهانة . . ثم يحق لها بعد أن تهدأ الأعصاب ان تلومه وتطالبه بعدم العودة
إلى هذا السخف مرة أخرى ولها أن تهدده بمغاضبته بل وبمطالبتها بالطلاق
إذا عاد إلى ما تكرهه منه . فإذا استمر ولم يفلح تدخل الأهل في اقناعه

بالعدول عن طريقته . . كان لها ان تطلب الطلاق وتمسك به إذا اقتنعت
صادقة بأن هذا العيب الخلقى أصيل فيه ويتعذر علاجه واصلاحه . .
وإذا وازنت بين الطلاق وبين الاستمرار مع محاولة الاصلاح وتوصلت إلى
استحالة العلاج . أما أن يتراشق الزوجان بالكلمات النابية . . أو أن يكون
احدهما كزوجك منفلت اللسان دائم التجريح والاهانة فإذا قوبل بمثل
ماينطق به سكن وخنع واسترضى وما أن تمر الأزمة بسلام حتى يعود إلى
طبيعته الأولى بلا تغير ولا استفادة بالدروس . . فلا . . والف لا ما لم
يترتب على الطلاق ماهو أكثر ضررا من احتمال معاشرة هذا النوع من البشر
واقصد بالطبع مستقبل الأبناء الأبرياء الذين لا ذنب لهم في حماقة أحد
الأبوين وشكرا . .

القصاصه !

أنا فى حيرة من أمرى . . لا أعرف هل سأسرد لك قصة مكررة . . أم سأطلب منك نصيحة قد تكون ثقيلة على ضميرك . . إننى مهندس شاب نشأت على العادات والتقاليد المألوفة وقد أكرمنى ربى بأن نشأت فى أسرة وقرت لى ما يحتاجه الابن للزواج الكريم وأنعم الله علىّ بدخل شهري ليس بالقليل ، ثم تعرفت عن طريق الأسرة بفتاة جامعية أعجبت بها لهدوتها وجمالها وزاد إعجابى بها لما سمعته عن أسرتها وأصالتها وتقدمت لخطبتها وقبلت ، ولكن بمجرد اعلان الخطبة بدأ العناد والتكبر بل والتجبر من جانبها وزادت العصية والتفوه بالألفاظ . . ثم لا تمضى لحظات حتى تندم وتعتذر ولحى لها كنت أسامح - وتم الزواج للأسف وأقول للأسف لأنه معه تضاعفت معاناتى مع عنادها وأصبحت اذا قلت يمينا سارت يسارا ثم بدأ التطاول فى لحظات الخلاف يصل إلى حد السباب والتشابك وكثرت الخلافات إلى درجة ان عمر زواجنا لم يزد على ٨ شهور فقط ومع ذلك فان مجموع ماقضيته زوجتى فى بيت أسرتها غضبى منى وهاجرة لبيت الزوجية ٥ شهور على فترات متقطعة ، ومع كل ذلك فالخلاف مصطنع وما أسهل تفاديه وكل ما فى الأمر أنى كرجل شرقى لا اسمح بالبنطلون اللاصق ولابالفستان عارى الاكتاف ولا بالتدخين بالصورة المبالغ فيها ، ولا أجد منها فى هذا وذاك إلا العناد وأحيانا اغادر البيت إلى عملى صباحا

ونحن على خير حال وأعود من العمل خالى البال فأجد البيت صامتا خاليا منها . . وأجد على مائدة السفرة بدلا من الغداء المعد والزوجة المستبشرة المنتظرة لزوجها قصاصة ورق صغيرة تقول لى فيها بكلمات متجهمة أنها غضبى منى ومن حياتنا الزوجية وأنها سوف تقيم عند أهلها ! وهكذا مضت معظم شهور الزوجية إلى ان جاء يوم منذ فترة قصيرة وحدث خلاف جديد من خلافاتنا العديدة وتصاعد سريعا فإذا بها ترفع يدها لتصفعنى فلم أشعر بنفسى إلا وقد تحولت إلى شخص آخر يضرب فى كل مكان وكل اتجاه ، وأنا من لم يضرب احدا فى حياته وما تصورت يوما ان أمد يدى على أحد فما بالك بزوجتى ، والغريب انها بعد هذه العلفة لم تغضب ولم تترك بيت الزوجية كما حدث مرارا فى مناسبات أقل من ذلك بكثير ، لكنها حولت حياتنا إلى نكد مستمر ولم اعد احتمل هذا النكد . . وها انا اقرر الطلاق فهل تنصحنى به . . واذا كنت لا تراه لى مناسبا وتنصحنى بالصبر فما الحل لو رزقنا بطفل ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : النكد كلدغة الحية الرقطاء ليس لها دواء . . والزوجة التى تحتلق أسباب النكد لزوجها تحفر يديها قبر زوجها وسعادتها الزوجية ، ولاتستريح قبل مواراتها التراب ونفس الحال بالنسبة للزوج إذا كان ممن يتفنون فى اختلاق أسبابه ، وزوجتك فيما فهمت من رسالتك مدللة وقليلة الخبرة ولم تعتد بعد على التنازل عن ارادتها بسهولة استجابة لدواعى الحرص على استمرار الحياة الزوجية ، وهذا التنازل ليس مطلوبا من الزوجة وحدها وإنما من كلا الزوجين فكل منهما مطالب بالتنازل عن إرادته فى بعض الأحيان والا تحولت الحياة الزوجية إلى صراع ارادات وتشابك مستمرين ، وزوجتك فيما اتصور لم تفهم تسامحك معها

خلال فترة الخطبة على وجهه الصحيح . . . وتصورت ان « الكرامة » هي ان
تفرض ارادتها في كل ماتريد . وهذا خطأ كبير لأن التفاهم واستعداد كل
طرف للتنازل عن بعض إراداته هما ضمان استمرار أى حياة زوجية ،
ولايمكن ان تنجح حياة قائمة على قهر ارادة الطرف الآخر لأن الحياة
الزوجية ليست عقد إذعان من طرف لطرف وإنما عقد مشاركة يتحمل فيه
كل طرف مسؤولياته وعلاقة تراحم وتعاطف متبادلين . . . وانت محق
ياصديقى في مطالبك منها وحتى لو لم تكن كذلك فلقد كان من الحكمة
ان تستجيب لك فيها تطلب حفاظا على حياتكما المشتركة إذا ادركت انك
لن تتنازل عنه ولن تسعد بغيره . . لكنها فيها يبدو لى لم تواجه ارادة أقوى
من ارادتها تفرض عليها الالتزام بما لا تريده وحرصك عليها طوال فترة
الخطبة واستعدادك الدائم للتسامح معها قد زادها اقتناعا بذلك ، لهذا
فقد صعبت حين فوجئت برد الفعل الطبيعى الذى كان عليها ان تتوقعه
حين همت بصفعك وبدأت فيها يبدو تتعرف على حقائق جديدة عن الحياة
مع هذه العلة الساخنة بدليل انها لم تسارع بمغادرة البيت وترك قصاصة
جديدة ، فانتظر قليلا إلى ان تتضح آثار هذا الدرس الجديد عليها - فان
وعت حقائق الحياة جيدا وعرفت انه قد آن لها ان تعرف متى تتنازل عن
عنادها حرصا على حياتها الزوجية فلا بأس من الاستمرار أما إذا عادت إلى
طبيعتها سريعا واستسلمت مرة أخرى لشياطين العناد والتكبر والنكد . .
فلا مفر من الانفصال فى أول مرة تترك لك فيها قصاصة جديدة بلا أى
سبب جاد يدعو إلى ذلك وفى كل الأحوال انصحك بتأجيل الانجاب
عامين إلى ان تستقر « الأحوال الجوية » فى بيتك . . وتؤكد تماما من ان
فترة العواصف والزوايع الترابية وصراع الإرادات المألوف فى بداية الحياة
الزوجية قد انتهت إلى ما تريد ويطمئنك على مستقبل ايامك معها . .

المسوال .. !

بدأت قصتى وأنا فى التاسعة عشرة من عمرى حين كنت سائرة فى الطريق ذات يوم فأستوقفنى شاب قائلا : هل تسمحين بكلمة ؟ .. فظننت انه سيسألنى عن شارع أو مكان قريب فأجبت به حسن نية : أفندم؟ فإذا به يفاجئنى قائلا أن اسمه كذا وعمله كذا وعنده كذا وكذا وأنه يريد ان يتزوجنى فما هو عنوان بيتك ؟ .. فعقدت الدهشة لسانى ثم سألته : كيف تخطب إنسانة لم تعرفها ولم تعرف عنها وعن أسرتها شيئا؟ .. فأجابنى بأن ابناء الناس الطيبين سيأهم فى وجوههم دائما ، وكل مايريده منى هو معرفة عنوان أسرتى ، فلم أجد بدا من ان أعطيه العنوان وانصرفت متعجبة وما ان عدت إلى البيت حتى رويت لأمى واخوتى ما حدث بالتفصيل وشاركونى العجب ولم نعلق على الأمر أى أمل .. لكننا فوجئنا به فى اليوم التالى يأتى لزيارة أبى ويتقدم إليه طالبا يدى منه ! وبالفعل تمت اجراءات الخطبة بعد فترة قصيرة وعرفتُ عنه كل شىء وعرف عنى كل ما أراد معرفته ومضت شهور الخطبة جميلة سعيدة وهو لطيف وراقي وباسم وتزوجنا وانا متلهفة على السعادة معه .. وبعد زواجنا بأسابيع إختلفنا على شىء تافه ولا يمكن ان يتذكره الإنسان بعد ساعة فإذا به يتفجر فى ثورة هائلة وسباب وشتائم فظيعة وكلمات مهينة

فانعقد لسانى من الدهشة وصمت حتى يبدأ . . وتوقعت أن يحس بالذنب والخرج حين يجدنى لا أرد عليه بكلمة واحدة . . لكنى فوجئت به يواصل السباب لمدة ساعة كاملة بلا توقف وبصوت عال يسمعه كل الجيران وأنا صامته ابكى أو أتوسل إليه أن يكتفى بما حدث حتى لا يسمع الجيران كل هذه القذائف بلا فائدة حتى مضت ساعة ثم خرج من البيت ، ومن ذلك الحين يا سيدى أى منذ ١٠ سنوات كاملة وهذا السيناريو يتكرر بنفس تفاصيله من حين إلى آخر وبصفة مستمرة ومهما حاولت تجنب أسباب الخلاف لكى أتفادى البهدة . . فهو يتدخل فى كل شىء يخصنى كسيدة وفى كل شىء من شئون البيت مما يخصنى كزوجة وربة بيت فإذا عارضته انفجرت براكيته ويحتاج علينا كالمجنون ثم يبدأ فى السباب بأعلى صوت وأقصى كلمات ولمدة لا تقل عن ساعة وقد تصل إلى ساعتين تتعجب من أين يسعفه خلالها قاموس الشتائم بكل هذا الكم الرهيب منها وأنا صامته لا أرد إلى ان يبدأ ويستنفد كل كلمات قاموس الشتائم فيخرج ثم يعود هادئا ويصالحنى فأساعه بعد قليل . ونعود لحياتنا العادية من أجل ابنائنا ثم لاتعضى أيام حتى يثور لاتفه سبب ويكرر نفس السيناريو بنفس التفاصيل والألفاظ وبوصلة من السباب لا تقل عن ساعة ولا تزيد عن ساعتين ثم يخرج ويعود هادئا ويطلب الصلح وكأن شيئا لم يكن وإصالحه ، ١٠ سنوات يا سيدى ونحن على هذا الحال يتشاجر معى ومع أهلى وهم يسترضونه لكيلا يسىء معاملتى ولكنه لا يرضى ويزداد سوءا عاما بعد عام ، حتى كرهه كل الناس فى المنطقة التى نقيم بها من كثرة ماسمعه من ألفاظ جارحة لى ولأهلى ومن اتهام لى بانى

من عائلة فقيرة «وواطية» وكيف انى لا استحقه وكيف ان «ست سنى»
تتمناه لكنى لا أعرف قيمته ، فإذا تدخل أحد من الجيران أخرج به بقسوة
وأنا لا أعرف ماذا أفعل . . واتحمل الاهانة من أجل ابنائى . . وأحيانا
افكر فى الانتحار لكنى اتساءل دائما وماذا عن أولادى ؟ ان كل البيوت
تواجه المشاكل وقد يتشاجر فيها الزوجان لكن لا أحد يسمع منها صوتا إلا
بيتى لأن صوت زوجى الجمهورى يتكفل بإذاعة مشاجراتنا ويشنف آذان
الجميع بوضلات طويلة طول الدهر من الشتائم ومازلت رغم مرور ١٠
سنوات اتعجب لماذا لا يكتفى حتى بدقيقتين أو خمس ثم يخرج ولماذا يصر
على ان يقف ليهلل ويشتتم ويطنب وكلما تصورت انه استنفذ كل كلمات
القاموس . . أجده بعد سكتة قصيرة للتنفس أو ابتلاع «الريق» يعود
ليستأنف الموال بأقوى مما كان وبأشنع من كل ما قيل وبصوت كله صحة
وعافية كأنه لم يرهقه أكثر من ساعة . . وكل ذلك وأنا صامته لكيلا استثيره
أكثر . . فكيف يكون الحال إذن لو كنت أجابوه وأستفزه بالردود الجافة .
لقد ضقت بحياتى ياسيدى وبهذه الفضائح المستمرة وشكوت لأخوته من
معاملته وشكوت لأبيه وهو رجل كريم وعادل ولا يرضى بالظلم فكان فى
كل مرة يوبخ زوجى ويحذره ويُنهيهِ عن اساءة معاملتى وعن هذه الفضائح
فيستجيب له زوجى لفترة بسيطة ثم يعود بعد قليل لعاداته القديمة . .
فأعود لأبيه مرة أخرى وأنا عرجة وهكذا بلا فائدة والأيام تمضى وأحلى
سنوات العمر تضيع فى المشاحنة والنكد والعذاب والفضيحة فلماذا أفعل
ياسيدى ؟

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : لا أجد ما ينطبق على حال زوجك

العجيب معك أكثر من هذا المثل التشيكي الذى يقول : خير لك ألا تبدأ . . من ان تبدأ فلا تنتهى !

فالواضح تماما أنه بكل أسف من هذه القلة التى تُستدرج بسهولة إلى الانفلات والانفجار ثم لاتعرف ابدا كيف تتحكم فى انفعالاتها وكيف تتوقف حين ينبغى لها ان تتوقف فتتجاوز كل الحدود وهذا هو الخموق بعينه ! أن يكون الإنسان عاجزا عن ضبط نفسه والتحكم فى انفعالاته لسبب ولغير سبب . فيسئ للآخرين ويتأذى فى اهانتهم ثم تحمد براكينه بعد ان تقذف كل حممها فيهدأ ويتوقع من الآخرين ان يغفروا له كل ما كان منه بدعوى إنه كان فى حالة غضب ! والحق انى لا اشعر فى قرارة نفسى بأى احترام لهذا النوع من البشر ولا أراهم جديرين بأى نجاح فى الحياة لأن من لا يقدر على نفسه لا يقدر على الآخرين ولا يستطيع ان يحقق بعض ما يصبو إليه .

ثم ما هذا النفس الطويل فى الفُحش والسباب . . ولماذا يصبر على ان يعزف فى كل مرة معزوفة من بحر الطويل تتخللها تنويعات مبتكرة على كل ألوان السباب ! إن رب اية أسرة هو راع لأسرته ومسئول عن رعيته ومطالب بالعدل مع كل أفرادها واولهم زوجته وليس من العدل معك ولا مع أطفاله ان يعرضك لهذه المحنة العلنية من حين لآخر وان يهتك كل اسراركم العائلية بهذا الصوت العالى القبيح وان يعرض أطفاله لرؤية أهمهم فى هذا الموقف المزرى .

لقد كان العرب الأقدمون يكتنون عن الزوجة بكلمة « الأهل » فيقول الرجل « جئت أهلى » قاصدا جئت زوجتى ، وفى الحديث الشريف ما

معناه : خيركم ألطفكم بأهله وأنا ألطف الناس بأهلى ، وهناك مثل انجليزى يقول من ضرب زوجته فكأنها ضرب يمينه بشاله ، وهذا صحيح لأن زوجة المرء هى نصفه الذى يشكل معه كيان الحياة الزوجية الصحيح وهى أهله بكل المقاييس ، فإن أهانها فإنها أهان أهله ونفسه ، وإن عرضها لمثل هذه الفضائح المتكررة فأنها قد عرضت نفسه وأهله لها . . . وارتضى لنفسه ولهم هذه المهانة العلنية .

ومع ان مناقشة من لا يملكون أنفسهم لاتجدى شيئا إلا انى سأخاطر رغم ذلك بأن أقول له : ان احد الملوك قد طلب النصيحة من حكيم واشترط عليه ان يوجز فلم يزد عن ان قال : افعل برعيتك كما تحب ان يفعل الله بك ! ونفس النصيحة تلائمك تماما فان اردت ألا تلقى المهانة ومكابدة الإحساس بالقهر عن لاتجسر على ان ترد عليه إهائته فلا تُهن من لا يستطيع أن يرد عليك اهانتك . . . ولا بأس بان تستشير طبيبا متخصصا فى الأعصاب يساعدك على تفادى هذه الانفجارات العصبية الطائشة . أما أنت يا سيدتى فليس لك إلا الصبر على ماتلاقينه وإلا محاولة تفادى أسباب انفجاراته بقدر الأمكان ، وإلا الاحتباء بالصمت التام حتى لا تزيد النار اشتعالا . . . وحيدا لو غادرت المكان بأسرع ما يمكن ليجد نفسه بعد قليل يصدق بمواله الكريه لنفسه . . . أو للجدران فيستشعر سخفه بعد حين . . . وينكتم !

النظرية الأولى !

أريد أن أفيد بتجربتي الشخصية كاتبة رسالة « الموال » التى تشكو من أن زوجها قد اعتاد ان يثور عليها لأتفه الأشياء ويعجز عن التحكم فى نفسه فيندفع فى الشجار والسباب القاسى لها وفى موال تقليدى يستغرق ساعتين فى كل مرة مع أنها لاترد عليه ولا تجاريه فى سبابه ورغم ذلك ،إاصل تقاسيمه مستخدما كل أنواع الألفاظ الشائنة أمام أطفالها صوت عال يسمعه كل الجيران ثم يخرج غاضبا ويعود بعد فترة هادئا بيعيا كأنها لم يفعل شيئا ويعتبر ذلك اعتذارا لزوجته ولا يعتذر لها يواظب على ذلك منذ ١٠ سنوات لم تفلح خلالها جهودها وجهود ابيه والأسرة معه فى ان يعدل عن هذا الأسلوب ويحسن معاملته لزوجته . فلقد واجهت مع زوجى نفس المشكلة ولكن فى الشهور الأولى من الزواج احترت كيف اتصرف معها ثم تبين لى ان زوجى يكف عن السباب فور 'ملتى له بالمثل وهذا شيء كريه ولكن ما حيلتى . . فلقد تذكرت - وأنا دسة - ان اسحق نيوتن يقول فى نظريته الأولى : لكل فعل رد فعل ساو له فى المقدار مضاد له فى الاتجاه ، وهنا يأتى التعادل وتكون المحصلة صفرا وقد نجحت هذه النظرية معى وعشت فى سلام مع زوجى منذ سنوات . . فهل للأخت صاحبة المشكلة ان تجرب إيقاف زوجها عن

النهادى فيما يفعل باستخدام نفس أسلوبه معه خاصة وإن هناك صنفا من الرجال لا يجدى معهم غير اتباع نظرية نيوتن ؟

□ ولكاتبه هذه الرسالة أقول : إذا كنت ياسيدتى من انصار نظرية نيوتن فى التعامل مع الزوج سليط اللسان فهناك « نظرية مثالية أخرى » للكاتب المسرحى الإنجليزى أوسكار وايلد جاءت على لسان السيدة وندرمير فى المسرحية التى تحمل اسمها مع الفارق ومع اختلاف الظروف إذ أراد اللورد اغواءها فأبت فحاول اقناعها بذلك بحجة ان زوجها يخونها فقالت له : . . إذا كان الزوج سافلا فهل يجب على الزوجة ان تكون سافلة مثله ؟ وعفوا لأى اساءة لا أقصدها بإيراد هذه العبارة . . فأنما اردت فقط ان اقول لك انى شخصا من انصار نظرية ليدى وندرمير فى التعامل بين الزوجين سواء كان الطرف المخطئ منهما هو الزوج أو الزوجة ذلك أن الخطأ لايرر الخطأ كما ان الإنسان إنما يتعامل مع الآخرين بأسلوبه هو وليس بأسلوبهم ، فإذا كان هناك نوع من الرجال لايجدى معهم إلا اتباع نظرية نيوتن كما تقولين فهناك نوع آخر تزيدهم هذه النظرية تهابا واشتعالا وتفقدهم السيطرة نهائيا على أنفسهم وتدفعهم فى انفعال جنونى إلى الاعتداء البدنى الوحشى على الزوجة وإلى هدم حياتهم الشخصية والطلاق وتشريد الأبناء . . فكيف يكون الحال إذن إذا كان زوج السيدة من هذا النوع الآخر ؟ ثم لماذا نذهب بعيدا ونلتمس النظريات عند نيوتن أو أوسكار وايلد وديننا الحنيف يهديننا إلى سواء السبيل بغير عناء فيخيرنا بين عشرة بالمعروف . . وتسريح بإحسان مع كامل الاحترام لكلا الطرفين ومع كل العدل بينهما فى الحقوق والالتزامات ، فإذا كان الأمر كذلك فلماذا نصور الأمر وكأنه صراع بين طرفين لايدفع احدهما لاحترام الآخر وحسن معاشرته فيه إلا خوفه من سلاطة لسان الآخر ؟

الواجب

أنا طبيب متزوج وسعيد في زواجي وعندى البنون والبنات ولا اشكو من شيء ولا أواجه مشكلة والحمد لله . لكنى عرفت من زميل لى أن هناك سيدة فاضلة مطلقة ذات مركز اجتماعى ممتاز كان سبب طلاقها من زوجها هو أنها لم ترزق منه باطفال . . وكان سبب عدم انجابها راجعا للزواج ولهذا فهي ترغب أولا فى ان تُعَفَّ نفسها بالزواج وثانيا فى ان يرزقها الله بطفل . وقد تابعت فى بريدك رسائل عديدة لأخوات يرغبن فى إعفاف مهن فى هذا المجتمع القاسى ، وفكرت جديا فى أمر هذه السيدة لكنى لحقيقة متردد حيث انى سعيد والحمد لله بزواجى التى تزوجتها منذ ٢٠ سنة وبأولادى ولأن من يتزوج باخرى بلا داع يُعَدُّ زواجه هذه الأيام خيانة رجته وأولاده لكننا من جانب آخر علينا نحن معشر المؤمنين واجب فى عناية هؤلاء السيدات الفاضلات اللاتى يرغبن فى إعفاف انفسهن وإذا أحججت أنا وغيرى عن رعايتهن فمن يقف إلى جانبهن فى هذه الحياة حبة وأنت تعرف شراستها هذه الأيام . إننى فى انتظار رأيك فيماذا :،

ولكاتب هذه الرسالة أقول : ياسيدى ما أكثر الأراامل والمطلقاتين بين فاتهم قطار الزواج من الرجال الذين يبحثون عن مطلقة فاضلة أو

أرملة لها مثل ظروف هذه السيدة التى تتحدث عنها . . فلندع هؤلاء أولاً «واجب» رعاية هؤلاء الأخوات الراغبات فى إعفاف أنفسهن وحل مشاكلهن بما يحقق السعادة للطرفين ولا يترتب عليه ضحايا أو مشاكل ، فإذا تبقى منهن بعد ذلك من لم تحل مشكلتهن جاز للمتزوج الذى يعانى من عدم الانجاب أو يفقد السعادة مع زوجته وأعيته الحيل فى اصلاحها ولا يريد هدم أسرته رفقا بأولاده او لديه أسباب شرعية أخرى ، ان يفكر فى اداء هذا الواجب تجاههن فان تبقى منهن بعد ذلك من لم تحل مشكلتهن ربما جاز لامثالك من السعداء بزوجاتهم وأولادهم ان « ينفروا » لأداء هذا الواجب ، لكنهم فى الأغلب الأعم لن يجدوا وقتها ما يستدعى تدخلهم لأن الفئة الأولى وحدها تكفى وتزيد لحل مشاكل هؤلاء السيدات الفاضلات ، فلا تفتح على نفسك أبواب المتاعب فتفقد سعادتك الحالية . . وتحلب على زوجتك وأولادك الشقاء بلا مبرر .

وتذكر دائما يا صديقى ان النفس ترغب دائما فى إزدياد . . وقد تتحایل على اخفاء رغبتها ونوازعها بشتى الذرائع والأفكار الإنسانية السامية . . فإذا تُركت على هواها لن تتسع الدنيا لما تنوهمه من « واجبات » إنسانية مماثلة ، وإذا تُرِد إلى قليل . . « تقنّع » فؤد نفسك إلى « الكثير » الذى انعم الله عليك به ودع لمن هو احقّ منك باداء هذا الواجب القيسام به وشكرا لك .

الستار الحديدي !

أنا رجل في الثامنة والثلاثين من عمري ، متزوج منذ سبع سنوات تقريبا ولى طفلتان توءم تبلغان من العمر ثلاث سنوات ، زوجتى تعمل سكرتيرة بإحدى شركات القطاع الخاص ، وتحصل على راتب كبير من عملها يصل إلى ضعف دخل من عملى بإحدى شركات القطاع العام ولكن يعوض الفرق إيراد خاص لى من بعض الأملاك ولا نعانى من مشكلات مادية حادة والحمد لله .

أما مشكلتى مع زوجتى فهى انها تتعامل مع الحياة بروتيئية بحثة مع عصبية زائدة وعدم احساس بالأمان للزمن فهى تنصرف معى ومع البنتين وكأنها تتعامل مع آلات صماء تدار بأزوار لاداء مهام معينة وعندما يخرج أى فرد عن الدور المرسوم له تنور أعصابها وتدخل فى طور من النرفزة والصياح مع اتهام من حولها بالبلادة والتخاذل !

لقد أصبحت اشعر اننى لست زوجا وأبا ولكنى موظف بدرجة زوج وأب ينبغى على اداء مهام معينة يوميا وفقا لجدول محدد فى أوقات مرسومة مسبقا حتى لا يحدث خلل فى حياتنا ولكى تستطيع زوجتى الوفاء بالتزاماتها تجاه بيتها وبالأسلوب الذى يساعدها على الحفاظ على عملها التى تؤمن إيماننا غريبا انه الشيء الوحيد الذى يؤمن لها مستقبلها ويحميها

من تقلبات الزمن بالرغم من أننا نمتلك أرضا زراعية وعقارا ورثتها عن أبى رحمة الله عليه وبالرغم من انى اشهد الله اننى احسن معاملتها جهد الطاقة ولا يصدر منى ما يشعرها بعدم الأمان لحياتها معى ، ولكنها تنصرف وكأنها فى معركة مع الزمن فهى فى الصباح تثور على البتين وعلى عند حدوث أى خطأ أو تأخير لأن هذا سيؤدى إلى تأخرها عن ميعاد عملها مما يعرضها لأن تتغير الصورة الطيبة المعروفة عنها فى العمل !

وبعد العودة من العمل نجلس إلى المائدة فى نظام شبه عسكرى لكى نتناول الطعام بأدب وغير مسموح لأى فرد بأى نسبة خطأ فإذا تساقط بعض الطعام من البتين على مفروش المائدة أو على الأرض انفجرت عصبيتها وصياحها بكلمات من نوع « يا غبية يا هبله إلخ » فيمضى وقت الطعام ونحن فى حالة توتر وقلق خوفا من أى خطأ مع ان معظم اخطاء البتين تتناسب مع عمرهما ، وفى المساء لا ينبغى ان أجلس مع الطفلتين وأدعيهما إلا فى أوقات معينة وظروف معينة تحددها هى كأن تكون فى المطبخ لطهو الطعام أو عند انشغالها بتنظيف البيت ، وفيها عدا ذلك فليس من حقى ان أدعب البتين أو ان اتحدث معهما حديث الأب لأطفاله لانهما ينبغى ان تكونا جاهزتين تحت الطلب « لأعمال » الاستحمام والنظافة والنوم قسرا فى ساعة محددة كل يوم لابد ان نطفئ لها كل أنوار البيت وان نكتم انفسنا خلالها فلا نتكلم ولا نتحرك حتى تروحا فى سبات عميق وكل ذلك لكى يستطيعا الاستيقاظ فى ساعة مبكرة صباح اليوم التالى والنزول معها فى وقت معلوم لتودعها الحضانة وهى فى طريقها إلى عملها ورغم هذا النظام الحديدى ، فكثيرا ما تتأخر رغما عنها وتواجه ذلك بالعصية والتوتر والصياح .

أما إذا دعوتها بعد نوم الطفلتين للجلوس والتسامر معى قليلا كما يفعل كل زوجين جاءت كارهة متأففة ولا يخلو الأمر من سماع بعض الألفاظ من نوع ! ياللا خلصنا بقى عايظه انام أنا عندى بكرة شغل ، أنا مش مرحة زيك ، فضلا عن أنها دائما مرهقة وتعبانة من العمل والبيت ولا وقت عندها لمشاعر الناس « المرححين » من أمثالى حتى أصبحنا لا نجلس سويا لمناقشة أمور حياتنا وبناتنا ، فضلا عن أنها تؤمن إيماننا لا يقبل النقاش بأن الحياة العصرية تستلزم تقسيم الأعباء العائلية إلى واجبات متساوية بالسنتيمتر بين الزوج والزوجة يجب ان يؤديها كل منهما آليا ودون تفكير أو تقصير أو خلل ! وإلا فهو بليد وخامل ومقصر وليس عنده إحساس بالمسؤولية ! اما المشاعر والأحاسيس فلا وقت لها مادام كل طرف يؤدي واجبه ! وقد جرّيت ذلك منها حين مرضت أنا لفترة طويلة ، فكان تصرفها معى انه مادام الطعام والدواء يُعدّان بالطريقة التى أمر بها الطبيب وفى الأوقات المحددة لها فلقد ادت واجبها تجاهى على أكمل وجه وعلى ان اشكر لذلك وأمتن !

حتى مرات خروجنا القليلة تتم فى مواعيد محددة قبلها بفترات طويلة ولأهداف محددة بدقة وبنظام صارم لا يمكن الخروج عليه ولا يمكن أبدا الاستجابة لرغبة طارئة منى للخروج لزيارة أحد أو للترفيه عن الأطفال اننى يا سيدى لست ضد الالتزام فى أى شىء ولا مع التكوّص عن تحمل كل إنسان لمسئولته ، ولا ضد عقاب الطفل إذا اخطأ بشرط ان يتناسب العقاب مع الخطأ ، ولا ضد ان تعمل زوجتى وتحس بنفسها فى عملها مع انى لا أهتم بعملها ولا أنظر إلى عائدته ونستطيع إذا أردنا . . ان نحيا بدونه

لكنى ضد التوتر المستمر والآلية الشديدة في كل شىء ومحاولة علاج الأمور بالعصبية فقد تأثرت الطفلتان كثيرا بالعصبية الشديدة التى تعاملهما بها أمهما فأصبحتا كثيرتى البكاء وكثيرتى الأخطاء وتكرران نفس الأخطاء التى تعاقبان عليها دون أى فهم ، أما انا فقد حاولت كثيرا اصلاحها وتغيير افكارها وتخفيف عصبيتها حتى انى أدمنت القراءة فى الكتب التى تتحدث عن الأسلوب الأمثل لتربية الأطفال ، والأسرة المثالية وفترة الإنسان وضرورة عدم إغفال الجانب الروحى فيه ، مع قراءة الكتب الخاصة بالتعامل مع الأشخاص العصبيين وكانت آخر محاولتى معها ان اصطحبتهما منذ شهرين لاداء فريضة الحج عسى الله ان يهدى النفوس الشائرة وان تشعر زوجتى بأنها تتعامل مع بشر وليس مع آلات متحركة ، لكن كل ذلك لم ينجح فى تغييرها حتى اننى أصبحت الآن اكراه العودة إلى بيتى واطل اسير بعد العمل فى الطرقات إلى ان ينهكنى التعب فأعود للبيت واتناول طعامى وانا م مباشرة حتى لا التقى بها ولا اسمع ولا أرى ما يضايقنى .

لقد فشلت كل محاولتى معها وأرجو ان توجه لى النصيح فيها يجب ان افعله أو ان توجه لها كلمة فهى تقرأ أهرام الجمعة لعلها تتأثر بكلماتك الطيبة ان شاء الله أو ان كان هناك قصور من ناحيتى فأرجو ارشادى إليه .
□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : لا لوم عليك ياسيدى ولا تقصير من جانبك ، وإنما اللوم كله والعتاب للسيدة زوجتك لهذا سوف أوجه حديثى إليها مباشرة .

إن غاية الحياة الأساسية هى السعادة وكل ما نهتم به فى حياتنا ليس فى النهاية سوى وسائل نتوسل بها إلى تحقيق سعادتنا بالطرق المشروعة وفيما

لا يغضب خالقنا أو يعرضنا لعقابه . . فإذا طغى اهتمامنا بالوسائل على اهتمامنا بالأهداف فإن محصلة سعيينا في الحياة تكون فشلا ذريعا مهما حققنا من نجاح أو أجماد وبهذا المفهوم فإن عملك وسيلة وليس غاية ولا ينبغي ان يدفعك حرصك عليه كأنه طرق النجاة الوحيد لك ضد الزمن إلى التقصير في حقوق طفلتك وزوجك أو محاولة فرض نظام حديدي يشقون به ، فالعمل يمكن ان يفقده الإنسان مهما بذل من حرص عليه ، كما يمكن له ايضا ان يغيره إذا اقتضت الظروف ذلك أما العمر فانه لا يمكن استبداله أو استرجاعه من عالم الغيب لكي نحياه من جديد ونطبق فيه ما تعلمناه من تجارب الزمن اذا ضاع وانقضى في التوتر والشقاء ومحاولة اخضاع الآخرين قسرا لما يناسبنا نحن وحدنا . فخفضي الوطء كثيرا يا سيدتي ، واعلمي ان الملل والروتينية يورثان الاكتئاب وإن تجاهل مشاعر شريك حياتك وعدم مجاراته فيها بدعوى ضرورة العمل يقتل الحب ويولد الأحاسيس ويحول الحياة إلى كآبة عصرية منظملة لا روح فيها ولا نبض وتذكرى دائما ان معظم مشاكل الزوجات والأزواج إنما ترجع إلى انهم لا يحاولون ادنى محاولة ان يلتزموا مع أهلهم الأقربين بما يلتزمون به من آداب اللياقة وضبط النفس والتسامح التي يلتزمون بها في معاملة الغرباء مع ان الأقربين أولى بالمعروف وبحسن الرعاية ورقة التعامل وانت قادرة بغير شك على التحكم في عصبيتك وكبح جماح نفسك لكنك لا تحاولين ذلك في تعاملك مع أسرتك وإلا فكيف لم تفقدى عملك حتى الآن إذا كنت تتعاملين مع رئيسك وزملاء العمل والغرباء بهذه العصبية والتوتر الدائمين . . وأنت موظفة بقطاع خاص يستطيع ان يستغنى عنك بسهولة إذن فأنت تستطيعين لكنك لا تحاولين وتبررين لنفسك كل شيء

بأنك مرهقة وانها ضرورات لكى تستطيعى اداء عملك ومن أقوال زوجة أمريكية سعيدة انه : لو التزمت الزوجات حدود اللياقة مع أزواجهن كما يلتزم بها مع الأغراب لعصّ كل زوج على لسانه إذا اندفعت إليه قوارص الكلم ! ونفس المبدأ ينطبق على الأزواج وزوجك ياسيدتى لايبادللك عصبيتك ولا تندفع قوارص الكلم إلى لسانه ولا يحاول ان يفرض عليك مايراه حقاله .

فلماذا لا تبادلينه رقة برقة ومشاركة بمشاركة ولماذا تتصورين ان كل من فى مملكتك الصغيرة ينبغي ان يخضع لارادتك ونظامك الحديدى الذى قد يناسبك وحدك بغير ادنى محاولة منك لتفهم حقوق الآخرين عليك . ان تهديد الحياة من حين إلى آخر امر ضرورى لطرد طائر الملل الذى يهدد السعادة الزوجية وبعض الحكماء يطالبون الزوجة بأن ترتدى لزوجها كل يوم قناعا جديدا كأقنعة سالومى السبعة ، لكى تنبه مشاعره وتحتفظ بها دائما عند درجة الفوران ، ونحن لا نطالبك باقنعة سالومى السبعة أو الستة ولكن نطالبك فقط بشيء من التسامح الضرورى مع طفليتك وبشيء من المرونة فى نظام الحياة فى بيتك الذى تفرضين عليه الاظلام التام كل ليلة كأنكم فى زمن الحرب ، وبشيء من الاعتبار لأهمية المشاعر والاحاسيس فى الحياة الزوجية وبشيء من الخروج على روتين الحياة من حين إلى آخر ترويحاً للنفوس وليس كل ذلك عليك بعسير اذا اقتنعت معى بأنه لا شيء فى الحياة يعدل حياة زوجية هادئة وسعيدة وابناء سعداء أسرياء .

فهل تقتنعين بذلك ؟ وهل تهدين فى نفسك الشجاعة لأن تطلبى المساعدة الطبية من طبيب اعصاب متخصص إذا اكتشفت حاجتك إلى ذلك وهو امر لا شيء فيه ولا يسىء إليك بحال من الأحوال .

المشورة !

ابنتى موظفة بمرتب كبير وقد تزوجت احد أقاربها ولم يكن زوجها قد تسلم شقته بعد فاعطيت ابنتى وزوجها سكنا مؤثلا الى ان ينتهى بناء شقة الزوجية . ثم حملت ابنتى واضطرت للحصول على اجازة طويلة من عملها للحمل والولادة فقامت عن طيب خاطر بدعم الأسرة الصغيرة الجديدة ماديا الى ان تتحسن احوالها وتقف على اقدامها وانجبت ابنتى طفلا جميلا وجاء لها ولزوجها عقد عمل بالخارج وسافرا معا ولكن زوجها فضل لها التفرغ لرعاية الطفل الوليد فاستجابت لرغبته وضحت بفرصة العمل والمرتب الكبير وحملت مرة ثانية لكنها اجهضت بسبب وحدتها بعيدة عنا وافتقادها لرعاية الأهل خلال الحمل . وبعد فترة اخرى حملت للمرة الثالثة فأرسلها زوجها للإقامة بيننا مع طفلها فترة الحمل حتى لا تتكرر الظروف التى ادت لاجهاضها فقمنا بواجبنا كاملا تجاهها . . ولم يتوقف الدعم المادى ورزقت بمولود آخر فاحطناه برعايتنا الكاملة لولادته خلال موجه البرد الشديد فى الشتاء الماضى ومررت الولادة بسلام بالرغم مما صاحبها من التهاب شُعْبَى رِئَوَى تم علاجه والحمد لله . وخلال ذلك انتهى اعداد شقة الزوجية فقمنا بنقل اثاث ابنتى إليها وفرشها على اتم وجه وجاء زوجها فى الإجازة فوجد بيته كاملا وزوجته وطفليه فى انتظاره

وسعدت به أسرته الصغيرة . . وسعدنا معها . . فإذا بزوج ابنتي الهمام يطلبني بعد أيام ليستشيرني في أمر هام فتوجهت إليه فإذا به يقول لي امام ابنتي ما رأيك يا عمي في ان الشرع يسمح بتعدد الزوجات ولهذا فاني أريد ان اتزوج مرة أخرى !

هذا والله ما حدث وأمام زوجته الجميلة الطيعة التي كانت تنتظره بلهفة وإحاطته برعايتها منذ عودته . لقد ذهلت مما قال ثم تكلمت فلم أجبه إلا بما يقول به الشرع الحنيف في هذا الخصوص وما يقوله ولي الأمر من ان بلادنا تعاني من الانفجار السكاني وليست هناك ضرورة لمثل هذا الزواج لمن لا ينقصه شيء . . وزوجته لا تخالفه ولا تحرمه وقد أنعم الله عليه بطفلين جميلين فهو ليس محروما من الانجاب ولا من أي شيء . أما ابنتي فقد اجابته بما يقضى به الشرع والقانون في هذا الشأن من ضرورة موافقتها على زواجه . . أو تسريحها باحسان اذا ابت على نفسها ذلك ، وهي تأبى وعاشت في قلق وكدر بسبب هذا الأمر فما رأيك ياسيدي في ذلك ؟ وقد فعلنا كل ما بوسعنا لتوفر له الراحة والسعادة وقمنا بأعبائنا بكل سرور من أجل ابنتنا . . حتى انني وأنا الشيخ المسن طلب مني ان أقوم عنه وهو موجود ، باجراءات اجازة زوجته فقممت بها راضيا رغم ما في ذلك من مشقة على ثم بعد ذلك يستشيرني في ان يكسر قلب ابنتي بالزواج عليها ويطلب رأيي في ذلك فإذا أقول له ؟

□ ولكاتب هذه الرسالة أقول : قل له ياسيدي ان لم تستع فاصنع ماشئت ! لأن من لا ينجل من احراجك وتكديرك وتكدير ابنتك بهذا الأمر ولما يمض على زواجه منها سوى ثلاث سنوات أو أربع . . وفي أول اجازة

يعود فيها إليها قد لا تجدى معه المناقشة والاقناع . ومع ذلك فلو أراد المناقشة فانك تستطيع أن تقول له ان الرجل إذا اشترط لزوجه الا يتزوج عليها لزمه هذا الشرط وكان من حقها الطلاق إذا تزوج عليها وإن الفقهاء يقولون أن المشروط عرفا كالمشروط لفظا ، بمعنى أنه حتى وإن لم تشترط المرأة في عقد زواجها ألا يتزوج عليها زوجها ، فإن هذا الشرط يلزمه عرفا ويعطيها حق الطلاق منه إذا تزوج عليها ، ومن هنا جاء شرط استئذان الزوجة وموافقتها في القانون والا كان من حقها الطلاق إذا تزوج زوجها عليها .

وكل ظروف زوج ابتكك حسبما جاء في رسالتك لا تبرر له هذه الرغبة ولا تفسرها تفسيراً مقبولا ، إلا اذا امتنعت زوجته عن مصاحبته إلى مقر عمله ولم يصبر هو على الحياة بغير زوجة خلال شهور غيابه عنها وفيما عدا ذلك ، فلا المبرر الشرعي المقبول لهذا الزواج الثاني قائم ولا شرط القدرة المادية متوافر وهو من لم تكد أسرته « الصغيرة الجديدة » تخرج من تحت مظلة دعمكم المادي الا منذ شهور أو أسابيع . . فما معنى هذا البطر ؟

ياسيدى قل له كل ذلك وذكره بان التعدد ليس امرا واجبا ولا مندوبا أو مفضلا وانه ما لم تكن له ضرورة شرعية وتوافرت لطلبه شروط القدرة المادية والصحية والعدل المطلق الذى يكاد يكون شرطا مُعْجِزا ، فإن سُنَّة الحياة الطبيعية بلا مشاكل ولا اعباء نفسية وعاطفية ومادية إضافية افضل واقرب كثيرا إلى الرحمة بنفسه وبمن يعاشر . وانصح ابتكك بان تتبع زوجها إلى حيث يقيم وبألا تتنازل عن حقها في الطلاق اذا عاد للمثل هذه التطلعات التى أشقت حياتنا وزادتها اختناقا فلعله يرجع عنها رحمة بها وبك وبنا . . والسلام .

القبيلة

اكتب إليك قصتي لعل فيها ما يهدئ خواطر بعض المهومين . .
ويعيد إليهم ثقتهم في ان ينالوا حظهم من السعادة حين يأذن الله فلقد
كنت في الثالثة والعشرين من عمري حين تقدم لي شاب كنت اراه كل يوم
في ذهابي وعودتي إلى الكلية . . لمدة ثلاث سنوات كاملة بغير ان يبادلني
كلمة واحدة ورغم ذلك فقد نشأت بيننا علاقة صامته عميقة ، واحببته
من خلالها واحببني وتمنيته لنفسى وتمنانى . . ثم جاء اليوم الموعود وتقدم
لأسرتى بخطبتي فكأنى كنت أعرفه واعرف كل شىء عنه منذ زمن طويل
فأعلنت موافقتى عليه من اللحظة الأولى . . واعترض أبى بسبب بسيط
هو أنه وحيد تماما . . فابواه رجلا وهو صغير . . ولا اخوة له ولا اخوات
واقاربه القليلون يعيشون في بلاد متفرقة . . لا يعرفون عنه شيئا ولا يريد هو
ان يعرف عنهم شيئا بعد ان تخلوا عنه صغيرا ورفض أبى زواجى منه قائلا
ان الفتاة تحتاج إلى أهل زوجها ولا تستطيع ان تواجه الحياة وحدها . .
فاصررت عليه . . وبسبب تمسكى به على غير ارادة أبى أعلن انه لن
يساعدنى في زواجى منه ، وكنت قد تخرجت من كليتى وعملت باحد
المكاتب المهنية ، وتخرج خطيبى وعمل مهندسا ، فتحملنا وحدنا عبء
زواجنا ، وتم زفافنا في شقة صغيرة من غرفتين بلا اثاث تقريبا . . ومع
ذلك فلقد كانت جنتى وعش أحلامى . . وواجهنا الحياة المتقشقة لمدة ٨

سنوات حتى استطعنا ان ننتقل إلى شقة اوسع وان نؤثثها بأثاث جميل لكنى لم أنجب اطفالا طوال هذه السنوات . . ولم أياس من التردد على الأطباء حتى واجهونى بالحقيقة المرة وهى انى لن استطيع الانجاب .

وخلال هذه السنوات كنت ألمح حيرة زوجى . . وهو الذى عاش وحيدا طيلة حياته ويتلهف إلى الأبناء ليعوضوه انعدام الأهل . .

وبعد فترة من التفكير العميق . . طلبت من زوجى الطلاق ليستطيع ان يتزوج ممن تنجب له أولادا ولألتخذ انا أيضا طريقا آخر فى الحياة يعوضنى عما أحس به من نقص ، وثار زوجى ثورة عارمة ورفض طلاقى رفضا باتا . . لكنى ألححت عليه وافنعتته بعد جهد جهيد بأننا ستكون اصدقاء طوال العمر ، وان من الأفضل ان يتم الطلاق الآن قبل ان يحس هو برغبته فى الزواج من أخرى . . وبعد مشاورات طويلة وافق على طلاقى وعدت إلى بيت أسرتى واستمر اهتمام كل منا بالآخر على البعد وبعد عام من طلاقنا استشارنى فى أمر زواجه من أخرى عرض علىّ ظروفها فوافقت عليها وتزوجها وبعده بشهور قبلت أنا الزواج من أرمل فاضل عنده ولدان فى سن العاشرة والسابعة وتزوجته وافرغت فى طفليه كل أمومتى الحبيسة وعوضتهما عن حرمانهما من أمهما - وكانت أسعد لحظات حياتى حين سمعت لأول مرة منها كلمة « ماما » ، وحرمت عليهما ان يناديانى الا بهذه الكلمة الجميلة !

وعشت حياتى مع زوجى الفاضل وابنائى سعيدة . . وسافر مطلقى مع أسرته إلى احدى الدول العربية وعاش هناك وأنجب طفلة ومضت سنوات العمر سريعا واجتزت الأربعين من العمر وبلغ ابنى الأكبر سن العشرين وابنى الأصغر سن السابعة عشرة وفجأة مرض زوجى مرضا

خاطفا . . وغادر دنيانا مطمئنا إلى رعايتي لولديه . . . وبعد شهرين من وفاته أراد أهل زوجي أن يضموا الولدين لهم بحجة انهم الأولى برعايتهما . . فرفضت ذلك وقاومته بكل السبل . . وقاوت دفاعا عنهما . . وهما ولدائ اللذان ربيتها بيدي . . ورفض إبنائى ذلك بكل اصرار حتى استسلم الأهل وتركوهما لي وواصلت حياتي بين عمل في المكتب وبين رعاية الولدين اللذين أصبحا شابين افخر بهما ويتقدما في دراستهما بكل نجاح . وواصلت سنوات العمر ركضها السريع فاذا بزوجي الأول يعود من الخارج ومعه فتاة شابة هي ابنته بعد ان رحلت أمها إلى رحمة الله في الغربية . . منذ عامين . . والتقينا مرة أخرى بعد أكثر من ١٨ عاما من انفصالنا . . وإذا بقلبي يخفق للفتاة حين أراها لأول مرة . . وأتلهف على احتضانها . . وكل ما في جسمي وعقلي يؤكد لي انها ابنتي التي كان مقدرا لي ان انجبها من زوجي لو كان الله سبحانه وتعالى قد أراد لي الانجاب ، وإذا بهذا الاحساس يتضخم عندي كل يوم حتى انتهيت إلى اقتناع عجيب بأنها ابنتي انا لكن أباهما النجبها من رحم امرأة غيري لأسباب لا ذنب لي فيها !! وأصبحت هذه الفتاة تقاسم ولديّ الآخرين قلبي . . وحين عرض عليّ مطلقى ان نعيد شملنا مرة أخرى فوجئت بابنائى الثلاثة . . نعم الثلاثة ولدائى وبنتى يلحون عليّ في قبول الزواج لتعيش معا تحت سقف واحد . . وتزوجت زوجي مرة أخرى وعشنا نحن الخمسة في بيته وأصبح لي ثلاثة ابناء وزوج . . وأصبح لزوجي قبيلة يرعاها ويسعد بها . . وتوالت المشاهد سريعا فكبر ابني الأكبر . . وعمل . . ثم تزوج من ابنتي واقاما معنا في نفس البيت . . وتخرج ابني الأصغر . . وخطبت له فتاة جميلة ابنة جار طيب لنا وشرطى الأول الذي سعدا به هو ان يقيما معنا وإن يشاركانا حياتنا . . وبلغت أنا الخمسين . . ومازلت أعمل وارعى أسرتي الكبيرة التي زادت عددا بحفيدي الصغير الذي يملأ الدنيا صراخا وأنا اكتب لك

هذه الرسالة لأقول لكل رجل وكل امرأة حرما من الأبناء ان الخير فيها اختاره الله لها . . . وان التعويض النفسى عن الحرمان من الأبناء ممكن جدا بأكثر من وسيلة ، ولأقول لمن حرمة الأقدار من زوجته ولن حرمتها من زوجها ألا يأسا من رحمة الله . . . فقد يحىء التعويض وتحين السعادة حين يأذن بها خالق السموات والمهم دائما هو ان نرضى بما اختاره لنا الله . . . وان نلتبس التعويض والعزاء فى وجوه الحياة الكثيرة الصاخبة . . . وشكرا .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : النفوس المحبة الراضية التى تشعُّ حبا وعطاء للآخرين . . . تسعى إليها السعادة . . . حتى وان لم تسع هى إليها ولم تبذل جهدا لنيلها .

لهذا فلا عجب فى ان تجدى العزاء والسلوى عما حرمت منه فى هذه القبيلة التى يظلمها الحب ويجمع بينها الإخاء .

بل ولا عجب فى ان يجتمع شملك مرة أخرى مع زوجك الأول بعد كل هذه السنوات وفى ظل هذه الظروف الدرامية الغريبة - التى ماكنت لاصدقها لولا اننى اعرف جيدا ان الليلالى يلدن كل عجيب . . . وان الزمن هو أعظم المؤلفين بغير استثناء .

لقد استعرض الفيلسوف الألمانى « كانت » شريط حياته قبيل ان يلفظ أنفاسه بلحظات . . . ثم ابتسم وقال : هذا . . . حسن !

وأفضل ماتقدمه الحياة للإنسان من خير هو ان يكون قادرا على ان يتوقف فى أى لحظة من العمر ليراجع شريط حياته ويرضى عنه ويقول مع الفيلسوف الألمانى : هذا . . . حسن !

لكنها جائزة كبرى ياسيدتى لايناها إلا من طُبعت نفوسهم على الرضا وتقبل الحياة بكل ماتحملة إليهم أمواجها . . . وعلى القدرة على العطاء . . . واستشعار السعادة فى اسعاد الآخرين ولاشك انك واحدة من هؤلاء فهنيئا لك قبيلتك السعيدة بك وشكرا لك على هذه الرسالة المفيدة .

المستحيل

اتابع بريد الجمعة بانتظام منذ أكثر من خمس سنوات وكم حزنت وكم مرضت مع بعض رسائل قرائك لكنى لم أفكر ان اكتب إليك من قبل لأن مشكلتى شائكة جدا . . ولأننى لا أرجو لها حلا . . ثم قررت أن اكتب بعد أن قرأت الرسائلين اللتين بعث بهما قارئان يشكوان لك فيهما من أن زوجتيهما تتمنعان عليهما فيما أحله الله لهما ، ورددت عليهما بأن الزوجة إذا امتنعت عن زوجها ، وبات زوجها غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح حتى ولو طلبها زوجها على ظهر « قتب » كما جاء فى الحديث الشريف الذى استشهدت به ، لهذا أرجو ان تفسح لى صدرك لاروى لك الجانب الآخر من المشكلة . .

فأنا سيدة عمرى ٢٤ سنة تزوجت منذ عام ، قبل زواجى كنت قد خطبت لمدة سنة تقريبا لشخص آخر ولم نتفق أنا وخطيبى الأول بسبب بعض المشاكل المادية وتنصله من مسؤولياته ففسخت الخطبة بعد مشاكل عديدة مع أهل الذين يفضلون أى حل فى الدنيا إلا فسخ الخطبة ، وبعد ذلك أنهيت دراستى الجامعية وعملت لفترة إلى ان بلغت الثالثة والعشرين من عمرى وطوال ذلك عشت تحت ضغط نفسى وعصبى شديد من أسرته لأننى كما قالوا قد بلغت سنا خطيرة . . كما أن فلانة وفلانة قد

تزوجتا . . وانهم صبروا على طويلا لهذا فلا بد لي من الزواج . . فوافقت على خطبتي لزوجي الحالي بعد أسبوعين فقط من تعرفي به . . وشجعني على ذلك انه مهني شاب ناجح في عمله مقبول الشكل وكريم ومن أسرة طيبة ويحبنى ، وإن كان يكبرني بـ ١٥ سنة ، وبعد شهرين من الخطبة بدأت المشاكل بسبب اختلاف الطباع . . وأصبحت معظم لقاءاتنا مجرد مشاحنات فبدأت اتهرب من الخروج معه بشتى الحجج المقبولة وغير المقبولة ثم اقتصت بأني لن استطيع الاستمرار معه فصارحت أُمى برغبتي في فسخ الخطبة فيما ان نطقت بأول كلمة في هذا الموضوع حتى صرخت في وجهي وهي شبه منهارة بأنها لن تسمح لي بذلك ابدا . . وبأني إذا كنت أريد قتلها وقتل ايها فلا أقدمت في هذا الموضوع إذ ماذا سيقول الناس إذا فُسخ خطبتك للمرة الثانية . . فكانت المرة الأولى والأخيرة التي افاتحتها في هذا الأمر ، وتم الزواج وأنا امنتى نفسي بالأمل في حياة مقبولة وأقول لنفسي انه كم من فتيات قد تزوجن ممن لا يحببن وعشن رغم ذلك حياة سعيدة ، وجاءت ليلة الزفاف . . ولا استطيع أن أصف لك مشاعري بعد أن تمت حتى نهايتها الطبيعية . . فلقد احسست بعدها بأني اغتصبت . . وتولاني إحساس غريب يتأرجح بين الشعور بالخجل والقرف والسخط والكراهة ثم انتابتني فجأة حالة غثيان فتقيأت واحسست في تلك اللحظة بكراهية شديدة لزوجي ولنفسي ولضعفها بل ولأبى وأُمى اللذين لم يرحماني ولكل المجتمع الذي فرض على ان اتزوج شخصا لا أحبه لكي انجو من القيل والقال !

ومنذ تلك الليلة يا سيدى وأنا احس نفس الإحساس البشع كلما نال

منى زوجى حقه الشرعى . . فاشعر كل مرة بانى اغتصبت ثم أنفياً بشدة !
ومضت الشهور على هذه الحال ولم أحل حتى الآن . . ثم سيطرت
على فكرة ان الله غاضب على غضبا شديدا فارتديت الحجاب وواظبت على
الصلاة وقراءة القرآن الكريم ، لكن حالى لم تتحسن بل ازدادت سوءا كما
يقول زوجى فاصبحت تنتابنى نوبات بكاء لساعات طويلة كلما خلوت إلى
نفسى وصبر على زوجى فترة طويلة . . ثم بدأ يئأس من ان أبادله
الحب . . فأصبح فجأة يبادلنى الكراهية وأصبحت علاقتنا شديدة
التوتر . . ولا يستطيع احدهنا رغم ذلك ان يصارح الآخر بحقيقة مشاعره ،
ثم تطورت علاقتنا تطورا خطيرا منذ حوالى شهرين فبدأت اتنمى على زوجى
فيما يطلبه وأحس بأن هذه هى الطريقة الوحيدة التى تجعلنى استرد بعض
كرامتى وأدميتى . . فهل يستطيع أحد أن يلومنى على ذلك ؟ اننى افعل
ذلك رغما عنى - وقد حاولت كثيرا ان اتقرب من زوجى واتقبله لكنى
عجزت عن ذلك تماما . . وأنا لا أكتب لك طلبا للنصح والمشورة لأنى
اعتقد أنك قد عرفت الآن أى نوع من الأباء والأمهات هما أبى وأمى وانه إذا
كان فسخ الخطبة عندهما جريمة . . فان الطلاق هو المستحيل بعينه . .
كما أنى لا اكتب لك لأودى مشاعر قرائك . . وإنما لكى تلتمسوا لى
ولملياتى العذر فيما نفعل مضطرات أحيانا فأنا احس باننى ضحية لأهلى
وللمجتمع ولكلام الناس الذى فرض على أن اتزوج شخصا لا احبه حتى
لا يقال عنى اننى قد فسخت خطبتى وفشلت مرتين أو ثلاثا . . وأرجو
من الله ان يساعدنى ويخلصنى مما أنا فيه . . وألا يكون حكمك قاسيا
على . . لأنه يكفينى ما أعانيه . . وشكرا لك .

□ ولكائية هذه الرسالة أقول : لن أزيد متاعبك بقسوتى عليك . .
لكننى اتعجب من أمر الإنسان الذى يطلب السعادة أحيانا لنفسه . .
لكنه قد لا يوضح سعادة الآخرين فى اعتباره ولا يشغل نفسه بها . . فإذا
خاب سعيه أطلق اتهاماته ولومه فى كل الاتجاهات . . واعفى نفسه من
كل لوم لهذا فأنا قد نشكو جميعا من حظوظنا . . لكننا لا نشكو أبدا من
عقولنا أو سوء تدبيرنا .

يا سيدتى الشابة . . ان رسالتك تكشف . . رغم حساسيتها . الجانب
الأخر فعلا من المشكلة . . وهى رسالة صادقة فى تعبيراتها وأحاسيسها ،
فالمرأة حين تكره تحس بأنها قد اغتصبت وابتاتها الاحساس بالتفرز
والغثيان اذا نالها من تكرهه . . وأنا أدرك ما تعانين . . لكنك ظلمت
نفسك وظلمت انسانا لم يبادرك بأى سوء حين قبلت الزواج منه وأنت
ترفضينه داخليا لمجرد ان أمك قد صاحت فى وجهك رافضة حين فاتحتها
فى فسخ الخطبة أو لأنك صاحبة تجربة خطبة فاشلة قبلها . . أو لأن
بعض زميلاتك قد تزوجن أو لأنك تشفقين على نفسك من القيل والقال
كما تقولين . . فالمشكلة هى ان كل هذه الحسابات حسابات شخصية
تخصك وحدك ولا تصلح أبدا أساسا لزواج سعيد . . فلقد بنيت قرارك
بقبول الخطبة . . ثم قرارك بالاستمرار والزواج على أساسها وحدها . .
ونسيت طرفا هاما وأساسيا فى الموضوع كله هو هذا الشاب الناجح الكريم
مقبول الشكل الذى لم يأتهم ولم يرتكب جريمة سوى انه قد طلب السعادة
لنفسه فدخل البيوت من أبوابها وتقدم لخطبتك فقبلته وتزوجت منه وأقبل
عليك وهو يتطلع إلى السعادة مع من يحب فإذا بينابيع الجحيم تنفجر فى

وجهه بغير ذنب جناة . . وإذا بك تشعرين بالكراهية الشديدة له ولنلمجتمع ولأبويك ولنفسك ولكل الناس ، ثم تستمر حياتكما على نفس الحال إلى أن يش من أن تبادلوه الحب فبدأ يبادللك الكره المكتوم كما تقولين وإن كنت اشك في أنه قد كرهك كراهية حقيقية بدليل تمسكه بك حتى الآن رغم هجرته له . . ورغم انكما لم تنجبا طفلا يمكن أن يكون سببا لاستمرار الزواج ودعيني أسألك يا سيدتى بغير أية رغبة في إيلاكم ماذا لو كان هذا الشاب أحاك . . وكان من اختارتها له الاقدار زوجة له مثلك تماما في كل التفاصيل والدوافع للزواج . . ثم شكاك لك شقيقك هم مع زوجته الشابة التي لم يقصر في حقها ولم يرغمها على الزواج منه وقولى بأمانة ماذا سيكون احساسك تجاهها ورأيك فيها ؟ هل كنت ستقبلين منها نفس هذه الاعذار التي تعتذرين بها الآن لاتمامها الزواج من إنسان استقر في صدرها النفور منه من قبل الزفاف . . وألن ترين انها بذلك قد ظلمت شقيقك وظلمت نفسها حين تزوجته بغير أن تحبه أو على الأقل تتقبله انسانيا وتأمل في أن تخلق المعاشرة الحب بينهما . . ألن تتساءلى لائمة لماذا لم ترفضه بدلا من أن تجرعه كؤوس الكراهية والنفور والتقزز الذى يصل بها إلى حد الغشيان بعد كل تلاقي بينهما ؟ . . ألن تتهميه بالانانية لأنها اجرت كل حساباتها على أساس من دوافعها الشخصية وحدها ؟

ألن تقولى صراحة انها كانت تستطيع ان تصمد لضغط الأبوين لانها مهما كانا متشددتين فلن يرغماها في النهاية على زواج من تكره . . ألن تقولى انها قد تزوجت وعمرها ٢٢ أو ٢٣ سنة وانها سن صغيرة لاتبرر الجرح من التأخر في الزواج ولا الحديث عن المجتمع وكلام الآخرين ؟

ألن تقولى كل ذلك يا سيدتى صادقة ثم تنصحى اخاك بان ينفصل عنها مؤكدة له ان من هن أفضل منها يتمنين ويحلمن بالزواج منه ؟ ألن تقولى كل ذلك بامانة يا سيدتى ؟

إن من الأمانة مع النفس ألا يتنصل الإنسان من مسئوليته عما فعل ويلقيها على الآخرين ، ومن العدل والرحمة ألا نحملهم مسئولية ما اقترفناه بملء ارادتنا أو على الأقل بخطأ حساباتنا أو تقصيرنا في حق أنفسنا وباستسلامنا بلا مقاومة جدية لاعتبارات كان يمكن بشيء قليل من الصمود ألا نستسلم لها . لقد فصل الرسول الكريم في خلاف بين زوجين فاستمع لزوجته طلبت الطلاق من زوجها فسألها عن رأيها فيه فقالت :

« لست انكر عليه خلقا ولا ديناً لكنى أكره الكفر في الإسلام » ، أى أنها لا تشكو من خلقه أو دينه لكنها لا تحبه وإنما تكرهه وتخشى ان تدفعها كراهيتها له إلى تقصيرها في حقوقه عليها فتأثم وتبوء بغضب ربه عليها . فسألها الرسول : أتردين عليه حديقته « وكانت مهرها » فأجابت نعم فقال لها ردّى عليه حديقته وقال زوجها طلقها طليقة واحدة .

وهكذا تفعل من لا تريد ان تظلم غيرها وألا تأثم اذا استقر في يقينها أنها قد كرهت زوجها وأنه لا أمل لها في ان تتغير مشاعرها تجاهه ولو بالقبول النفسى له وبعد ان تستنفد كل الوسائل خاصة إذا لم يكن يربطها بزوجها أبناء يستوجبون التضحية من أجل رعايتهم وحمايتهم من أنواع الحياة ، أما ان تستمر زوجة شابة في معاشرة زوج تكرهه في أعماقها لمجرد أنها لا تريد ان تواجه نفسها بفشلها في الزواج وتواجه أسرته والمجتمع بذلك فهذا هو الظلم المضاعف بعينه لنفسها ولزوجها ! لأنها ليست فقط

تجرحه إيلالام والاحساس المرير بأنه يعاشر من لانهبه وإننا أيضا لأنها تحرمه
من حقه المشروع في ان يجد السعادة التي افتقدها معها مع أخرى تفخر به
وتهواه وتظللله باجنحة الحب والسعادة .

لقد قال الكاتب المسرحي الروسي اندرييف على لسان احدى
شخصياته مرة : اننى أدير ناظرى حول الأرض فلا أرى ابشع من حياة
الإنسان !

ورغم رفضى لهذه الروح التشاؤمية . . إلا انى احس بان هذه العبارة
المتشائمة تصدق على حياة بعض الناس . . ويزيد من مرارتها ان هذه
البشاعة قد تكون احيانا من صنع الإنسان نفسه وينفسه . . وليست من
صنع الآخرين ولك تحياتى !

السيف البتار !

أنا سيدة أرملة في الثانية والثلاثين من عمري ، وأريد أن أعترف لك أنني قد قتلت زوجي ! نعم أريد أن اعترف لك لأستريح . . وليهدأ ضميري الذي يؤرقني الآن ليل نهار . . لقد قتلت زوجي فعلا ، ولكني لم أقتله بساطور ولا بالبلطة ، وإنما قتلته بغبائي وكبريائي وعنادي وتكبري واستعلائي عليه وبكثرة طلباتي منه .

فلقد تزوجته منذ ثمانى سنوات وهو يعمل موظفا وأنا موظفة باحدى الهيئات الحكومية ، ومنذ اليوم الأول لخطبتي له اشترطت عليه لقبوله ألا أعمل بعد الزواج وأن يهيئ لى مستوى الحياة الذى أعيش فيه فى بيت أهلى ، ونفس المستوى الذى تعيشه زوجات اخوتى ، رغم الفارق الهائل بين دخولهم ودخله . وقبل ذلك راضيا ، وتزوجنا ، وتركنا العمل وقبعت فى البيت اطلبه كل يوم بالوفاء بوعدده ، . واستجاب والتحق بعمل إضافي مرهق لاعلاقة له بطبيعة عمله الحكومى ، فكان يخرج كل يوم فى الساعة صباحا ويعمل بوظيفته حتى الساعة الثانية بعد الظهر ثم يجرى ليلحق بعمله الإضافي بلاغداء فيعمل به من الثالثة إلى الثانية عشرة مساء كل يوم . . واستمر على ذلك منذ الشهر الأول من زواجنا ، وكلما احس بالارهاق وهم بأن يناقشنى فى مسألة العودة للعمل لأساعده ، خاصة حين كان الرجوع عن الاستقالة ممكنا ، ثرت عليه وعيرته بفقره وقلة

إمكاناته وصحت فيه لماذا تزوجتني وأنت غير قادر على نفقات حياتي . .
ولعنت اليوم الأسود الذي تزوجته فيه ، فيسكت صابرا ويواصل العمل من
الصباح حتى منتصف الليل ، وليتني بعد ذلك قدّرت له كفاحة من أجلى
أو عاوياته لارضائي واسعادي ، إذ لست اذكر - للأسف - اني قلت له مرة
كلمة شكر أو كلمة حب تهوّن عليه شقاءه . . أو حتى كلمة تعاطف أو
عطف وهو يعود منهكا في آخر الليل . . أو حين يقدم لي شيئا طلبته . . إذ
كان أقصى ما أتكرم به عليه هو ألا ألومه أو ألا انتقده أو ألا أبخس قيمة
الأشياء التي جاءني بها ، وفي مثل هذه الحالات النادرة كان يسعد كثيرا ،
حتى كانت سعادته في بعض الأحيان تغيظني فأكاد افسدها عليه بكلمة
قارصة من الكلام الذي تعودت ان أوجهه له . ومضت ٨ سنوات على
زواجنا وزوجي يكرس حياته لارضائي ولايجرحني بكلمة ، إلى ان صحوت
ذات ليلة على صوته وهو يصرخ من شدة الألم . . وأسرت بنقله
للمستشفى وهناك ذهلت حين عرفت أنه مريض بمرض خطير منذ فترة
طويلة وانه كان يتعامل على نفسه ويهمل العلاج خوفا من نفقاته الباهظة
، وتعجبت من إنه لم تُسرّ إلى مرضه معي من قبل ، كأنه كان يشفق على
حتى من ان يشغلني بأمره . . وهو من لم يكن له شاغل سوى .
ولم يطل بقاءه في المستشفى ، فلقد تدهورت حالته سريعا وفارق الحياة
وهو يمسك بيدي ويشكرني على « السعادة » التي منحتها له خلال
السنوات التي عاشها معي . . وبكيت بحرقه عليه وأنا أنساءل في مرارة
وحسرة لايعرف عمقها غيري . . وأين هي هذه السعادة التي منحتها
له . . لقد قتلته بالارهاق . . وبالتدريج . . وظل يموت قطعة قطعة طوال
السنوات الأخيرة وأنا لا أحس به ولا أدري ولا أشفق عليه ولا أرحمه ولا

أرى إلا مطالبى وطلبائى ومقارناتى مع زوجات إخوتى ، والآن أبكى عليه بالدمع السخين بالساعات كل يوم . . أبكى الرجل الذى احببني بكل ذرة فى كيانه فكرهته وعذبتة وانكرته ومات قبل ان يسمع منى كلمة حب واحدة . . ان الندم يقتلنى الآن ولكن بماذا يفيد الندم ياسيدى ، لقد قررت أن أكتب إليك لتعرف كل زوجة تفعل مثلما فعلت بزوجى الطيب . . أنها ستشرب من نفس الكأس التى أشرب منها الآن ، وسينبذها الجميع بعد رحيل زوجها حين يتذكر لها الجميع ماصنعت ومافعلت ، فلا أحد فى البيت يتكلم معى حتى إخوتى الذين يتهبون الآن منى ويوصون زوجاتهم بعدم الاختلاط بى حتى لاتصيبهن «العدوى» منى .

وآه ياسيدى مما أحسه حين اتذكر صورته . . وإتسامته الممرجة حين كنت أقسو عليه . . وأحس انى سألحق به قريبا . . لكن بأى وجه ألقاه بعد ما فعلت به ما فعلت . . وهل يغفر الله لى حقا ذلك . . اننى استغفره كثيرا وأبكى ندما طويلا . . فهل يغفر الله لى ما صنعت ؟ . .

□ ولكاتبة هذه الرسالة أقول : لأحد الصالحين قول حكيم يقول فيه : «ليس البكاء بتعصير العيون ، وإنما بأن تترك الأمر الذى تبكى عليه » لهذا فانى أرجو ان يكون بكائك على زوجك ندما صادقا على ما فعلت به ، وبداية لتغيير نظرتك كلها إلى الحياة وإلى العلاقة الزوجية فى مستقبل الأيام . . فلقد فاتك الكثير حقا خلال رحلة حياتك الماضية مع زوجك الراحل ، وأن لك ان تعرفى أنه من حسن الإيمان ألا يبخس المرء أقدار الآخرين ، وألا يسفّه جهودهم وكفاحهم الشريف من أجله ، وألا يتعالى عليهم ويعيّرهم بضعفهم وقلة حيلتهم وضيق أرزاقهم ، وألا يكتنم الشكر لهم حين يستحقون الشكر ، والمديح حين ينبغى ان يمدحهم وألا ينكص عن تشجيعهم حين يلتمسون منه التشجيع والعطف . فكتبان

الشكر جحود ، وإنكار الفضل إثم . . أما البخل بالعطف على من يحتاجون إليه فهو ليس قسوة غير إنسانية فقط وإنما أيضا جهل بطبيعة الإنسان الذي يحتاج دائما إلى العطف النبيل . لقد قال عالم النفس الأمريكي آرثر جيئس : ان الجنس البشرى كله يتلهف على عطف الآخرين منذ فجر التاريخ . والزوج الذى يشقى لاسعاد زوجته من أحق الناس يعطف كل منهما على الآخر لكى يهون عليهما معا عناء الحياة . . فلماذا تقسو القلوب أحيانا على من لا يحملون لها إلا أصدق الحب ؟

ولماذا لانعرف لهم اقدارهم دائما ولاندرک قيمة نبع الحب العميق الذى نهلنا منه بلا حساب إلا بعد ان يفارقونا . وتلفتت حولنا فلانجد لأنفسنا اية قيمة إلا لدى من كانوا يتلهفون على كلمة حب أو عرفان واحدة منا فلا يسمعونها . ان زوجك الراحل لم يمت بسيف المرض والارهاق وحدهما وإنما مات أيضا بسيف النكد والتقد العقيم المستمر الذى لا يفيد ولا يغير من الأمر شيئا ، وسيف التكبر عليه ونحن نجر افتقاد التقدير ممن تفانى في حبها ، وكلها اسلحة فاتكة تقصف العمر وتسرع بالهلاك ، وما شكره لك عند الرحيل إلا استمرار لانكار نفسه ورغبة منه فى ان يجنبك عذاب الضمير وقبول منه لأقل القليل والرضا به . . فأى حب عظيم كان يحمله لك وأى خسارة فادحة قد خسرتها بافتقاد هذا الحب الطاغى الفريد ؟؟

لقد حذرنا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من أن نحاسب البشر عما لاحيلة لهم فيه ، وهو رزقهم فقال ما معناه انه سوف يأتى على الدنيا زمان يكون فيه هلاك المرء على يد زوجته وولده ، يعيرونه بالفقر ويطالبونه بما لا طاقة به ، فيدخل المداخل التى يفقد فيها دينه وخلقه فيهلك . . فاذا كرى ذلك جيدا ياسيديتى واجعلى من ندمك على ما فعلت رجوعا عن كل افكارك الخاطئة وتطهرى من كل ما فعلت . . والله يغفر لمن يشاء ويقدر والسلام . .

الفهرس

صفحة

الكتاب المفتوح	٦
الخطر أ	١٦
الدعاء	٢١
ابتسامة الغروب أ	٢٤
الندم أ	٣٠
الشهود أ	٣٢
الدوائر المتقاطعة	٣٦
أماكن . . . في القلب	٤١
الموعد الأخير أ	٤٤
الفائز أ	٤٩
السلة أ	٥٣
الخبر أ	٥٥
صراع الديكة أ	٥٩
الموقعة أ	٦٥
الرداء	٦٩
فتاة الإعلان أ	٧١
البركان أ	٧٦
نشوة الهزيمة	٨٢
الجرح الساخن أ	٨٨
صيغة الغائب أ	٩٣
متاعب الحريف	٩٦
القوالب	٩٩
المتنطق الواضح	١٠٣
الاعتراف أ	١٠٩
الضيف الكبير	١١٢
شهادة رخيصة أ	١٢٠
نقطة الضعف أ	١٢٢

١٢٧	بلا جدران
١٣٢	الشرر !
١٣٥	الحل الأخير
١٤٠	الخائب
١٤٢	الانقلاب !
١٤٦	الظلال النوارقة
١٤٩	ظلال المستن
١٥٣	القرار !
١٥٨	الأخطبوط !
١٦٢	القصاصه !
١٦٥	الموال
١٧٠	النظرية الأولى !
١٧٢	الواجب
١٧٤	الستار الحديدي !
١٨٠	المشورة
١٨٣	القبيلة
١٨٧	المستحيل
١٩٤	السيف البتار !

صدر للمؤلف

- ١ - اصدقاء على الورق قصص إنسانية الطبعة الأولى ١٩٨٦ (نفذ)
- ٢ - يوميات طالب بعثة ادب رحلات الطبعة الأولى ١٩٨٧ (نفذ)
- ٣ - هتاف المعتدين قصص إنسانية الطبعة الأولى ١٩٨٨ (نفذ)
- ٤ - صديقي لا تأكل نفسك مقالات وصور أدبية الطبعة الأولى ١٩٩٠ (نفذ)
- ٥ - نهر الحياة قصص إنسانية الطبعة الثالثة ١٩٩٣
- ٦ - العصافير الخرساء قصص إنسانية الطبعة الثانية ١٩٩٣
- ٧ - صديقي ما أعظمك مقالات وصور أدبية الطبعة الأولى ١٩٩١
- ٨ - العيون الحمراء قصص إنسانية الطبعة الثانية ١٩٩٣
- ٩ - افتح قلبك مقالات وصور أدبية الطبعة الأولى ١٩٩٢
- ١٠ - اندهش يا صديقي مقالات وصور أدبية الطبعة الأولى ١٩٩٢
- ١١ - أزواج وزوجات قصص إنسانية الطبعة الأولى ١٩٩٣
- ١٢ - أرنجوك لا تفهمنى قصص إنسانية الطبعة الأولى ١٩٩٣
- ١٣ - رسائل محترقة قصص إنسانية الطبعة الأولى ١٩٩٣
- ١٤ - وقت للسعادة ووقت للبكاء مقالات وصور أدبية الطبعة الأولى ١٩٩٣
- ١٥ - زهر السعادة والشقاء قصص إنسانية الطبعة الأولى ١٩٩٣

رقم الإيداع ٩٣ / ٢٠٥٥

I.S. B.N 977 - 09 - 0124 - 5

مطابع الشروق

القاهرة ٨: شارع سيويه المصرى - ت ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٢٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت - ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣٦٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)

أزواج .. وزوجات !

هذا الكتاب يفيد في تقديرى من يفكرون في الزواج . . ومن يفكرون في « الطلاق » !
أما من يفكرون في الزواج فسوف يجدون فيه صوراً واقعية مختلفة للحياة الزوجية تحدث عنها أصحابها بصدق فعكست الأسباب الرئيسية التى تؤدى بها إلى مقبرة السعادة من أقصر طريق . . وإذا ما استفادوا من تجارب الآخرين يستطيعون أن يتجنبوا السير بحياتهم المقبلة في نفس الطريق !

أما من يفكرون في الطلاق . . فسوف يجدون فيه « بانوراما » عريضة للمشاكل الزوجية تتيح لهم أن يضعوا مشاكلهم في حجمها الطبيعي ويعرفوا بالمقارنة أن هناك من عانى أكبر منها . . ولم يلجأ إلى سيف الطلاق وتشريد الأبناء .

وأما من لا يفكرون في هذا ولا ذاك . . فسوف يجدون في قصصه ما يستفيدون به من تجارب الآخرين في تحسين علاقاتهم بشريك أو شريكة الحياة فيتبعون بذلك منهج عبد الله بن المقفع الذى سئل : من أدبك ؟ فأجاب : نفسى ! كنت إذا رأيت من غيرى حسناً أتيت به وإذا رأيت قبيحاً أتيت به !

وفي هذا الكتاب سوف يجد من يبحث عن « أدب نفسه » « حسناً » كثيراً يأتيه . . « وقبيحاً ، كثيراً » ياباه . . فينصلح له حال نفسه وحال من يعاشرهم بالضرورة .

لقد أخرجت إلى المطبعة من قبل ستة كتب ، من سلسلة كتبى التى يدوجها نقاد الأدب تحت عنوان : أدب وأجمع فيها تجارب الآخرين الإنسانية وردودى عليها في باب بريد الجمعة بالأهرام ، لكن هذا الكتاب هو الكتاب الأول الذى فكرت في أن تكون كل تجاربه الإنسانية عن الحياة الزوجية ومشاكلها المختلفة .

ولست أزعم في النهاية أن من يقرأ هذا الكتاب سوف يتجنب الشقاء الزوجى أو يفوز بالسعادة .

وإنما أزعم فقط أنه سوف « يعرف » بعض أسباب حرمانه من السعادة الزوجية . . أو فوزه بها أو أنه - على الأقل - سوف تهون عليه بعض مشاكله حين يعرف بالتجربة أن هناك من هو أنعم كثيراً . . كثيراً . . منه !

عبد الوهاب مطاوع



To: www.al-mostafa.com